

مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الخامس والأربعون
جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ
مايو ١٩٧٨ م

مجلة مجمع اللغة العربية

(تمدد مسرتين في السنة)

الجزء الحادي والأربعون
جمادى الأولى ١٣٩٨هـ - مايو ١٩٧٨م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير :

للدكتور مهدي علام

● قصة العامية في العراق : تاريخها وواقعها

للدكتور ابراهيم السامرائي

٢٥ ص

البحوث

● من قصة العامية في الشام

للاستاذ سعيد الالفاني

٧ ص

● موسوعة اعيان القرن الثاني عشر الهجري

للدكتور اسعاف موسى الحسيني

٤٣ ص

● اللغة والواقع

للدكتور محمد عزيز الحبابي

٢٩ ص

● تقريب العامية من القصص

للدكتور حسين علي محفوظ

٩ ص

● من اسرار الزيادة في القرآن الكريم

للاستاذ علي النجدي ناصف

٥٧ ص

● القصص المعاصرة

للدكتور شوقي صيف

١٩ ص

● كتاب ابن مسكر وابن خيمس في مشاهير

مالقة

للاستاذ محمد الفاسي

٦٢ ص

● خواطر حول الترجمة الدائبة في الاسلام

للمستشرق الالماني رودلف زلهام

٢٧ ص



-
- العربية في تونس بين الفصحى والعامية
للدكتور الشيخ محمد الطيب ابن
الخوجة
ص ٦٩
 - بين اللغات العامية واللهجات المدون
للاستاذ الشاذلي القليبي
ص ١٢٢
 - العربية أمس واليوم
للاستاذ عبد الله كنون
ص ١١٥
 - شواهد على صحة الشعر الجاهلي
للدكتور ناصر الدين الأسد
ص ١٤٥
 - نجر الجغرافية العربية
للدكتور محمد محمود الصياد
ص ١٢١
 - بين العامية والفصحى
للاستاذ عبد الرزاق البصير
ص ١٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير للدكتور مهدي علام

في هذا الجزء من المجلة ثروة علمية يتندر أن يضمها مجلد واحد . فلأنها تجمع بين تشعبها ووحدةها في نطاق إطار واحد . ذلك أن البحوث التي يضمها هذا الجزء من مجلة مجمع اللغة العربية كانت ثمرة تخطيط لتكون موضع البحث والدراسة في مؤتمر الثورة الرابعة والأربعين للمجمع . وقد نجح ذلك المؤتمر نجاحا نسجله هنا في هذه البحوث ، كما سجلناه في مجموعة المناقشات التي دارت حولها .

لقد كان الموضوع الرئيسي في ذلك المؤتمر هو : العلاقة بين النصحي والعامية ، وقد جاءت البحوث في هذا الموضوع من أساتذة متخصصين ، ومن عدد كبير من البلاد العربية التي لكل منها عناية خاصة .

واشتملت البحوث ، إلى جانب هذا الموضوع الرئيسي ، على عدد من البحوث الأخرى التي يتولف عليها أصحابها الذين وهبوا حياتهم لها .

وسيرى القارئ أن عشر بلاد اشتركت في هذه البحوث بمندوبيها في المؤتمر . فإلى جانب مصر الداعية للمؤتمر ، كان هناك الممثلون للأردن ، وألمانيا ، وتونس ، والجزائر ، وسورية ، والعراق ، وفلسطين والكويت ، والمغرب .

وبذلك برهن المجمع ، في مؤتمره هنا ، كما برهن دائما ، في كل مؤتمراته ونشاطه ، على أن لغة القرآن الكريم هي الرابطة الوثيقة بين الناطقين بها ، وأنها أحد المقومات الأساسية لأصيلة العربية .

مهدي علام

الأمين العام للمجمع وأشرف على المجلة

البحوث

مرقصة لعامة في الشام للأستاذ سعيد الأفغاني

يعتري

بعض الكلمات ما يعتري
حيال الأحياء : ميلاد
تخرج كلمات في أطوار
بعد أطوار ، ثم تفلو كالحياة كلمات ، وهو ما يعبر
عنه بـ (حياة الألفاظ) ، وما أرى أن كلمة (حياة)
راقية ، لأن الحياة تغطي بحبات ، ولما
كانت الكلمات على مدى الأكرمان ، إنها
تسبل نفسي فترقد في المحضبات ثم الكتب
ثم بعد من الحاجة ما يضيئها من مرقعها ،
وأولى من كلمة (حياة) حتى أن تقول
(تاريخ الألفاظ) ، فكثير من الكلام سجل
حائل لا يبدو البيان ، ويغطي للصح بصير
وحده على الخفاف أكثره .

وما استمع بحت لغوي لستمناحه بحت
وقد صلبه إلى بحت ما جعلت الأكرمان في هذا
السجل من تحولات .

لقد كنت هنا لأقول إن ما صح في
الكلمات أصبح في اللهجات اللهجات ألفتها

وأموكا ومركبات ، وإذا رجع أحدها
بما كونه إلى عهد صباه يرفس لمحات الباحة
حينئذ من جزائر وبقالير عشار ويزلر وعجلاط
وتجولو وحطاد من مسطر في دكانه وجوالده
وينالها باللهجات أنظم لمحب كيف
تأملت هذه اللهجات في السنين القلائل على
ألسنة الصغار والكبار .

أذكر أني منذ ثلاثين عاما كنت في زيارة
الأستاذ الفقيه عيب اللهون الخطيب في مكتبة
المطبعة المصروفة ، وكان أطروني للعام ١٩٢٠ سنة
محكما عليه غيابيا بالإعدام من المجلس الحربي
الفرنسي لإسهامه في حرب جهلون ، ثم
استوطن مصر وأنتأ عدة الزمره الشهيرة ،
وعقد القمع الأمويحيا - ذوقه نطق عبقنا
عن بعض تاريخ القضية العربية (وقد ذهب
معه كثير من تاريخها المسجون) ثم جرد للحديث
إلى فكرهاته في دمشق وإلى قصة جرت فيها
قديما وهو صبي ، فجري على لسانه تعبير

(٥) انظر المصنفات على البحث في عالم جهلات طرقت المصروفات القامية بالألماني (جلد ١٩٩٥) من
روح الأثر سنة ١٩٣٤ = ١٤١٢ من طبع (لكار) سنة ١٩٧٨ م)

(١) العام جد الحرب يسطر الأجزاء الآتية (ملحة المصنفات الإدارية اليوم كسيات مالهكي بكرة) ، قرأ
المكتوبة : مسودة ، بوليان ، بالأردن ، والسليبي ، إلى من جهل طرودس ضللا إلى صباه واليهير الأسير
بجنا ، ربح العراق شرقا إلى البحر المتوسط غربا .

لم أفهمه، وكان عنده ابن أخته الكاتب الأديب المعروف الأستاذ علي الطنطاوي، فسأله بعد خروجهما : (هل سمعت هذا التعبير ؟ وما معناه ؟) فقال : (لقد سمعته) أنا نويت أن أسألك . وحاولنا التذكر فلم نجدها ثم قلنا : هو معلمات من العامية الشامية لا يعرفه إلا المعصرون ، واليوم نسيت أنا هذا التعبير ولما يحض عليه الثلاثون من الأعوام .

• • •

نشر التعليم في الشام وغيره أول هذا العصر تكفل بأمرين : أولهما الارتقاء بتلك اللهجات في هذه السنوات الستين ، وثانيهما تقريبها من الفصحى المألوفة ، حتى صار البون شامعا بين العامية القديمة والعامية الحديثة ، وبيان على هذه أثار الثقافة والتطويع ، وحلت الفصحى على ألسنة العوام محل الكلمات العاميات بالمئات ، فإذا حدثك اليوم جزار أمي حديثا ما ، أمكنتك بشي من اللحم الخفيف من إعرابيه وتبدل بعض كلمات أن تشره في جريدة أو مجلة ، وكنت قبل ستين عاما ترجم مثله إلى لغة الكتابة ترجمة .

هذا عمل الزمن من حيث لا نشعر ، ولكن ماذا عن اللغة الواحية الرائدة من الجيل الماضي الذي فتح خيذه حل عصر جهل وظلام ؟ إن مجرا جرى بصرا وأناة أرشد إلى أنهم كانوا والنهضة في كل ميدان على قدر ،

لقد أوتوا من العزائم ما ألحقهم بأصحاب الرسائل في أمهم ، ولم يكن برصيم في ميدان اللغة إلا أن تم الفصحى الأصيلة للدارس والنور والأسواق ، أو كما يعبر بعض إخواننا في مصر : كانوا « حماميز فتح الله » في الشام والأستاذة معا ، ألفوا الجمعيات وأقاموا النوادي وتشرخوا عرفوا القراءة في الأحياء مطلع هذا القرن ، وحرروا في مجالسهم الكلام بغير الفصحى ، بل إن أحدهم وهو الأستاذ محب الدين الخطيب أراد لفصحى أن تحمل مقامى الأستاذة التي يرتادها العرب ، فحدث رفاقه الشبان على هجر للمصطلحات التركية والفارسية حين يلعبون الرده وأن يقولوا مثلا : (ستة خمسة) بدل (شيش بيش) ، فاستجابوا له وصاروا ملقت « لأنظار والأسماع في المقهى » ، بل إن بعضهم يأتيه السائل في مقهى يمشق يستجدي فيعلمه ما يقابل جملة بالفصحى ، فإن أداها سليمة أعطاه ، فصار المستجذون يلقن بعضهم بعضا ماذا يقول هؤلاء الأثلية حتى يحظى : (المتليك) (١)

حمل جو للشام طابع هؤلاء الرواد للتحسين ، وما أزال أذكر كيف كنا - ونحن أطفال - في مدرسة أولية خاصة لا نتكلم في الفصح بين الدروس إلا بالفصحى التي نستطيعها ، وأشد ما يحاذر أحدا أن نلقي

(١) انظر كتاب (من حاضرة اللغة العربية) ص ٣٧ (الطبعة الثانية ١٩٧١ م) .

المتليك لغة تركي بمعنى يماذل ترخين ونصف قرني .

المسحة وخشبة الرصد (السينال) في حوزته
 لمسجل عليه الرقيب حيثك درجة في سوء
 السلوك . وكان إشتغالنا بالنفا على الأطفال
 الذين نقلهم أولياؤهم من مدارس الحكومة
 البعيدة إلى مدرستنا الخاصة هذه ، وذلك
 في سنة ١٩١٨ م آنسر العهد العثماني في الشام .
 لأنهم في أيامهم الأولى كثيرا ما تسبقهم الأنتم
 حين يتكادون . في المقتد الصباحي فيجيئون
 بكلمة (أنتم) المألوفة في المدارس الرسمية ،
 فيخرجون إلى وسط الباحة يتلقون على أكتفهم
 المهسوة الضربات المقررة من عصا الرقيب
 إذ كلمة الجواب الواجبة في مدرستنا هي
 (لوك) .

وما تقى لا تقى التمثيلات التي تعدها
 المدرسة للاحتفالات السنوية يدعى إليها
 أولياء الطلاب ولحقق من الوجهاء وهي في
 جملتها تاريخية أو اجتماعية ، وفيها دور
 قصير يؤدي بالعامية البلدية ، هو مجلة
 الترفه والضحك من النظرة ولا سيما الأميين
 منهم للشاشة البارز .

حتى الصحافة ، غالى بعض أولئك الرجل
 فأراد أن تكون مسجوعة من النمط
 العالي في رأيه يومئذ ، فهله جريدة (لسان
 الحال) المصاهرة في بيروت ، من ساحل
 الشام سنة ١٨٧٧ م ، التزمت في افتتاحيتها

القصص المسجوعة ، بدأها صاحبها خليل
 سركيس بقوله : والحمد لله الذي يسبح
 بحمده في القلوب والآصال ، ويطلق منصفنا
 بصفاته آلاه (لسان الحال) ... حمداً يندوم
 آلاه الليل وأطراف النهار ، ما حرد قمرى
 وترنم هزار... (١)

وأعجب مما تقدم محاولة قام بها المرحوم
 أمين آل ناصر الدين لإصدار جريدته كلها
 نظماً ، وقد جاءت الأخبار فيها منظومة نظماً
 فيه رشالة وإصابة عجز ، وخطة روح أحياناً
 اجتاحت عاصفة ناعية (جيزين) وسيت
 بحسائر قلدت بليون قرش فكانت الجريدة
 تصف حوادث العاصمة :

عصفت بجزين العواصف حيث لا
 تلعت بها الأشجار من جوف الثرى

ولقد خلت شجر الصنوبر مائلاً
 تلك الربيع ، وبالألوف قدوا
 والجوز والزهون عرج كل الأجر
 عن المنازل طيراً

أما النصارى فهي بالغة بها
 مليون قرش ، إن ذا قدر جرى

وديلو (تيا) لم يجد لسقولها
 أثر وقد لوت الوحوش إلى القرى

والتلج قد خطى الديار جميعها
وانسبت الطرقات حتى لا ترى
وقضى مكار في الطريق لعظم ما
قامى ، وآخر في التلوج تغفرا
وزارت مدرعة ميناء بيروت فوردعها
عكلا ؛

أرست بميناء بيروت مدرعة
لما لواء على (توقلت) معقود
ومد رست أطلقت حالا ملحقها
تحية ، إن هذا الأمر معهود
وقلمة التفرقة قد ردت تحيتها
إن السلام لمن أدها مرحود^(١)

وكلنا يذكر انتفاضات شعب (البوير) على
الاستعمار البريطاني في جنوب أفريقيا ،
والحرب التي شنها في الترنسفال فكانت
الخاتمة الحزينة لعهد الملكة فيكتوريا ، إذ كانت
حواطف الجماهير مع شعب (البوير) .
وتغوت الملكة فيكتوريا سنة ١٩٠١ وبوئها
رئيس مجلس النواب النمساوى بكلمة مجاملة
متبا عليها ، فيثور المعارضون في المجلس
وتقوم الفوضى ، وهذا نص الخبر في الجريدة :
جوى في مجلس النواب شيء
يترك على التعصب في الأمور

فلان رئيس أسدى مديماً
إلى فيكتوريا ذات السرير

ترحم في مقاتلة عليها
وأنتج ذاك بالأسف الكثير
فحوب (الراذكال) استاء منه
وأصبح منه في غيظ كبير
فصاحوا كلهم غيظاً وحققا
ليحيى مظفراً شعب (البوير)^(٢)

طشرت الانتاحية المسجعة سنة ١٨٧٧ م
قبل مائة عام كاملة ، وكانت الأخبار المنظومة
شعراً سنة ١٩٠٩ م أى قبل ثمانين عاماً ،
في صفوان عهد التريك الذي مارسه حرب
الاتحاد والترقي بعد خلع السلطان عبد الحميد ،
وأظن هذا كافي في الدلالة على روح الشام
الأصيلة في تشرب القصصى وجريان حبها
في أهلها مجرى الدم من العروق ،
وعلى أن كل نزعته مخالفة هي نزعته مزورة
أجنبية ، وسنقى منها يظل الزمن بها ومهما
يظل إلف محترفيها لما ، أجنبية عن الشام
وسائر الأقطار العربية^(٣)



هذا قبل مائة عام ، واستمرت الجهود
في بحث القصصى ترى ، ومن كثرة ما كنا
نسمع في صيانا من تنفير من العامة وتحبيب
بالقصصى ، انتقل التشاؤم بالعامة إلى القرويين
وتحفظ ذاكرتي نزعته ريعية قمت بها مع
أبي رحمه الله في خولة دمشق يوم الجمعة ،

(١) ، (٢) المصدر السابق

(٣) من سائر مجلة العربية ص ١٩٦ .

فلما حانت الصلاة قصدنا مسجد قرية قرية ،
وكان الخطيب يقرأ من كتاب ، شأن أكثر
خطباء القرى يومئذ ، إلا أنه قبل أن يجلس
بين المصلين توجه إلى القرويين يحلّمهم
بلهجتهم الدارجة من أمر فشا بينهم ، فلما
قضيت الصلاة وانجهدنا نحو الباب إذا أحدهم
يسأل جاره بصوت مسموع : (ألم تقم
صلاة الجمعة بقطع الخطيب الخلية والتكلم
بالعامية ؟) فكان الجواب : (إنا لله ! نريد
الصلاة والله يعفو ويسامح) .

صار من دأب المصلين والخطبة صيب
من سبق لسانه بكلمة عامية ، وكنت قد
عظمت قبل سنوات بعض قصيدة تمكس
الروح السائدة قبل سبعين سنة لم تشر واحفظ
بها أحد معارف ، نظمها صاحبها الشيخ
أبو السعود مراد سنة ١٩٠٨ أيام العهد العثماني
منفراً من العاميات الدارجة ، وضارباً على
لحجها الأمثلة ، ومن أبياتها :

لنفا لغة العرب القصوى
قد ضاعت منا بالعد
واليوم تذلونا لغة
هوجاء ملبلبة القصد
ملئت ألقاظاً موحشة
ما فيها من معنى مجدى
والعلم لا يحاشاهسا
فضلاً عن ذى الجهل الضد

فاسمع بعضنا حبها ذبا
أقبح إليك وما أبدى
زحوظ تظنط أه يامببط
حاجة تظنط اخفظ هيدى
ليسوا ليسوا ، لك لك هي هي
أه أه شوشو ؟ دس دس خدى
وطلع من طيز الصبح ومن
حليكرا في وأت البرد
أرجيى ، ياروح ، يصفظلو
ضهرك بالك ، أوعسا ، دى دى

أما أما ، سفا سفا
بأشأ طابت يحدى (١)
وبعض هذه الكلمات لم أسمعها ولا عرفت
معناه فقد مات . وعلى هذا تكون الصرخة
في تنقية اللغة من العامية قديمة في الشام .
* * *

ثم وقع الاحتلال ، وبرزت مراكز
أجنبية تغذى الدعوة إلى العاميات الخلية ،
وتجسّس لها المال والمنابر والمعلماء والنشريات ،
وعمل لها المخطرون في الخفاء : وأذكر أن أحد
رؤساء بلدية دمشق أيام الاحتلال - وكان
على جماعته قسطنطين صادق الوطنية - جاء
على لسانه خطاً من حيث لا يشعر كلمة
(اللغة السورية والشعب السوري) من
كثرة ما سمعها من هؤلاء العملاء ، فأوسعت
الصحف الفكاهية المصورة تهكاً وتكيتاً ،

(١) المصدر السابق ص ١٦٥ .

وتصلت له الصحف اليومية ، فلم تلبس
شفتاه بعدما به (السورية) البتة ؛

ظهر للمحتلين تجاه هذه الوطنية العنيفة
حتم محاولتهم ، فطوخوا من داخل الشام
(حكومة سورية حينئذ) بعد أن ضحك
عليها ، وركزوا جهودهم في الساحل (حكومة
لبنان الكبير يومئذ) حيث كانت لم فيه قبل
الاحتلال بأكثر من ثمانين ستة مراكز
وجهود سابقة في خلق تكتلات ونزعات
طائفية ، وأذكوا بين الطوائف العداوة حتى
صم الجوارح الكراهية يتعامل بها بعض الطوائف ،
والتزموا من بيتها طائفة واحدة يقوونها في
مجتمع الكراهية هذا ، ويوجهون عملاءها
ولمعاتها في كل دهوة إلى تفرقة أو تمييز
أو انفصال ، ومن ذلك التشكيك في أصلهم
العربي وصلاح لغتهم النحصى والحرف
العربي والثقافة العربية جملة مما عرضت له
في غير هذه الكلمة .

ثم استرحنا من ذلك كله في داخل الشام ،
ونظمت مع الزمن — بعد الجلاء — دعابة
الشر هذه في ساحل الشام ، وإن كانت

تطل من جوارها الباقية بين الضيقة والضيقة
ترجع الأمنين المطمئنين على أوطانهم ولحمهم
ومقوماتهم واستقلالهم . وقد اتبرأ هؤلاء
الكارهين المكروهين ، الفاضل من كرام
البنانيين ذوي الأصالة^(١) ، أوغضوا
الناس زيف دعاوهم ، فاضحين ماوراءها
من سموم التبشير والاستعمار . وكنت أحب
ألا يعرضوا لم ، فإن ما يخطر من دعايتهم
من لوثة الطائفية وغيبث الأجنبية كاف
لتزييفها حتى في أمين العوام .

لني لا أرى لأحد من أهل الفضل والغيرة
أن يشتغل بالرد على كل ناعق ، فإن ذلك
يثبت لم وجرداً وهذا كل ما يبتغونه ؛ إذ هو
للمسوخ الوحيد لإدراج الأموال الأجنبية
عليهم ، قلندهم وما اختاروا من معاش ،
ولمض قدماً في صجنتنا البيضاء الضيقة لا
يلهنا عنها معوقون نصبوا ذات اليمين أو ذات
الشمال ، ليني متممين ما يلبأه الأجيال
الصالحة من قبلنا ، ومجهدين لأجيال بعدنا
نرجو أن تكون أصلح بعون الله .

سعيد الألفاني

عضو المجمع للراشدين من سورية

(١) أذكر منهم الآن علي حبيب اللال : الأستاذ من فروع طلبة المجمع الكرم وكلمته (التوعية النحصى) ،
والدكتور سعيد شهاب الدين ورسائله (دعاء العامية هم أعداء التوعية العربية) .

تقريب العامية من الفصحى

للكاتب حسين علي محفوظ

- عناصر البحث :
- سمة اللغة العربية وغناها بالألفاظ والمصطلحات .^١
- دور اللغة العربية في تكوين اللغات الشرقية وإمداد اللغات الغربية .
- دور العربية في حفظ تراث الإنسان .
- الفصحى رابطة العرب :
- ضرورة نشر الفصحى ، والمحافظة على العربية ؛
- تقريب العامية من الفصحى ؛
- نظرة في العامية العراقية ؛
- اللهجة العراقية عصابة تاريخ الإنسان في العراق ؛
- الألفاظ الجاهلية في العامية العراقية .
- أصول الألفاظ والتعابير العراقية و التراث .
- الألفاظ التركية في اللهجة العراقية .
- الألفاظ الفارسية في اللهجة العراقية .
- الألفاظ الإنكليزية في اللهجة العراقية ؛
- الخلاصة .
- اقتراح جمع الكلمات الأجنبية المستعملة في اللهجات العربية وتوحيد ما يقابلها من الفصحى .
- اقتراح نشر الكلمات العربية واستعمالها بدلا من الدخيل .
- تخصيص قانون الحفاظ على سلامة اللغة للعربية .
- اقتراح الدعوة إلى تطبيق القانون في البلاد العربية .

(٥) انظر المقتنيات على البحث في محاضر جلسات العودة الراهمة والأربعين (جلسة الأربعة ٩ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٨هـ - ١٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨م)

تصدير

والإنشاء والتعبير ، ولتزام القواعد
وأساليب البيان الأصيلة ، وطريقتها
البليغة ، وسبيلها المتطورة .



نظرة في النضج العربي

للإنسان تاريخ طويل في هذا الجزء من
الأرض . وقد مرت به من طبقات الأمم ،
وأجناس الشعوب ، وغروب الشمس ألاف :
وبلغات كانت جنة عدن في العراق ، فقد أبعث
من الإنسان الأول . وإذا كنا بأساطير
الدولة لهنالك تبللت الألسن ، واختلفت
لغات ، وانطقت اللهجات .

كان العربي - على كل حال - من
المعمرين ، ووطن الأكديين ، ومولد
البابليين ومنشأ الآشوريين . وقد لحق به
الفرس ، واليونانيون ، وتخلط للعرب ،
وتوارثه قبائل الجزيرة .

وملاز حضاها يجرع ولعبه ، ويرتج فيه ،
ويحترق منه ، ويظهر أنظار منارات ؟

وطبقه نجارة الصين في الشرق ، وأما
به وولد الأفلس في الغرب . وساحه
الفرخ من الروم . وداره فرس من الهند .
طفت فيه للشرق والغرب . وربط قتال
بالجنوب .

العربية لغة قديمة ولغة حية بالألفاظ
والمصطلحات في كل أبواب المعارف والعلوم
والفنون وفي كل شؤون الحياة . وفي جميع
كتابي الفكر والتعبير . وقد أعطت الأمم
الشرقية ما تحتاج إليه من الكلمات والمفردات
وأساليب البيان في الدنيا والآخرة . وأسهمت
في تكوين اللغات الشرقية . ووعيتها (لفظ
العربي) وما زالت تنبعها بالألفاظ كما أبدت
اللغات الأوروبية والإفريقية بالعديد من كلمات
المصادر والعلم .

وقد حفظ هذا الإنسان المدين تراث العرب
في العلم والأدب والفلسفة والصناعة والفن .
وحفظ موارث الإنسان وما خلف من عجاج
وحضارة وفكر ، في كتب وأسماء ودفان
بلغت الملايين تنعرجها دور الكتب والمخازن
العامة والخاصة في الشرق والغرب .

هذا - وليس لنا (إذا فرغنا اللهجات)
(لا) القصص ، رابطة قوية بحكمة مبدية
أمة ، غلبت من لؤوسها ، والمخالفة حليها ،
وتورثها ، والسعي لتقريب القلبية منها .

ثم لابد من اجتناب اللحن ، وتزجيم
اللسان والقلم ، ورعاية الصفاة ، وتوحي
السلامة والسلامة والسهولة والوضوح في
الكلام والبيان ، والتأليف والمصون ،
والترجمة والفنل والعريب ، والكناية

ومشى أهلهم في مناكيب الأدهى فهاضوا
الجروم ، ووصلوا إلى الصرود وقد أوجفوا
خيلهم على الصين . وأقبلوا يزفون إلى بلاد
الإفرنج وملأوا أعينهم إلى ما وراء المحيط .

وخضع هذا البلد الطيب لسلطان الترك .
وقد كان أدمه محترق قوارصهم وعط
ركابهم حطباً ورتبها أوروبا بضع سنين . . .
حول وأسم ، وأيام وأنعام ، ومال ومحل ،
ومناهب وآراء ، وعادات ولغات ،
ودينيات ولهجات .

التفت في العراق الأمم ، وتعارفت في
صيده الشعوب ، وتشابكت في وشائج
الثناء ، ومزجت في مربعه الطابع ،
وتزاوجت في ربحه العقول ، واتصلت في
ساحاته الآراء ، وتواصلت في مناته
الآلئة ، وترك كل أولئك آثاراً
مازالت ملاحها في الأخلاق والعادات ،
واللهجات ، والحياة ، والطعام ، والقياس ،
والقراش ، والرقص ، والغناء وأسلوب
المخورة ، والكلام ، ولحن القول ، والمنق .

تلك — إذن — قصة القلول كنز العراق ،
وخلاصة تاريخ اللهجة العراقية . وقصة
الأدب العامي . وهي زينة حطب طوال ،
وتليجة حصور مديدة ، وحضارة شعور
متوخلة في الزمان . فهي من موارث
تداول الحضارات ، واختلاط العالم الأدنى .

وقد طورها تأثير العصر العباسي ، وصيغها
اتصال العراق المستعمر بالجزيرة ، وصلته
الدائمة بجاراته في الشمال والشرق ، ومحكمة
المتواصل بأوروبا والغرب .

هذا — وقد جاءت التجارة بالكثير من
الأشياء والأسماء . ودخل مع الحضارة
العديد من الآلات والأدوات . فالتهجئة في
العراق موصولة بالحديث بالقديم ، متصلة
الحاضر بالماضي . فكل قول ذكرى عهد ،
وكل تعبير سمة فترة . وكل كلمة صورة
زمان .

في كلامنا ألقاها استعمالها في الحاضرة
أبو دؤاد الإباضي ، وأبو الخليل التميمي ،
والأعشى ، والأعلم المذلل ، وأمرؤ القيس .
وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم .
وتميم بن أبي بن مقبل ، والحارث بن حنظلة
الشكري ، والحطيئة ، ودريد بن الصمة ،
وزهير بن أبي سلمى ، وخسرة بن خزيمة
النهشل ، وطرفة بن العبد ، وطهيل النخعي ،
وحيد بن الأبرص ، وعدي بن زيد ،
ولييد ، والمطلب ، والنايفة . . . قد جاءت
(بك) في شعر زهير ، و (تخلق) في
شعر الأعشى ، و (الجلال) في شعر أبي
دؤاد ، و (حلوة بنوة) في شعر امرئ

القيس ، و (حيم) في شعر ليد ،
 و (النجاح) في شعر نعيم ، و (الشريعة)
 في شعر حنن بن زيد ، و (المكة) في
 شعر أبي المثلج ، و (الككة) في شعر أوس ،
 و (الملة) في شعر الحطيئة ، و (البة)
 في شعر بشر ، و (الغميان) في شعر الحارث
 ابن حلزة .

و استعمل آبلونا (الأسباب) بمعنى المتاع
 و (التقيم) في الأعمال و (الخسل) بمعنى الخلى ، و
 و (الخلد) بمعنى الرسالة ، و (النخرة)
 بمعنى الطعام ، و (الرجل) بمعنى الزوج ،
 و (الشدة) بمعنى الحزمة ، و (الشربة) بمعنى
 البخرة ، و (المصانع) بمعنى التظييد و المتعلم
 و الخادم ، و (طيب) بمعنى معاني وحي ،
 و (العلم) بمعنى الناس ، و (قفر) بمعنى
 القرد و البخلد ، و (الفور) بمعنى البحيرة
 في أيام العباسيين و المقول كما نستعملها نحن
 الآن .

وإذا قال المراقى - اليوم - (شوية) لى
 قليل . فقد قال العامري من قبل :
 معاهد لم يبق صرف الزما
 ن منها ومنى إلا شويا

وإذا قال : (يرض الله وجهك) . فقد
 قالت الرياس أم كلثوم لشريف أبي طالب
 الأنصاري : « أصلحه يرض الله وجهك » .

وإذا قال : (على منى وراسي) فقد جاءت
 في شعر نعيم بن معبد :

قالت إذا كنت من حبي بكيت دما
 فسقيا على العينين والراس
 وإذا استعمل (الظروف) بمعنى الزقاق ،
 فقد وردت في شعر أحمد بن خاتم :

أرى حمرا تشاكلها دموعي
 كأن ظروفها كانت شووني
 وإذا قال (شيخ يله) فقد استعملها محمد
 ابن عمام الأحمي الربيعي ،
 قال :

وقل لابن كيسان وقل لابن مطرف
 طيكما بين الحنايا مشبح
 وإذا استعمل (من) بمعنى حدث ، ووقع ،
 وجرى . فقد ورد في كلمة الخليفة هيثم بن
 عفان - رضي الله عنه - في قصة أبي يزيد الطائي
 في وصف الأسد ، إذ قال له : « هات ما مر
 على رأسك منه » .

وإذا استعمل (مقموع) فقد ورد
 في نهج البلاغة من كلام الإمام علي - عليه
 السلام - : « خالف مقموع » :

وإذا جمع حديد على (حديد) فقد
 سبقه أبو الطيب :
 نهاب سيوف الهند وهي حديد
 فكيف إذا كانت تزلزلة حديد

وإذا قال (حين التي تصيبك تعني) .
فقد جرت على لسان المتنبي :

خروفا من العين أن تصاب بها
أصاب عيناً بها تصاب عيني

وإذا قال (صار كفة) . فقد قالت
العرب : (كبر حتى صار كأنه كفة) .

وإذا قال - عند التوديع - (في داحة الله)
و (في أمان الله وحفظه) . فقد قال الشاعر
القديم :

لم أقل للشباب في دحة الله

وفي حفظه خدلاً تولي

زائر زارني أكام قليلا

سود الصحف بالذنوب ووتلي

وإذا قال : (حلف بالطلاق) . فني ديران
المتنبي :

لو تنكرت في المكر أقدم

حلقوا أذنك ابنة بالطلاق

وإذا قال : (تولني ، ألم أقل) أي
نسبه إلى . فني شعر المتنبي أيضا :
لما المائلون وما أئلسوا

وما الحاسدون وما قركوا

وإذا قال : (شفت عيب) أي رأيت عيباً .
فقد كتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان
بعثه : « فرأيت عيباً أن أفليك بنفسي
لا بد لها من فناء » .

وإذا قال : (حسب حسابي) : فني القامة
الأسدية :

فاحسب حسابك والخمس
كيا تنال للمتمس

وإذا قال : (فرد عين) . فقد قال إبراهيم
الخرقي : « لي عشرون سنة أبصر بفرد عين »
وفي تذكرة الحفاظ : « كان الصوري يكتب
بفرد عين » ولأبي الحسن علي بن يوسف
القفطي المعروف بالقاضي الأكرم :

شيخ لنا يعزى إلى منلر

مستبح الأخلاق والعين

من عجب البحر لمحدث به

بفرد عين ولسانين

وإذا قال : (يتعلم برأسي) : فقد قال
بدیع الزمان المملاني : « أعلى رأسي يتعلم
الحلق » .

وإذا قال (من حلاوة روعي) . فقد
قال النزولي : « فن حلاوة الروح دفت » .

وإذا سئى لجوم القكة (جدح اليتيمة)
أي قدح اليتيمة . فقد كانت الصبيان تسميها
(قصعة المساكين) .

وإذا قال : (لسانها طويل) . فقد
قالت ليلى بنت الخطيم بن عدي : « أنا
امرأة طويلة اللسان ، لا صبرني على الضرائر » .
وإذا قال : « عنة الشيء أي شياره »
فني ألفاظ الكتاب « عنة الشيء » وعين
الشيء .

وإذا قال: (دق على صدره) أى هب
عن استعداده . ففى المحاضرات : إذا
سأله : دق صدره ويقول : أفعل .
وإذا عاودته وقاضيه ، دق جبهته ،
ويقول : « لا قوة إلا بالله » نسيت .
وإذا قال : (عن طيب خاطر) ففى
خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم : « من
طيب نفس » .

ومن أمثلة الألفاظ التركبية :

أجمع (آجىق) - ناصل .

آبرى - اضائق .

اسكى - معرق ، قديم .

أخر (آخر) - ثقیل .

امزگ (امزك) أنبوبة .

لوده (أوطه) غرفة .

لورطة (أورته) زلية كبيرة .

برشى (بورغور) مسارلولى .

برنجى - أول ، جيد .

بودله (بودالا) بليد .

بوش - فارغ .

ترمس - كلمة شتم .

چاملىغ (چامورلىق) - الواقع من الطين .

چاوش (چاوش) - صريف .

چاشوگه (قاشيق) منقعة .

داطلى (طائلى) - حلوى .

دعبركه (تومبلك) - من أنواع الطبول .
سورگى (سورگى) - معلق من «سورگملىك»
أى الإخلاق .

شيش - سعود .

صغلم (صاعلام) صحيح - سالم .

صوج (صوج) - ذنب جرم ، إثم

صوى - أصل .

طاپور - فوج ، ١٠٠٠ جندى .

قابجى قىوجى (بواب) .

فلورمه - قلم المقل .

قبه (قابا) - غير مناسب ، ضخم ،
غليظ ، كبير .

قرباچ (قرباچ) - مفرعة ، صوط .

قرصاغ (قورساق) حوصلة ، كناية عن
الصبر والاحتمال .

كسكىن (كسكىن) حاد .

كتناغ (قونداق) زخار البنلقية .

كوپرى - جسر .

كوك (كوزلك) - منقورة .

كېلباغ - تعال النظر . من كىل تعال .

و «باق» من «باقدير مى» أى الإرادة .

باخذان - المدحنة .

يشاغ (ياشاق) - نوع من الكوفية .

يقلمه (يوقلامه) - قميص .

يواش (ياواش) - وويلاً ، تمهل .

ومن الألفاظ القارسية :

بابوج (بابوش) - نوع من الأحذية .
بادجير - جار الحراء ، وهو قبادا هنج ،
وقد كان يعمل في المبانى والبيوت للتبريد

بازيند (بازوند) - معضد .

بازى (بازو) - قائمة الشئ .

بخشيش (بخشى) - عطية .

بربار (برابر) - مساو ، سواء .

بشت - كلمة شتم .

بنج (بنگ) - مخدر .

پاچه - كراع .

پايه - رجل

پخته - نضيج .

جنبش - حركة ، اضطراب .

جارك (چهاريك) - ربع .

چنگال - شوكة .

مخانه - بيت .

خرده - مفرقة .

خوش - جيد .

دانه - قنبلة .

دوش - كتف .

دھل - طبل ، قارغ ، أبه .

زنانه - نسائي .

صاخته - حيلة .

ساده - بسيط .

سركال (سرکار) - رأس العمل .

شويائى (شاديائى) - تمير من المسرة .

هائرم (آفريلى) - أحسن .

گردانه - قلادة .

لته (لاشه) - بدن .

مردہ شور - غسل .

ومن الألفاظ الإنكليزية

اسيد (acid) - الحامض .

براكيت (bracket) - المثبته .

بمپر (bumper) - المصدمة .

بول بورد (ball bearing) - الحامطة الكروية .

بويار (boxer) - المرجل .

پستم (piston) - الوالصة .

پلگ (plug) - السدام .

پليت (plate) - الصفحة .

پمپ (pump) - المصفاة .

پيم (pin) - التبرص .

تانكى (tank) - الخاوية .

تاير (tyre) - الإطار .

تھر (thinner) - المرغن .

تورته (turner) - المخرطة .

جائين (joint) - المصلة .

چوك (choke) - الخائق .

دشبول (dash board) - لوح

المقاييس .

دينمو (dynamo) - المولد .

راديتر (radiator) - البرادة .

ريل (rubber) - المطاط .

دوط' (rod) - قضيب .

رطل (rat) - القطار .

سائد (ride) - الجائب .

مبات (runner) - لسان ، اللسان

مهرتلك (spring) - للنبس .

مفرون (standing) - السكان .

مفيل (steel) - الحديد الصلب .

مفلف (self starter) - لغير .

مفكن لابت (second light)

المفوء المفتر .

مفلنر (cylinder) - الاسطوانة .

مفكل زذبح (shock absorber)

- رائففة الفرج .

مفط (drust) - الفسوف .

مفوف (about) - للمفلة .

مفوف (back door) - مفاس

للكففة .

مفالفه (steamer) - المففة .

مفام (amen) - الففار .

مفامفر (top gear) - للمففن الأفمل .

مفلوفن (top wheel) - المفلوف

المفلار .

مفلر (star) - للمففة .

مفلر (the way) - مفام للمفوفة .

مفلر لابت (the way) - المففد

المففاف .

مففر (door) - مفرفد المفرف .

مففر (face) - المففر .

مففر (carburetor)

المفففا .

مففكف (guest) - المففد .

مفف لفففم (top) - مفرة لفففم .

مففف (check) - الفاففة .

مففل (cell) - المففة .

مففس (Crack Case) - لفففن .

مففف (gauge) - لفففن .

مففر (gas) - مففوف لفففنات

مفلرور (water) - المفرفد .

مفلر (needle) - الإبرة .

مفلر (see) - لففففر .

مفلر (saw) - المفد .

مفلرور (horn) - لففففر ، لفففن .

مفلرور (holder) - لففففا .

مفلرور (washer) - المففد .

مفلر (who) - المففد .

مفلرور (Water pump) - مفففة المفف

مفلر (wheel) - المففلوف .

أففلافا :

١- لفففر لففففا مفرففا - المفرة

الفاففة مفف أففر لفففنات مففان المفففن مفف

المفام والمف ولفففوف مفففة لف مفففة

العرب واللغة العربية ، مصوغة في قالب
للتأثير من لغات قبائلها ،

٢- تعتبر العامية العراقية ممزوجة
وانتشر وحفظ وحتى واستعمل من ألفاظ
لغات الأمم التي أقامت بالعراق أو حكته ،
أو مرت به . وهي كلمات معنويات .

٣- العراقي قادر على الإفصاح بكل
الحروف العربية . كما يستطيع التلظ بمثل
الحروف .

٤- العامية العراقية أقرب إلى الفصحى
وهي قادمة إلى الخلاص من التثقل . وقد
تخلصت من أكثر الألفاظ الأجنبية ، ودخلها
العديد من الكلمات الفصيحة ، واستعمل
أهلها عددا كبيرا من المصطلحات الأجنبية
واقترح :

١- جمع الكلمات الأجنبية المستعملة
في اللهجات المنتشرة في البلاد العربية
وتدوين ما يقابلها من الألفاظ العربية في
معجمات خاصة بكل بلد .

٢- جمع الكلمات التي تلحن فيها العامة
من الألفاظ العربية كذلك .

٣- تأليف معجم موحد للألفاظ الأجنبية
المستعملة في اللهجات العربية جميعا مع
ما يقابلها من الألفاظ العربية .

٤- توحيد الكلمات العربية التي اقترح
قيا بقابل الألفاظ الأجنبية .

٥- تقرر الكلمات العربية بدلا من
الألفاظ الأجنبية واستعمالها في الجرائد
والصحف ، والمجلات والراديو ، والتلفزيون
والسينما ، والمسرح .

هذا - وقد اقترح المجمع العلمي العراقي
خطة للنهوض باللغة العربية ، والمحافظة على
سلامتها . فأصدرت الدولة (القانون ٦٤)
لسنة ١٩٧٧ وهو (قانون الحفاظ على
سلامة اللغة العربية) وقد نشر في الجريدة
الرسمية - في العدد - (٢٥٨٧) - في
١٦ - ٥ - ١٩٧٧ م واعتبر نافذا بعد ثلاثة
أشهر .

وقد أوجب هذا القانون :

١- اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم في
مراحل الدراسة كافة .

٢- التزام العربية في مطبوعات
مؤسسات النشر والإعلام ، ومناهجها .

٣- استعمال العربية في تحرير :

(أ) الوثائق .

(ب) المذكرات ،

(ج) المكاتبات .

(د) المحررات .

(هـ) السجلات .

(و) المحاضر .

(ز) العقود .

٦- إنشاء أجهزة تدعى بـملاحة اللغة العربية
في الوثائق والمعاملات.

٧- استقريب النامية من التفصلي

٨- اعتماد المجمع العلمي العراقي المرجع
الوحيد.

وأنا أقترح أن تسمى المجمع العلمية
العربية ، والمؤسسات العلمية والثقافية في
البلاد العربية كلها لتحقيق مثل هذا الإقدام
وأرجو أن تصدر النول العربية جميعها مثل
هذا القانون .

حسين علي محفوظ
عضو المجمع المراسل من العراق

(ج) الإيصالات.

(ط) اللقائات.

(ي) العلامات.

(ك) البيانات التجارية.

(ل) البراملت.

(م) النماذج.

٩- اعتماد العربية في التعبير.

١٠- تجنب استعمال المصطلحات الأجنبية
إلا عند الضرورة .



الفصحى المعاصرة^(١)

للدكتور شوقي ضيف

- ١ -

ميرجع

تاريخ الفصحى إلى
بضعة عشر

قرنا ، وقد اجتازت في هذا التاريخ الطويل
مراحل وأطوارا متباعدة ولعل أول مرحلة
هي مرحلة الدين الخفيف الذي تطور بالفصحى
من لغة وثنية مادية إلى لغة ذات دين سماوي
يحمل مالا عهد للفصحى به من قيم روحية
وعقلية واجتماعية وإنسانية . وطبيعي
أن يحدث هذا الدين في الفصحى تطوراً
مائلا في معانيها وألفاظها . وحاجة يقف
مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتداء دلالاتها
ابتداء ، مثل الإسلام والإيمان والكفر والإشراك
والصوم والزكاة والصلاة إلى غير ذلك
من كلمات الدين الخفيف . وهي تكثر
جدا إذ تشمل كل ما اختاره الشعائر
الدينية والعقود والمعاملات من ألفاظ متنوعة
الدلالات ، ومما لا ريب فيه أن القرآن
الكريم يُعكّـ بكل سورة ابتداء لشريعة سماوية
ولغة دينية باهرة وأسلوب يلائم مجرى
ياخذ بمجامع القلوب .

ومرحان مابعد عصر الفتح الإسلامية
واستمر العرب في الأمصار وأعطوا
يتناولون الحياة تناولاً جديداً ، فقد تحضروا
وسكنوا القصور ونعموا بالفرش والملايس
والطعام والشارب ، وأقبلوا على التزود بما
كان لدى الشعوب الختوبة من مخزف
وثقافات . وفي أثناء ذلك كانت الفصحى
تطور وتتحوّل ألفاظها وتصح التعبير عن
دلالات حضارية وعلمية جديدة . وكـ
تحت ولشئ من ماثت الألفاظ للحضارة
المادية وأدواتها الكثيرة ، وبالمثل كم سحت
ولشئ من ماثت الألفاظ للعلوم والمعارف ،
وفتحت الفصحى أبوابها لألفاظ أعجبية
كثيرة عزيها ، تارة تخوّر فيها : في الحروف
والخرجات ، وتارة لألحور وقد عقدوا
لها كتباً مفردة مثل كتاب المغرب للجواليقي
ومحمثوا للمصطلحات العلمية بمجامع متعددة ،
على نحو ما هو معروف من كتاب مفاتيح
العلوم للخوارزمي .

(١) الفكر التفتيحت على البحث في عناصر جلسات العودة لراية والأرمن (جلسة الخميس ٧ من ربيع الآخر

سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م) .

وقد تكامل الفصحى هذا الطور العلمى والحضارى فى العصر العباسى ، وأدته أداء رائعا وهى لم تؤده من الوجهتين : العلمية والحضارية فحسب ، بل أدته أيضا أداء رائعا من الوجهة الأدبية ، فقد ازدهر الأدب بفروعه من الشعر والنثر وظهرت فيه فنون مستحدثة مثل الشعر الطعنى والرسائل السياسية والمناظرات والمقامات والنثر الهذلي والصوفى .

واستطاع الأدباء فى أثناء ذلك أن ينقلوا إلى أسلوب جديد ، هكذا به قولهم انحصت وما أوردوه من المعاني المبكرة ، مع اجتماعهم فيه للفصحى بكل مقوماتها وأوضاعها النحوية والصرفية، وهو أسلوب نهض على أساسين لفظيين ، هما نيل الألفاظ المحرشية بالمخافة ، ونيل الألفاظ العامة للسفة المبطلية . أسلوب وسط بين الغرابة والابتذال ، يقوم على الألفاظ المتخيرة التى لا تنبؤ عن قوى العباسيين المصنئ ولا عن حصن المرفف :

وتتجسد فى كتابات القناد العباسيين تسمية هذا الأسلوب الجديد باسم أسلوب المولدين ودافى يصغون به أسلوب الأدباء العباسيين ، وخاصة الشعراء ، حين يقابلون بين أسلوبهم وأساليب الإسلاميين والمجاهلين ، غير أنهم لا يمتصون فى الحديث عن بواضظ ظهوره ولا عن السبب فى أنه أصبح الأسلوب العام . وفى رأينا أنه ليس من سبب وراء ذلك كله إلا الرغبة الحقيقية لدى أدباء العصر العباسى

فى تبسیر الفصحى لعصرهم وتذليلها للناس ، بحيث لا تخفى ألفاظهم على جاهلهم ، ولا يجدون فيها إسفاقا يخل ببيانها الفصحى :

- ٢ -

وكل ما حدث للفصحى من ألوان تطور فى العصر العباسى أحد يحدث لها ما يماثله منذ أواسط القرن الماضى ، فقد أخذت تتشأ فيها مصطلحات علمية وألفاظ حضارية لا عهد لها ولا عصر ، وأخذت تظهر فيها وتزدهر فنون مستحدثة ليس لها سابقة ، وأخذ الأدباء يسعون بالألفاظ وتراكيبها نحو التبسيط والتبسير . وقد أخذ علمونا الأبرار يعمرونها - مبكرين - على أداء العلوم الغربية . وكان فى طليعة ما نقلوه إلينا علم الطب بفروعه المختلفة ، تجمردت له أولا طائفة من خير الأطباء ، ثم تجمرد له أطباء مشهورون ، ونقلت كتب فى العلوم الرياضية . ونقل رفاعة الطهطاوى لوتلاميله فى سنة ١٨٦٦ القوانين الفرنسية المعروفة باسم الكود فى ثلاثة مجلدات .

ودُخِمت كتب قانونية وقوانين مختلفة مثل قانون الحاكم الأهلية . ومضت صفوة تعنى بنقل علم الاقتصاد الغربى ومباحثه منذ نهاية العقد الثامن فى القرن الماضى ، وكان يسمى العرب علم المعاش . ومضت صفوة أخرى تعنى بعلم الاجتماع ، وجهود فتحنى زخول فى نقله إلى الفصحى معروفة .

وجعل الإنجليز فى سنة ١٨٩٥ لنهم الإنجليزية لغة التعليم فى مدرستى الطب

والعلمية ، فوقف تيار النقل في علومهما إلا قليلا، غير أنه ظل قويا مطردا في سواهما من العلوم ، وخاصة في الاقتصاد والاجتماع والقانون ، وأيضاً في الفلسفة . وبجهد الإنجليز جهاداً حثيفاً وتحصل على استقلال عقيد يعض الشروط ، وتتحول الجامعة المصرية الأهلية إلى جامعة حكومية ، هي جامعة القاهرة الآن ، وتضم بجانب كلية الآداب كليات الطب والعلوم والحقوق ، ثم كليات الهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطري وبأخرة تضم كلية الاقتصاد . وينتالز مصر علماءها الأعلاما المتخصصون في جميع فروع العلم .

وتحدث نهضة علمية عظيمة ، ويسود شعور عام بوجوب وضع المصطلحات العلمية جميعها في القمصى ، ويخرج الدكتور محمد شرف سنة ١٩٢٨ معجمه القيس في العلوم الطبية والطبيعية ، ويتأسس المجمع اللغوى ، ويجعل من أغراضه الأساسية وضع المصطلحات العلمية ، ويتبسط بهذا الجهد منذ دورته الأولى ، وكلما أمضى شوطاً من الزمن اتسع جهده في هذا المجال ، وتكاثرت بحانه العلمية ، وإنه ليبلغ الآن مجموع ما وضعه من تلك المصطلحات أكثر من خمسين ألف مصطلح في مختلف العلوم . وليس ذلك كل ما نهض به في هذا الاتجاه ، فقد أرسى لصوغ المصطلحات العلمية وتعميقها قواعد سليمة عرسيه ضوابط التعريب من جهة ، وتعين

علماء على صياغتها من جهة ثانية ، مثل جواز تكللة المادة اللغوية بمشتقات غير معجمية ، وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، وتياسية المصدر الصناعي ، إلى غير ذلك من قواعد تيسر وضع المصطلح العلمى وتلكه تذليلاً وقد استطاعت هيأت وأعلام من العلماء في مصر والبلاد العربية أن يسهموا في هذا العمل العلمى الجليل بوضع معاجم علمية متنوعة . وليس من ريب في أن هذه الجهود العلمية الخصبه توشك أن تتحول بالقصوى العلمية المعاصرة إلى لغة علمية عالمية .

ولم تكسب القمصى المعاصرة ألفاظ المصطلحات الطبية وحدها ، فقد كسبت أيضاً آلاف الألفاظ المعبرة عن أدوات الحضارة وشتون الحياة العامة ، وكثير منها كانت قد عثيت به المجمع اللغوى الأهلية التى تكونت بمصر في أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، ووضعت لطلالة منه ألفاظا مستحدثة وارتصت بعض ما شاع منه على ألسنة الجمهور وأقلام الكتاب .

وعنى مجعنا في دوراته الأولى بهذه الألفاظ وثوقفت عنايته بها فترة ، ثم عاد إليها وألف لها لجنة ، تزخر بنشاطها بحله ومحاضره ، وبها حصيلة كبيرة من هذه الألفاظ الحضارية المتصلة بمجائب الحياة المصرية .

وبجانب ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم تحبل القمصى المعاصرة مصطلحات

وإذا كانت القصص المعاصرة قد تطورت في هذه البلادين جميعاً ، واستوعبت مالا يحصى من الأفكار والمفاهيم فإن تطورها في مجال الأدب يرجع من الشعر وأثره قد يكون أوفر نمواً وسيرة ، أما الشعر فقد كثر ما قصوه المعاصرون في البلدان العربية وكثرت هواجسهم كثرة مفرطة ، وحدثت فيه تحولات شتى من التحول والتطور ، مما أهدى للجمهور أنماط جديدة في سياسة وفروية واجتماعية . وليس ذلك فحسب ، فقد عني الشعراء بملكون أهميهم بالجماليات الشعرية التي من رومانسية ودمية ورومانسية ، وأصبحت مفاهيم شعري تتجلى تنوعاً واسعاً ، كما تنوعت أشكاله الموسيقية وظهورت ولادته في الساحة الشعرية . وتكتب في هذه التحولات في الشعر المعاصر وأعماله بحوث مطولة .

وبالمثل حصلت قصص المعاصرة فنونا شعبة مستحددة أهمها القصة والمروية ، وقد نشأ قالب القصة عند الغربيين بغير الضرورات الصحفية ، وحاشاكم لها كتاباً منذ نشأت مجلة المصنف في القرن الماضي . ولم تكن القصص تسمى بالتحسين إلا قليلاً ، في المنامة وبعض تقادح هذا وهذا ، وقد برزت القصة الطويلة للأدب العالمي ، وكنت به قصص شعبة كثيراً ، حتى إذا اصطلح أبداً في القرن الماضي حل قصص الغربيين الطويلة أسلماً في عصر بعض نماذجها ،

سياسة كثيرة ، ويصبح ذلك في اللغات الصحفية التي خرجوها بالمعنى كل يوم من القلوب العادي لها شعر بحاجة ملحة إلى معجم يشرح له كثيراً من الأفكار السياسية الحديثة التي لا تصح له مقلولها الفصاحاً كتاباً . وترك السياسة إلى لغة العهد الأدبي المعاصرة فإنها تفرق مفرق بينة عن لغة العهد الأدبي القديم ، في الشعر مثلاً يتناول القضا المعاصرون مثل هذه الأفكار أو المصطلحات : الشعر السلي والقصي والخيال والمدرسة الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية والتجربة الشعرية والفرجة القصيدة والصورة والصورة والمصنوع والأساس والملاءة ونظرية الوحدات الثلاث : وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع ، والعبية والحديث لتوتر الحلو . ويتناول المعاصرون من القضا في قصة ألباناً ومصطلحات من نفس هذا الطراز الحديث مثل : للمعبد الروائي والطبي ، وقصص والفرجة السركية والقصصية الشبه والهدد الاجتماعي والظني والإنساني والصراع الفكري والصراع الطبقي والتكوين العام للأحداث والوقائع ورسم الشخصيات وما يوشى .

وقل هناك نفس في العهد لرحى وقد التفتون . وكأننا نحاول في كل ذلك بلنة هذا أو قل هي القصص المعاصرة تتشكل أشكالاً وأعمالاً جديدة في مدين العلم والحضارة والبيئة وقد الآداب والفنون .

ثم صرنا - فيها بعد - يضل كثير منها قليلاً
دقيقاً . ولم يلبثوا في هذا القرن العشرين أن
بسطوا - وخاصة منذ العشرينات - في كتابة
القصة والأقصوصة ، وإنه ليصعب حصر
القصاص اليوم في مصر والبلاد العربية
فضلاً عن حصر قصصهم الطويلة وأقاصيهم
القصيرة . ولم تكن القصص تعرف فن
المسرحية ، وحل مكانة القصة حتى أدبنا
أولاً يتميم بعض المسرحيات الغربية ، ثم
عزوا بترجمتها للثقافة ، ولم يلبث أن ظهر
للقصص كتاب مسرحيون حديثون ،
ولهم ليعتد الآن بالمشتركة في مصر
والأقطار العربية . وفي كل هؤلاء الأدباء من
المسرحيين والقصاص وأصحاب المقالات
وآثارهم تكتب بحوث طوال .

وإذا كان العباسيون - من قبل - شعروا
بأنهم في حاجة إلى أسلوب مولى يرتفع عن
الابتذال ، ويحيط عن الإغراب الشديد ،
أسلوب وسط يقترب من أفهام عامة
المتفهمين دون ركاسة أو إسفاف فإن
الأدباء الناجين شعروا في عمق منذ أواسط
القرن الماضي بأن ملأته إليه أسلوب
القصص حيثل من الجمود والضييق والتقييد
بأضلال السجع والبدع يحول بينهم وبين
ما يريدون أدائه . وكانوا قد عرغوا للقصص
أسلوباً متحرراً من هذه القيود عند ابن
المنقيع وأضرابه ، فعملوا إلى محاكاة ، ولم
يكتفوا بذلك ، بل أخذوا يحاولون النفوذ
إلى أسلوب أكثر سهولة ويسراً ، وتضافرت

حوامل مختلفة على شيوخ هذا الأسلوب
المتحيد بسبب انتشار التعليم واستفهام
الطابع وذيق الصحف ، فكثرت القراء ، وكثرت
التبسيط والتيسير في أسلوب القصص بين
المرجعين والكتاب المخطفين . وكلما أمضت
القصص المعاصرة شوطاً من الزمن اتسع
فيها هذا التيسير والتبسيط .

ودور الصحافة في هذه القصص المعاصرة
أوسع وأكبر شأناً من دور الكتب المترجمة
والمؤلفة ، ومعروف أن الصحافة أخذت تنشط
منذ عصر الخنوي إسماعيل ، ولم تكن تتجه
مثل أصحاب الكتب إلى الجماهير المثقفة
فحسب ، بل كانت تتجه إلى جميع الطبقات
في الأمة ، وكانت عنايتها شديدة بالطبقات
الشعبية الدنيا ، إذ كانت تريد أن تحظى
بأكبر جمهور قارئ وأن تقدم له ما يفريه
على الإقبال عليها والمتاع بها ، ولذلك كان
الكتاب في أي صحيفة يحاول جاهداً أن يبسط
لغته ، حتى يلدنو من العامة ، وحتى لا يكون
بينه وبينها أي حجاب في الخطاب ، لاني
الأفكار ولا في الألفاظ ، فالأفكار مهما
كانت عميقة أو دقيقة تبسط تبسيطاً شديداً ،
حتى لا نجد الجماهير أي عسر أو مشقة في
فهمها ، والألفاظ تختار سهلة ، حتى يفهمها
الشخص العادي في الأمة دون أية صعوبة .

وتتمضي في القرن الحاضر إلى حقبة
العشرينيات التي نشأت فيها الأحزاب ، فوجد
كل حزب يؤسس لنفسه صحيفة يفرض فيها

أرامه في الحكم والسياسة، وأخذت كل صحيفة تجتذب إليها علماء من أعلام الأدب حينئذ. واختصم هؤلاء الأعلام في شئون السياسة والحكم خصومات عنيفة، وأثكروا خصومات لا تقل عنما في شئون الأدب قديمه وحديثه، وأعطوا يعرضون حل القراء - أسئلة لم وجلباً - فصولاً من أدبنا العربي القديم ومن الأدب الغربي الحديث. وبذلك التزمت صحافتنا بالحركة الأدبية، وأفادت منها فزارة في معانيها ودقة في أفكارها، إذ تولدت من أدب هؤلاء الأعلام وأضيقوا على لغتها المعاصرة مسحة من الجمال الفني مع محاولاتهم الخاصة لتبسيط النصي وتيسير أسلوبها للمعاصر حتى تسيغها الجماهير ولتجد فيها متاعاً هنئياً.

وجانبان يلاحظان بوضوح في هذا الأسلوب المبسر المبسط لتصححنا المعاصرة، أما الجانب الأول فاستخدام طائفة من أدبائنا في مقالاتهم وقصصهم لكثير من الكلمات الشائعة في العامية التي يقطن أنها غير فصيحة، بينما هي عربية فصيحة، وإن دلرت على السنة العامة. ولا شك في أنهم يقصدون قصداً إلى استعمالها في كتاباتهم، حتى يشعروا من الجماهير أكثر فأكثر، وحتى تدرك وتمثل ما يعرضون عليها من خواطر وأفكار، ونضرب مثلاً فلداً من هؤلاء الأدباء: إبراهيم عبد القادر المازني، إذ كان يمتاز بحاسة لغوية مرهفة أعاته على التخطأ كثير من الكلمات الشائعة في العامية ووردها إلى

النصبي، لأنها في واقع الأمر فصيحة، وإن لا كتبها العامة. وبذلك كان يحدث تبسيطاً - يشكف به - في تصيراته، مع الاحتفاظ في دقة بمقومات العربية وأوضاعها في الإعراب وتصريف الكلمات، ومع استخدام لغة بيانية ناصحة وصية. وهذا الجانب في الأسلوب المبسط الحديث لتصححنا يعني أن تتضاعف العناية به، بحيث يعني كل بلد عربي يوضح معجم تستقصى فيه الألفاظ العامة العربية الأصل التي تشيع في السنة أبنائه مع النص على المشترك من هذه الألفاظ بين البلاد العربية، ليستفل ذلك كله الأدباء المعاصرون في كتاباتهم القصصية والنصية. وسحرى في أن أذكر أن المعجم الوسيط صحيح كثيراً من الألفاظ العامة وسلكها في الألفاظ النصية وهو عمل جدير بالشكر والثناء.

والجانب الثاني الذي يلاحظ في الأسلوب الجديد المبسط لتصححنا المعاصرة أنه نشأت فيه بحكم التطور اللغوي صيغ وعبارات يقطن لأول وهله أنها غير فصيحة، حتى إذا عرضها العاملون باللغة على قواعدا وتصاريها وجدوا لها وجوهاً من التخرجيج تجعلها عربية فصيحة. وتعني بذلك لجنة الألفاظ والأساليب في المجمع، وقد أخرجت في هذا العام كتابها الأول، وهو يسوغ كثيراً من هذه العبارات والصيغ. والنصبي المعاصرة في هذا الصنيع تجرى على سنن اللغات، فتراكبها وصيغها جميعاً لا تستعصى على التطور، ولا هي أشياء ثابتة رابطة كالصخر الأصم، بل

هي كانتات حية مثل أصحابها ، فهم في تطور وتغير مستمرين من يوم هوولهم في مهودم إلى يوم استقارهم في لهودم : وكذلك التراكيب والصيغ في اللغة ، فهي ما تبقى تتحرك وتتطور وتتغير ، وهو جانب واسع جداً في الأسلوب البسيط الجديد لقصصها المعاصرة ، وينبغي أن لا نغلق أبوابها من دونه ، بل نفتحها على مصاريحها للعبارات والتراكيب المستعدة ما دمنا نجد لها تخرجاً يسوّعها ويسبغ عليها صمة القصاحة .

— ٤ —

ولعل في كل ما قلعت ما يصور كيف أن القصص المعاصرة تعيش مرحلة خصبة من جميع الوجوه ، إذ وسعت مضامين شتى من العلوم والآداب ، وتغلقت إلى أسلوب مبسّط ، من شأنه أن يساعدها على انتشارها في جميع الألسنة ، وقد ظهرت بفنون كانت شائعة بالعامية ، مثل فن القصة الطويلة ، فقد كانت العامية تتعد بها قبل العصر الحديث ، كما أسلفنا ، وما إن شركتها القصص المعاصرة حتى أصبح لها القدر المثل في لغة القصص . وبلاحظ أن القصص التي لا يزالون يحتلون العامية أداة لقصصهم في عصرنا لا يتنوّون يحوّلون في تراكيبهم وعباراتهم بحويزات متنوعة بحلولين للحاق بركب القصص . ولا أراني أغلو إذا قلت : إن اللهجة العامية المستخدمة في كثير من القصص والمسرحيات المعاصرة ليست هي نفس اللهجة العامية اليومية

المتناولة كما قد يظن كثير من الناس ، بل هي لغة وسطى بين العامية والقصص . وهذا نفسه يلاحظ في الأزجال الشعبية المعاصرة ، فلمّا تقترض كثيراً من كلمات القصص المعاصرة وتراكيبها ، ومعنى ذلك أن الفنون الأدبية في العامية تتلخّص في عصرنا إلى الاقتراب من القصص فتدقّقاً يشر بأنها ستصبح يوماً لغتها السائدة . ومن هنا كنت أحالف من يبالغون في تقدير خطر العامية على القصص المعاصرة ، والحقيقة عكس ذلك ، فإن القصص المعاصرة متأثرات تظهر العامية في كل ميدان تلتقي معها فيه .

وكلنا نعرف أن القصص المعاصرة لسّحت منذ القرن الماضي على أكبر مساحة لعمية شعبية في العصر ، وأقصد مساحة الصحف ومربنا أنما أثرها في أسلوبها المبسط المعاصر . ولم نعرض لأثرها في أدبها ، وهو أثر واسع ، إذ جعلته يحمل ما يعزّز حصره من الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والفكرية ، جعلته يحمل صوراً أدبية جنيلة . ولست أريد أن أتحدث الآن عن هذه الجوانب إنما أريد أن ألفت إلى أن الصحف لم تقف عند مخاطبة فئة متغنة بعينها ، كما كان شأن أجيالنا المتخاطبين بالقصص قبل هذا العصر ، فقد تحطت لعصرنا الحواجز الطبقيّة في الشعب وبخاطبت جميع طبقاته وبجماهيره . وما هي ذي الملايين في بلادنا القرية تغلو وتروح كل يوم في أيدي الصحف تحراً لها صباح مساء . وهو

غزو كبير الفصحى غرت به العامة منذ
أواسط القرن الماضي ، إذ سلبها جمهورها
القارئ ، وجعلته يحس بقوة أن مثله القارئ
الأعلى إنما هو في الفصحى المعاصرة .

ولم تستول الفصحى للمعاصرة من العامة
على ساحة الصحف وكلماتها المطبوعة فحسب ،
بل قد أخذت أيضاً تستول منها على ساحة
الإذاعة وكلماتها المسموعة والمرئية ، وحفا
تكثر في هذه الكلمات الأخطاء النحوية
والصرفية ولكن هذه الأخطاء ستزول في رأينا
حتماً بتأثير الرأي الأدبي العام وما يتطلبه
في المسموعات والمقروءات من الصحة اللغوية .
ولا ريب في أنه يوجد بين المتحدثين في
الإذاعات من يمتون بلغتهم وصياغتهم وخاصة
الأدباء المعاصرين . والإذاعات تعد سبباً -
وسيلة مهمة من وسائل نشر الفصحى في
عصرنا ، لكثرة الملايين المستمعة لها يومياً
كثرة تروق كل حد ، إذ تستطيع أن تحمل
الكلام قرأ إلى جميع أرجاء العالم في الشرق
والغرب : إلى من يسكنون القصور والإكواخ
ومن يتزلون على سفوح الجبال وفي بطون
الأودية ، ومن يعيشون في المصانع والمدن

وفي المزارع والقرى وفي البوادي والنجوع .
والمستمع إليها ليس من الضروري أن يكون
قارئاً ، فهي تخاطب القارئ والأمين على
السواء . ولهذا ينبغي أن تتضاعف الجهود
في مختلف الإذاعات لتبلغ بالفصحى المعاصرة
العامة المأمولة لها من اللبوع على جميع الألسنة
في بلداننا العربية .

وواضح مما ذكرت أن الفصحى تحيا
في عصرنا حياة مزدهرة إلى أبعد حدود
الازدهار ، وهو ازدهار أتاح لها لغة علمية
حديثة وفنوناً أدبية متنوعة وأسلوباً مبسطاً
ميسراً ، مع استيلائها على ساحة الصحف ،
ومع محاولاتها الجديدة في الاستيلاء على
ساحة الإذاعة . وإلى أن نؤمن بأنها ستظل
ترداد ازدهاراً وانتشاراً من يوم إلى يوم
حتى تصل نهائياً في الألسنة مكان العامة ، لا يهاين
لها من الفنون الأدبية الشعبية فحسب ، بل
أيضاً في طبقات التخاطب اليومية :

شوقي صيف
عضو المجمع



خواطر حول الترجمة الذاتية في العصور الإسلامية

للمستشرق الألماني الدكتور رودلف لحايم

عندما

يسعين المستشرق الغربي
بمراجع التراجم المتنوعة
الفنية ، التي خلفتها لنا العصور الإسلامية ،
يستعرض انبعاثه بجفاف في مادتها سواء
في لغتها أو في طريقة عرضها ، كما يلاحظ
فيها غالباً مغالاة في الموضوعية ، تحرص
كل الحرص على كتم الأمور الشخصية.
ومن الغريب أن يتم ذلك في نوع من الأدب
عماده الشخص المترجم له ومحموده . وحينما
ما ينتقب المرء في تلك التراجم الثروة - وكم
فيها من قطع التراجم الذاتية المغالاة ، سواء
بصفة الحكم أو الغائب - عن محاولة
تظهر معالم الإنسان الفرد في كينونته وتطوره ،
وتبين دوافع أعماله الشخصية ، أو بتعبير
أخر : عن محاولة تحديد معالم شخصيته ،
وتمهّد السبيل للوصول إلى حكم حوله كفرد
في حياته بالآخرين في خضم ذلك المجتمع .

وقد يمر المرء أحياناً في بعض التراجم
اللاتية على أهوال أو إشارات طفيفة إلى
عوامل أو تطورات نفسية تفصح عن
ذات المتحدث ، ولكن علينا أن نذكر ، في
الوقت ذاته ، أنها إنما تهدف إلى تبرير موقف
الفرد في نظام اجتماعي شامل ، يحدده الدين
وإبطاً للفرد فيه بربه وبجماعة المسلمين .

وما أشدّ اللعنة التي يثيرها هذا التقرير
فكلنا قد أصبح بنوع العرب منذ عهد
شعراء الجاهلية في وصف الخزيات ، واطلع
على ثروة تراثهم التي أفصحوا بها عن
معالم شخصية الإنسان بأوجز العناوين ،
واستقوها عن طريق المراقبة الدقيقة ،
والملاحظة الواعية العميقة . والعرب هم
الذين حققوا أبهر الإنجازات مثلاً في مضمار
النحو والبلاغة ، وهاجروا أدقّ المسائل

(٥) انظر المحاضرات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة والأربعين (مجلة البعث ٩ من ربيع

الأخر سنة ١٩٣٩٨ = ١٤٦٠ هـ مارس سنة ١٩٧٨ م) .

والأمور المفردة ، ووضعوا المبادئ التي مهتدت للوصول إلى أحكام تركيبية ومناهج شاملة كلية ، فلا مجال إذا للتساؤل عما إذا كان المصنفون قد حجزوا أو رغبوا عن إصفاء صورة كاملة لمن يترجمون له ، بل علينا أن نبحث عن الأسباب التي حدثت بالمسلم آنذاك إلى التخلي عن تلك الصورة الكاملة .

وبكل ما يقتضيه الموضوع في مجالنا هذا من حذر وتحفظ ، سأحاول فيما يلي حرص بعض الفحواطر التي اكتسبها من من تجاربي مع أمهات المصادر ، أو مع الناس في حبرهم بينما عن بهرج المدينة الحديثة .

كثيرا ما كتب وقبل عن تأثير طبيعة الأرض والمناخ في تصرفات الإنسان ومعلم شخصيته ، وطبعها إلى حد ما بطابعها على توالي الأحقاب والتاريخ . فإن صح ذلك ، وجب علينا أن نعلم بأن تصرفات الشرق تختلف في معالها عما يصلح للمقارنة بها من تصرفات الغرب . وليست هذه للمعلم قطرية ، بل مكتسبة من المحيط وحوامله وتأثيراته . فإذا ما تنقل غريب في أرجاء الشرق العامرة ، و انتهى إلى مناطق مزوية ، أو بكبدات لا تزال تتحلل بطابع العصور الإسلامية الأولى ، فثقت نظره نموذج من التصرفات بين الناس ، يتلاءم مع الجو الذي يألفه ويعهده في كتب التراجم وسير الرجال .

وعلى سبيل المحصر : إنه سلوك مجتمع أبوى تجاه غريب ، تنهل لفته من مفردات التصوص للقدعة ، حرية أو فارسية ، ويفسد حوارا أدبيا حول التراث كتصوير عن حضرة حية واحة لتاريخها ، متكاملة في ذاتها ، وحرقة في أرومتها ، فكان كلما تم لقاء أو حوار مع شيخ أو مفت من أهل تلك المناطق والبلدات تكتشف للغريب ، أنه يدور على خط متكرر ووثيرة متشابهة : وهي حفاوة في استقبال الضيف ، ومسامرة طويلة لا يشوبها الشك ، وعماها الروايات كما نعهدا في تراث المصور الإسلامية ، وغالبا ما تستدعا أو تتحللها الشواهد التي يرددها المحدث عن ظهر قلب ، ويقف الضيف الغريب حيلفا أبدا موقف الآخذ المتعلم . ولكن هذه الأحاديث لم تتخذ يوما وجهة التنقيب عن أية مشكلة قد يتضمنها موضوع الحديث ومادته للوصول بها إلى إمكانية قد أو تحليل داخلي للروايات المتناقلة ، بل كان المحدث يفتق الباب حل مصراحيه في وجه أي شك أو تحمين بقوله : « والله أعلم » .

فإن تطرق الغريب إلى أخبار حياة محدثه لم يشعر أبدا بأنه قد أثقل عليه بطرقه هذا للموضوع ، بل يتابع المحدث كلامه دون أن يخبر من جنده وصوته ، مادام السائل قد اكتفى بالاستعلام عن وقائع حياته الظاهرة ،

وخصوصاً من أسماء شيوخه والكتب التي قرأها عليهم، وثلاثة من النواثر والطرائف التي جرت معه ، وغالباً ما يكون حديثها موجزاً ، بحيث لا يفقه إلا الخبير مغزاها ومعناها . فإن سَمَّ السائل من رقابة هذه الوقائع الظاهرة ، وحاول اختراق الحجاب الذي أحاط بالحدث به نفسه ، ليطلع منه شيئاً مما يمكن أن ندعوه بتعطيل التجارب الشخصية ، إذا به يشعر بأسباب المحدث وتبرّيه من الإجابة عن هذه الأمثلة ، وقد يموّذ منها بلباقة الصمت ، ويدعه غالباً برفع صوته ، ولفظ ذلك الصوت ، لو نقل : إطلاق تلك الطريقة ، التي رسمها لافريون قبل ماينوف عن ألف عام بالحرفين «مض» . وبذا يدرك السائل أنه يجاوز حدود عالم لا يرغب المحدث أبداً بالكشف عن خباياه . وذلك لسببين تتساوى أهميتهما حيناً وتتفاوت أحياناً ، كما ثبت لنا مراراً وتكراراً عبر السنين . ويمكن السبب الأول في شعور المحدث بتأليب الضمير ، لاقتناعه بأن كثرة الكلام قد تعدد وتشوّء الحوادث والحقيقة أكثر مما تفيدها أو توضحها ، وكذلك في وعيه الجبم ، بأن تحديد الاعترافات في صورةٍ وشكلٍ لغوي يجعلها تختمل معاني عديدة ، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك ، بأن تأويلها النفسي لا يتمدى إذاً مجال التخمين . أما السبب الثاني فيرجع إلى حياء المحدث ونحجك من الإفشاء بأمور شخصية ، لا يجوز لأدب المؤدّب أن يطلع الناس عليها ،

تحسباً بالقول الشائع : « رأس مكارم الأخلاق الحياء » . وإنما ليصعب علينا - نحن الغربيين - أن نتصور أنفسنا في موقف المسلم هذا . فقلقد فقدنا في عصرنا الحاضر هذا الحس المرهف ، ونفشت لدينا خوفاً لا تقدر ولا ترضى حرمة الأدب والاحتشام والحياء .

ولقد حرص المسلم في العصور الإسلامية حتماً على توسيع حدود الحياء ، ليتسع بذلك ما استطاع حماه الشخص . وهذا السلوك ينبع عادة من علاقة الفرد بالآخرين ، والتي تتميز بأمرين : أولهما الظاهرة التي يمكن ملاحظتها منذ أقدم عصور التاريخ ، وهي تفيد وارتباط الفرد بالجماعة ، وهذا ما يحتم بدوره وجود الظاهرة الثابتة ، والتي لا تزال نراها أيضاً في عصرنا هذا وفي مدننا التي تكاد تنحصر بنا ، وهي التباعد الجلي بين الفرد والجماعة . وقد يبدو هذا متناقضاً للوهلة الأولى . ولكنه يرجع حتماً إلى اتساع رقعة الأرض وقسوة الطبيعة والمناخ الذي ينجح إلى الطرفين ، متغلباً بين القليظ والبرد . وكما علمنا التاريخ ، فإن هذا قد أرغم البشر على الاجتماع والتعاقد من جهة ، وجعل الفرد من جهة أخرى يحرص على جعل مسافة فاصلة بينه وبين الآخرين ، لكي يصون هويته ، وخصوصاً في مجتمع يقوم على الشريعة التي تحدد وتنظم للناس جميع مجالات الحياة . ولعمري فإن من أعظم الأمور وأجلها بالإعجاب ، لاجتماع الإسلام ، أنه قد أوسع الفرد - على

ارتباطه - محالاً واسماً لتفتح ذاته وانطلاقها .
 ولقد لعب الشعر دوراً كبيراً في التعبير عن
 ذات الفرد ، وتسجيل تجاربه النفسية ، مهما
 تأثت من الشريعة ، أو اتخذت موقفاً ناقداً لمزاةها .
 وإن هذا الدور لم يَكنْ يَكوناً إلى الآن حقه من
 العرض والدراسة ، ولربما كان من أسباب
 عدم اقتضاء الحاجة في المجتمع الإسلامي
 إلى ذلك التطور الذي جرى في الغرب ،
 وأدى إلى الفرد على الكنيسة ، نتيجة ضغطها
 على الفرد ، وتضييق الخناق على مجالات حريته
 الشخصية .

إن شدة اقتراب المرء من الناس قهره
 عنهم ، وقربه بهم ، وخصوصاً إذا شعر
 أنهم يمثلون طبقة اجتماعية مهيمنة . أما
 الاعتماد المؤدى إلى نوع من الحرية والصفاء
 وقد يتصدد هنا ويُنهم حرفياً ، وقد يحمل
 على الجاز ، وذلك على مثال النوع الأدبي
 الذي أحبه وتفقه الشرقيون بحسن أدائه ،
 وهو المثال والحكاية الطويلة القصيرة أو الخرافة
 فيها يتمسك المحدث صورة شخص آخر ويعبر
 عن أفكاره بلسان ذلك الشخص . أما المخطط
 وخلفية التجارب فقد تتطابق مع الأحداث
 جرت في حياة المحدث نفسه أو غيره ، ولكنه
 عاشها على أي حال فكراً ومفعولاً .

ويمكننا أن نذكر في هذا السياق المشرق
 الألماني الكبير Helmut Ritter الذي
 اهتم بالشاعر الفارسي فريد الدين عطار ،
 وشرح أعماله . فإن الطريقة التي بسطها

لقراء تلك المادة الشعرية ، تتضمن - كما
 أشاء بنفسه إلى ذلك - كثيراً من الاختلافات
 والتجارب الذاتية المعنوية ، التي تفتق في
 جزئياتها مع واقع حياته . وهكذا فإن تغير
 الملايس والأحوال أهمية له في هذا المجال ،
 وما ينطبق هنا على الشرح ينطبق أيضاً
 على المؤلف والشاعر .

وقبل أن ننقل إلى بعض الأمثلة للتليل
 على ما أشرنا إليه ، أود أن أذكر كاتباً ألمانيا
 بكاد يعرف معظم العربيين حكاياها الحكامية
 وقصصه التعليمية منذ طفولتهم ، فإن بعض
 ألكلوه حول الترجمة الذاتية قد تساعدنا
 في فهم مسألة التراجم والسيرة الذاتية في
 العصور الإسلامية إنه الكاتب Wilhelm Busch
 ولقد ترجم نفسه بعنوان " مني " وعني " ،
 وافتتح ذلك بأسلوبه المتميز بإيجازه وحسن
 إصابته ، قال :

" لا شيء يبدو على حقيقته التامة ، ناهيك
 عن الإنسان ، هذه التركيبة الجبلية التي تفيض
 بالليل والنزوات وأقنعة الزهر والخيلاء .
 وكلما أريد المرء أن يعرف شيئاً اضطر
 إلى الاعتماد على الرأس بل للرؤوس ، وهم
 عدم لا يوثق بهم ، فاني له أن يعلم الأحداث
 على اليقين . ومن منا في هذا العصر يترك
 السلاجة ، حيث يصدق أقوال التراجم ، أو
 نوايح العالم ، إنها كالأساطير أو الحكايا وما
 ذكرت الأسماء فيها ، ومضى زمناً ومكاناً ،

إلا ليسهل تصديقها . وهي شتى ، فقد تُروى لمتعة ، أو التحليم والوعظ ، لا ضير في ذلك . ولكن إن لم يكن أحدنا فصيحاً بليغاً ، ومتمرساً بشئ علوم الدنيا والآخرة ، وأصرَّ على الكتابة عن نفسه ، فالأولى له أن يوجز في قوله :

قد لا نثر على شيئٍ خرقٍ لهذا النص في التراث العربي أو الفارسي والتركي ، ولكن أفكاره وميوله تتجلى في آلاف مؤلفات من الشواهد : ولم يكن انطلاقي من هذا الأديب الألماني صدقة أو عيباً ، فلقد حدثت عن ذكريات طفولته حادثة ثمها ، وقال :

« ما حساني أعرفك عن العام الثالث من عمري ؟ لقد كان عمادنا Heinrich يصطحبني مزامير جبلة ويعزف عليهما ، والعشب في الحديقة كاد يطاولني ، والبازلاء أطول مني ، وخلف البيت المسقوف بالفس ، وإزاء البئر ، كان هناك دلو كبير مليء بالماء ، لمحت فيه أحق الصبيرة ملقاة كصورة في إطار : وعندما أتت أمي ، لم تسطع إحادتها إلى الحياة . »

إن حادثاً مشابهاً لهذا قد حصل مع الشيخ السويدي من أهل بغداد ، وهو ابن أخ الشيخ السويدي الذي تلقى عليه العلم العلامة الألماني Hellmut Ritter عام 1916 فعندما كنا نزود معه مرة قبر عمه في مقبرة الشيخ معروف الكرني القديمة الشهيرة في كانون الثاني من عام 1962 ، سأله عن ألام ذكريات طفولته ، فأجاب :

« لقد كان لي أخ أكبر مني ، وقد حفظ القرآن على جدنا . وذات يوم رأيت ملقاً في الخوض أمام بيتنا ، وبدا فيه أصغر مني ، وظل على حاله حتى انتشله الناس منه ، وبعد العصر بدأت بحفظ القرآن على جدنا . »

كلهما — الألماني والبيضاوي — يربطان بالحادث تجربة فيزيائية ، انضمت أبعادها لهما فيما بعد . وبينما يلمع حجم جسم البيضاوي بالنسبة إلى أخيه الغربي والأخير منه سادورا مباشراً ، نجد لدى الألماني في طرف الرواية ، وقد حركته التأملات للتأخرة . ومثل هذه التأملات هي التي تسود حاداً جري في طفولة النحوي الشهير أبي العباس ثعلب (توفي 291 هـ = 904 م) ، فهو يقول :

« رأيت المأمون لما قدم من خراسان ، وذلك في سنة أربع ومائتين ، وقد خرج من باب الخليل وهو يريد قصر الرصافة والناس صفان إلى المصل . قال : وكان أبي قد خلني على يده ، فلما مر المأمون وفضي على يده وقال لي : هذا المأمون وهذه سنة أربع ، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة ، وكانت مني يومئذ أربع سنين . » (الفهرست ٧٤ = المرزباني ٣٣٤ . القفطي ١ / ١٥٠ ، ياقوت ٢ / ١٣٤ وما يليها ، وقارن ابن طيفور ورقة ١ ب وما يليها) .

إن الشرق بين حنين العربي وبين الألماني هو في المتاهة ، فبينما ظلت حكايتهما منفردة ،

ذكرت مثالا ذا أهمية عامة ، أو محددا
تقريبيا لتاريخ ولادة ، نجد حكاية الألمان
تتصدّر حكايات متكاملة عديدة أخرى ،
وكلها لا تستند إلى أعمال الأدبية - إن أمكن
ذلك أصلا - ولكنهما مجموعهما تكون
سيرته الذاتية ، التي دفعت إلى تدوينها كتابة
الناس عنه . أما أمر المسلمين ، فيختلف عن
هذا تماما . فكل حكاية شخصية مرتبط
لديهم بتحصيل العلم أو التعليم والتأليف ،
ولا تُروى كرواية بعد ذاتيا . فإن بنا الأمر
مرة كذلك فإنما يكون السبب الحقيقي مضمرا
ولتأخذ مثلا حديث ياقوت الحموي
(في معجم البلدان ٣ / ٢٣٠ ، مادة
الشاذياخ) عن غرامه بالحاربة التركية وماجره
عليه . . . أو نصريح القفطي (إنباه ٤ / ٧٧)
بما خاطبه من مشعر ، عندما التقى في مدينة
حلب بالعلم الكبير ، والسير الخلق والمعاشر ،
يا قوت الحموي ، فإن هاتين الملاحظتين
الشخصيتين ههنا الدفاع والتبرير ، فلاحظة
الأول تبرر بناءه بالتقصير في عمله العلمي ،
وملاحظة الثاني تملل قصر إقامة ياقوت
في حلب . وكلاهما تفشيان في الوقت ذاته
الصبر والمثال لقارئ .

وقبل أن نقرب من نهاية حديثنا ، يمكننا
أن نتعرض بجانب آخر ، ونذكر مثالا
يبين أن العصور الإسلامية لم تخل مع ذلك
تماما من خيلاء العلماء ، المستتر منه أو الظاهر

وقد يساعدنا هذا المثال أيضا على الإجابة
عن سؤال هام في تاريخ الأدب ، تطرحه
علينا دو ما روية معاصم الرجال الشاملة الصفحة
و كالضوء للامع ، مثلا في مضمار القرن
التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ،
لمؤلفه السجواني (٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م -
٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) ، وهو : كيف تمكن
عالم أن يجمع بمفرده كل هذه المواد الموثوقة ؟
لو بشكل آخر : ما هي الطريقة التي اتبعها
مصنفه كتب التراجم ، ليتمكنوا من جمع
كل هذه الأسماء والتواريخ وحاولين الكتب ؟
لا شك أنهم تكلوا كثيرا ، وحصلوا مشافهة
على كثير من المعلومات ، واستفادوا بما عثروا
عليه من تعديدات وإحازات على ظهور
المخطوطات ، أو وجوهه على أحجار القبور
وما شابه ذلك . ولكن هذه المواد تحتاج
للمدقة ، وهنا يتعارض إلى حد ما مع
منهجية التراجم المقررة لثمة ، فلا بد أن
المصنفين قد اعتمدوا أيضا على مصادر
وأوراق أخرى . وإن الترجمة الذاتية للمحدث
الشهير وعوزخ مسقط رأسه زيد في نهاية
الحين وجيه الدين أبي محمد عبد الرحمن بن علي
المعروف بابن الديبع (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م -
٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) ، والتي وصلت إلينا
أيضا في مخطوطة محفوظة في مكتبة برلين ،
كُتبت في حياته . ، أقول : إن هذه الترجمة

تقدم لنا إشارة إلى ذلك، فهي تتفق في نواتها مع الترجمة الموجزة له التي حلقها لنا الشيخ السخاوي في كتابه «الفضوء اللامع» (١٠٤/٤ وما يليها، رقم ٢٩٥). ولا شك أن السخاوي قد طلب منه أن يحيط له ترجمته، وذلك لما ورد مكة المكرمة حاجاً في الثلاثين من عمره، وبقي فيها فترة يتردد على دروس الشيخ السخاوي، الذي يكبره بحبل من الزمن، وهذه الترجمة هي التي بذل السخاوي صيغة التكميل فيها إلى صيغة المائة، وضممتها كتابه وما أقرب الاستدلال على أنه قد فعل ذلك

أيضاً مع بقية تلاميذه وزملائه ومعارفه. ولقد ألحق بها تسعة أبيات، كان ابن المديح قد أنشدها بحضرته وعطفاً يده. ويتضمن البيت الأخير مدحاً صريحاً له، ولعله قد ألحق هذه الأبيات لهذا السبب، أي لتزعم نصه بهذا المديح. ولكن ألم تطرق نحن الآن باب الإجحاف والتكهن بأمور شخصية، لا يعلم حقيقتها إلا الله وحده، فالأولى بنا أن نقطع حديثنا ونكتفي بهذا القدر، والسلام عليكم.

رودلف زلهاييم

محرر المجمع المراسل
من ألمانيا الاتحادية

إشارات إلى المصادر والمراجع

- ١ - راجع من أجل ترجمة ابن المديح Rudolf Sellheim; Die Autobiographie des Ibn ad-Daiba والذي نشر في كتاب Folia Rara. Festschrift Puer Wolfgang Voigt الصادر في مدينة فيسبادن عام ١٩٧٦، ص ١١١ - ١١٩.
- ٢ - ترجمة Wilhelm Busch الذاتية، حتراتها Von mir ueber mich ونشرت في مدينة ليبزج عام ١٩٥٦ في سلسلة Insel-Buecherei رقم ٥٨٣.
- ٣ - راجع من أجل فريد الدين عطار Hellmut Ritter في كتابه Das Meer der Seele. Mensch, Welt und Gott in den Geschichten des Fariduddin Attar والذي نشر في مدينة لينن عام ١٩٥٥.
- ٤ - وكذلك سلسلة مقالاته بعنوان Philologica في مجلة Der Islam ٢٥ / ١٩٣٨ / ١٣٤ - ١٧٣، وفي مجلة Oriens ١١ / ١٩٥٨ / ١ - ٧٦ و ١٢ / ١٩٥٩ / ١ - ٨٨ و ١٣ - ١٤ / ١٩٦٠ - ١٩٦١ / ١٩٥ - ٢٣٩.

- - وانظر من أجل باحثي والفطن Rudolf Selheim في مقاله Neue Materialien zur Biographie des Yaqui الذي نشر في مدينة فيسبادن عام ١٩٦٧ بعنوان Schriften und Bilder. Drei orientalistische Untersuchungen في سلسلة Verzeichnis der Orientalischen Handschriften in Deutschland ملحق رقم ٧ ، ص ٧٢/٤١ .
- ٦ - ومن أجل موضوع الترجمة الذاتية ، راجع Franz Rosenthal في مقدمته Die arabische Autobiographie ص ١ - ٤٠ في الجزء الأول من الكتاب الذي نشره مع W.J. Fischel و O. Von Gruenebaum في مدينة روما عام ١٩٣٧ ، سلسلة Analecta Orientalia رقم ١٤ .
- ٧ - وكذلك كتابه A History of Muslim Historiography الصادر في مدينة لندن عام ١٩٦٨ (الطبعة الثانية) ، وخصوصاً ص ١٠٠ - ١٠٦ .
- ٨ - وكذلك مقال Carl Brockelmann بعنوان : ما صنعه علماء العرب في أحوال أنفسهم ، ص ١ - ٢٣ من كتاب : المنتقى من دراسات المستشرقين ، نشره صلاح الدين المجد الجزء الأول : القاهرة ١٩٥٥ .
- ٩ - E.M. Sartre في كتابها The Life of Jalal-Din al-Suyuti في جرائد نشرتها جامعة كمبرج عام ١٩٧٥ في سلسلة University of Cambridge Oriental Publications ، رقم ٢٥ .
- ١٠ - Georg Much في كتابه Geschichte der Autobiographie وخصوصاً فصل Selbstdarstellungen von Trägern des geistigen Lebens in dem mittelalterlichen Kulturbereich des Islam ص ٩٠٥ - ١٠٧٦ في المجلد الثالث ، النصف الثاني من القسم الثاني ، والذي نشر في مدينة فرانكفورت عام ١٩٦٢ .
- ١١ - G.E. von Gruenebaum في كتابه Der Islam im Mittelalter نشر في مدينة زوريخ وشتوتجارت عام ١٩٦٣ ، وانظر خصوصاً الفصل السابع Das Menschenideal والثامن Selbstdarstellung : Literatur und Geschichte
- ١٢ - وكذلك مقال Von Sinn und Widersinn der Biographie في مجلة Mitteilungen des Oesterreichischen Staatsarchivs (Festschrift Hanns Leo Mikolitzky) ١٩٧٢ / ٤٣٧ - ٤٤١
- ١٣ - Bruno Liebrucks في مقاله Das nicht automatisierte Denken في كتاب Philosophie in Selbstdarstellungen نشره L.J. Pongratz في مدينة هامبورغ ١٩٧٥ ، الجزء الثاني ص ١٧٠ - ٢٢٣ .

قصة العامية في العراق :

تاريخها وواقعها

للدكتور ابراهيم السامرائي

ليس

بها ، ولست أرى أنها وجه من وجوه الإعراب من المعاني التي نتمتع بها في عصرنا هذا ، ولكني أبحث فيها على أنها ظاهرة لغوية لا بد أن نقف عليها وقفة خاصة . ثم إن فينا حاجة إلى أن نعود إليها لأنها تحمل التضمين على نصيحتنا التي نجتهد أن تكون لغة العصر ولغة الحضارة الحديثة وأن نمجد لها شجراً كما كان لها من المكاة والذرة والسعة طوال عصور ماضت . لقد كانت لغة الدنيا المعاصرة ، لغة العربي وغيره مسلماً كان أم غير مسلم .

ثم لا بد من العودة إلى العامية لماذا ألغوا ؟ لقد كانت لغات عامية طوال عصور عدة ومن غير شك أن العصور العامية قد شهدت هذه الأنماط العامية ، وأن كُتُبَ الجاحظ دليل وشاهد على أن البصرة والكوفة وأمصارا

أخرى كانت تصرف أمورها في عاميات تقرب وتبعد عن اللغة الفصحى . لقد ذكر الجاحظ أن يزيد بن مكرّم الحميري الشاعر وقد اقتيد في شوارع البصرة وهو على حمار لأنه قال من زياد بن سمية . كان الأطفال يهزأون به مرددين كلاماً فارسياً وهو يجيبهم بالفارسية مخرّجاً بأمر زياد سمية واصفاً إياها بدروسي ، أي البسي .

وحسبك أن تعرف أن الفارسية تأثرت كثيراً في لغة البصرة ، فقد شاع في أهلها البدائية طريقة في التسمية جرت على النحو التالي ، وهي الأعلام المختومة بألف وتون مثل : زبيران وهو موضع منسوب إلى الزبير ، ومنه عثمانان وطلحطان وزيدان ومهلبان وقتيبان وحمرانان وغيرهما كثير أيضاً . وهي منسوبة إلى حيان وطلحة وزيد والمهلب وغيرهم . ولقد استولاهم البلاذري

(*) انظر التفصيلات على البحث في محاضر جلسات الندوة الرابعة والأربعين (مجلة البعث ، مائة وثمانون العدد)
سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ من مارس سنة ١٩٦٨ .

في «فتوح البلدان» وحته أصلها ياقوت في
«معجمه» .

ومازال شيء من هذا في أيماننا هذه يحصل
هذا الرسم الأعجمي في أعلامهم ، فنحن
بجد اليوم :

يوسمان ووجتيان» بجم أصحجية أو كتيان
بالكاف ، ومن غير شك أنها قُتيان
التدبئة التي مر ذكرها ، وعُويبيان ولا أدري
إلى من نسب هذا المكان ومثله «مهيجران»
بإمالة الياء ، وأكبر الظن أنه «مهاجران»
منسوب إلى «مهاجر» وهو أحد من الناس
بجهله .

وقد عرّض الجاحظ في «البيان» بلغة الكوفة
وأشار إلى عاميتها وشيوع النخيل الأعجمي
فيها فقال : «هم يسمون السوق «وارار»
والمرتبعة «جهارسو» والقناة «خيار» وغير هذا
جد كثير .

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة العراق في
البصرة والكوفة وفي غيرها من الأمصار
قد دخلت إليها الألفاظ الأعجمية وشاع فيها اللحن ،
كما حدثتنا المصادر . ولا بد لي من أن
أتبين أن ما يتصل بالحيرك والمهن من اللغة
الهكسية كان عامرا بالنخيل الأعجمي ، ومن
ذلك ألفاظ الملاحة والفلاحة وسائر
الصناعات الأخرى .

الآن ترى أن العراق البصري إلى يومنا
هذا يستعمل التبريتند وقد حوّل إلى «تروند»

وهي الأداة المستخدمة في صعود النخل ،
وهي من غير شك فارسية محضة . وأن
الكوفي وغيره من سكان المناطق الوسطى
كبعلاد مثلا يستعملون التبكيا للآلة نفسها
وقد ذكرهما الجاحظ في «البخلاء» .

والتبليآ كرامية محضة ، ومثله «السكّان»
لسكان السفينة و«النوعطاء» للعامل في السفينة
هو المردى الذي يدفع به الملاح سفينة وكذلك
«تكار» قطعة صغيرة من الأرض تزرع لتعود
غلتها إلى أحد من الناس ينصونه بها كما يفعل
المزارعون ، أي يملأونها إلى العامل في المصلحة
أو لرجل الدين الذي يسكنهم أو لغيرهما من
بحا سيم . وهي كلمة كرامية استعملها العرب
ومازالوا يستعملونها في العراق .

ولولا أني أغشى الإطالة لأثبت بنماذج
كثيرة من هذه البقايا الآرامية التي مازالت
حية في العامية الدارجة في كثير من حواضر
العراق ولاسيما مدينة الموصل الشهيرة .

ومثل هذا «الثالة» أي النخلة الصغيرة
وقد استعملها الرسخري في «الأساس» في
حشو مادة من المواد . ومثل هذا «الكش» أي
خيار الطلع ولم ترد في المعجمات ، خير أن
صاحب «لسان العرب» قد ذكرها في حشو
مادة «حرق» و«حرق النخلة» أي الكش فيها .

وأظن أن الكلمة الأعجمية كانت بالجم
حل نطق عامة المصريين وهي الكاف الثقيلة
التي تشبه القاف كما جاء في كتب اللغة .
وهذا يدل على أن هذا الصوت الذي دخلت

منه العربية الفصحى ولبت في اللغات السامية
كان عامراً في العربية العامية .

ولا أريد أن أقصر العلمية العراقية في
بدايتها وشيوعها على العصور العباسية ولعلها
ورثت شيئاً من ذلك في عصور سلفت. ولعل
أستطيع أن أقول : إن شيوع اللحن كان
علامة بارزة في هذه العاميات التي عمت
بلاد العرب وتجاوزت ذلك مشرقاً ومغرباً .

إذا لم يكن شيء من هذا فلم كانت صانيتهم
بلغات الأمصار والأقاليم والقبائل ؟

ولم أخذوا اللغة والشعر عن قبائل بعينها
ولم يخلطوا ذلك عز قبائل معروفة لم يتوسموا
فيها الفصاحة لخلط أهلها بأقوام ليسوا
عرباً ، وقد حمل ذلك الضيم على عربيتهم .
لَمْ يَتَجَنَّبُوا الْإِخْلَاطَ عَنْ قَبَائِلِ الشَّعْرِ وَتَغَلَّبَ
وَطَائِفَةُ مِنْ قَبَائِلِ الْحِمْيَرِ مِثْلًا ؟

ثم لِمَ وُتِّسَّ طَائِفَةُ مِنَ الْقَرَاءَاتِ بِالشَّوَادِ
وَأَنَّهُمْ مَنَعُوا بَلَّ حَرَمُوا أَنْ يَقْرَأَ بِقِرَاءَةِ
الْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْوَابِ الْقِرَاءَاتِ النَّاصِرَةِ .
أَلَيْسَ هَذَا لِأَنَّ هَذِهِ الْإِخْلَاطَ الْغَرِيبَةَ قَدْ حَفَلَتْ
بِغَضَائِصٍ تَتَصَلُّ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ مِمَّا لَا
تَعْرِفُهُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى الَّتِي ارْتَضَوْهَا أَنْ
تَكُونَ الْمَثَلُ الْمَفْضَلُ وَالنَّمُودَجُ الَّذِي يَنْبَغِي
أَنْ يَسُوَّهُ وَيَشْبِيعَ .

أقول : من أبطل هذا حتى المتعلمون
بتسجيل النماذج الغريبة والأدبية التي

وسمت بخصائص من لغة العامة . وإن
لأظن أن المفضل بن سلمة حين حقد في
كتابه الفلخر ياداً له ما جرى على ألسنة العامة
من أمثال « كان يرى إلى هذا ، وأظن أن
هذا الذي جرى على ألسنتهم من المثل لا
يخلو من سمات تتصل باللحن ، ومن أخرى
غيرها تتصف بالخروج عن الأبنية المعروفة
في العربية .

ثم لنظر إلى باب الإدغام في كتاب سيره
لنتبين أنه ضبط من صفات الأصوات
وأحوالها ما نستطيع أن نزيد في القدر الذي
نعرفه في التسعة والعشرين حرفاً . ألم تكن
طرائق النطق لهذه الأصوات التي تَبَيَّنَتْ عَلَى
الْأَرْبَعِينَ شَيْئاً مِمَّا كَانَ يَبْأُشِرُهُ الْمَرْبُوعُونَ ؟

ألم يُبَشِّرُ ابْنُ بَجْنَى فِي « الْمُحْتَسِبِ » أَنَّ
الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَدْ قَرَأَ « تَنْزِيلَ الشَّيَاطِينِ » ؟

إن النماذج التي أثبتتها الجاحظ في كتابه
عن هذا الموضوع للدليل على شيوع ألوان من
الإهراب العامية في حواضر عدة في العراق
وغيره . لقد ذكر أن اللحن تجاوز الحواضر
حتى كان شيء منه قد عرض لغة الأعراب ،
وهم الذين أخذت عنهم العربية . لقد أشار إلى
أن أسطناً قال « عَصَانِي » وهو يريد « عَصَانِي »
وفي غير ذلك أن هذه الطريقة العلمية
هي التي بقيت في كثير من لهجاتنا المعاصرة .

ولقد بقيت العامية إلى جوار الفصحى في
العراق طوال العصور العباسية ، وهكذا كان

الأمر إلى نهاية عصر النحلة الثانية . وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصحبة من القصر ما كان لها طوال العصور المتلاحقة بسبب من شيوخ الأمية والجهل ونضال التعليم ، فقد اقتصر على طائفة قليلة ضمت دور العلم وقلت المدارس ، وانتهى الناس إلى أمية شاملة .

ثم جاء العصر الحديث ونظر أهل العلم في حال العربية الفصحبة ، وكيف لها أن تواجه العصر الحديث بعلومه وفنونه . ولقد واجهوا مشكلة العامية وشقوا بها كما شق أسلاف لهم من قبل ، ولقد انصرف اهتمامهم بهذه المشكلة إلى أن ينظروا في العامية ويكتبوا في موادها وتاريخها اعتقاداً منهم أن ذلك شيء يحصلهم عليه حياتهم بـ « الفصحبة » . ولا أود أن أقول : الفصحى ، وأتى لنا هذه الفصحى ونحن نلوك حامية مرفوعة ؟ لقد وصل الأمر سيئاً بالسادة الأكرمون إلى أن خطيب المسجد الجامع في خطبة صلاة الجمعة يستعمل في خطبته ويقول :

« إن العناصر الكفوءة (كذا) على مستوى المسئولية » ، وقوله : « إنهم ينطلقون من أرضية صلبة » ومثل هذا كثير غيره . ولست أجنبه اللحن الذي يعرض لكثير من ألقاظه . لقد أشار ابن جبير الرحالة المعروف إلى شيء من ذلك منذ قرون عدة .

أعود إلى العامية العراقية المعاصرة فأقول : إن جمهرة من أهل العلم في عصرنا قد كتبوا

فيها وليس ذلك تعصباً لها ودفاعاً عنها ولكنه اجتهد منهم في أن ذلك يخدم الفصحبة التي هي الغاية المرجوة . لقد كان بين هؤلاء فلان وفلان من صفوة الأسرة الألوسية الشهيرة ، وكان بين هؤلاء الزهاوي والشبيبي والرصافي وهم جلة العلماء والشرهاء . وقد سبق هؤلاء الرجال الشيخ العاتقاني والسيد مصطفى الخليل الكرغني والسيد عبد اللطيف ثيخان والأب أنستاس ماري الكرمل وغيرهم . ولا شك في أن هذه الصفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خدمة العربية الفصحبة قبل اهتمامهم بهذه العامية .

لقد تناول هؤلاء ألوان العامية بالبحث وللوس من شعر ومثل وأساطير وألقاظ . ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبد اللطيف ثيخان أن صنع معجماً للألقاظ العامية البغدادية . ثم خلف من يعد هؤلاء نفر استأنفوا العمل منهم : الشيخ جلال الحنفي وعبد الرحمن التكريتي وغيرهما .

وشتطع أن نلمح في العامية العراقية ثلاثة أنماط هي :

الخط الجنوبي والخط الأوسط والخط الشمالي . وفي كل واحد من هذه ثنين أنه يشتمل على لون حضري وهو ما يعرف به أهل الحواضر ، ونحط وبني قروي . ولا نغفل أن يكون في الخط الجنوبي لون يلوئ يكتسب في البادية الجنوبية التي هي ليصق بمشارف القسري —

والأرياف الجنوبية . ومثل هذا واضح كل الوضوح في الخط الأوسط والخط الشمالي : ولعل من العسير علينا أن نصل إلى عراقنا واضحة في الأطلس القوي الذي يبرز هذا التوزيع الجغرافي ، وذلك لتداخل هذه المواد من حيث الخصائص اللغوية أصواتاً ودلالات .

ومن المفيد أن نشير إلى أن لغة بغداد العامية شيء لا يمكن وصفه وضبطه لأن هذه المدينة الواسعة قد التقت فيها عناصر شتى من حضريين من الحواضر العراقية المختلفة وقرويين وبدو وعناصر أخرى غير عربية . ولا أريد أن أغفل ذكر الدراسة التي صنعها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ونشرها بالفرنسية منذ أكثر من خمسين سنة ثم ترجمها قبل أكثر من عشر سنوات الدكتور أكرم فاضل المراقي ، وهذه الدراسة قديمة قد تكون غير وافية بالمطالب العلمية في عصرنا هذا . إنها تنصير في كثير من الضرورات اللغوية :

ثم إنني أستطيع أن أقول : إن جمهرة هذه الأنماط تميل إلى التقارب ، وذلك بفضل الاتصال بين أهل هذه الأقاليم بسبب شيوخ وسائل النقل المختلفة وبسبب تبدل أنماط الحياة الحديثة التي تقتضي السفر والتنقل . ثم إن هناك ما يدعو به وسائل الإعلام ، وما تفرضه من نمط لغوي يميل بهذه الأنماط إلى أن تكون متقاربة بعضها من بعض .

ولا تغفل عامل التعليم فالمدرسة قد قربت بين هذه اللهجات وجنحت بها إلى الفصحى . وقد دفعت بدفعة من طلابي وهم من بيئات مختلفة في الشمال والوسط والجنوب من العراق

وطلبت إليهم أن يضبطوا الألفاظ الفصحى التي دخلت في لغات المدن الصغيرة والقرى والأرياف . لقد انتهوا في استقراءهم إلى نتائج مفيدة كل الفائدة : وحصلت أن تعلم أن كلمات كثيرة نحو : البرنامج والحفلة والاحتفال والاجتماع والجامع والجامعة وغيرها من ألفاظ أهل القرى الجنوبية مثلاً وهم سكان الأهواز . ولقد كان هؤلاء قبل أربعة عقود من الزمن منقطعين كل الانقطاع عن كل ضرب من غروب الحضارة :

وربما كان من العسير على الموصلي مثلاً أن يفهم ساكني الأهواز ما يريد ، كما لا يفهم الموصلي نفسه ما يدرج به هؤلاء الجنوبيون . ثم ما حال العربية الفصحى اليوم مع هذه العامية ؟

أقول إن الفصحى ، كما يعلم الأصنافه الأجلاء ، قوة تجعل منها أداة فاعلة لا تنكفي بالمقاومة والوقوف ، فهي لا تنحصر أسماء العامية : ولقد رأينا أن العامية قد انحلت الكثير من الفصحى وما زالت تأخذ منه كل يوم . وقد يكون هذا الفصحى مروضاً عليها . غير أن الفصحى تعاني من مشكلات كثيرة أهمها أننا ما زلنا نجعل الكثير من وسائل تعلم هذه اللغة ولا سيما نحوها . وكأننا ننحو مائة لا علاقة لها باللغة يقرؤها الطالب فيضيق بها فرحاً فلا تدخل في سلوكه اللغوي . ومن ثم يشيع اللحن والخطأ ويصبح هذا اللحن والخطأ كأنه اللغة الفصحى ويتردد هذا الخطأ من لسان المسوع ، وكأن في أنفستنا ميلاً إلى

الأخذ به بل نهمّ إلى هذا الأخذ نحن الذين ندعو إلى التصحيح . . . وبذلك تكون لغة جديدة هي العامة الفصيحة، أو بعبارة أخرى هي العامة الجديدة .

أليس من العامة أن تشيع النسبة إلى الحياة فتكون « حياتي » وتعود حتى ليخيل إلى حضور مجيء من أسئلة الأدب أن يكتبها في مقالة له نشرت في الجزء السادس والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة وُسِّمت به « الحركة الانتقالية الأخيرة في نظام الشعر العربي » .

لقد قال في الصفحة الثامنة والستين :
« أولاً الحالات الحياتية » .

كأن هذا المصطفى المرجوة له الرحمة يجهل « الحيوية » وهي النسبة الصحيحة الفصيحة إلى الحياة . ولا أريد أن أقف على قوله في أول هذه المقالة « الفرض الرئيسى » ، كأن الفرض منسوب إلى رئيس من الرؤساء وقد فاته أن « الرئيس » وهو وصف هو الصحيح المطلوب، وبذلك يغنى عن هذا المنسوب خطأ إلى الرئيس، وذلك أن العربية تُحوّل الاسم إلى صفة إذا أريد الوصف فتكفَى بالاسم ياء النسبة، نحو فلان المصريّ و فلان البغداديّ .

ومن نماذج هذه الأوهام الجديدة التي وُسِّمت بها فصيحتنا الجديدة التي كادت أن تكون فصيحة عامة ما يشع من كلمات

منسوبة إلى المفرد وحققنا أن تنسب إلى الجمع ؟ يقال : الصراح الطبق وهو صراح بين الطبقات والقانون الدولى والعلاقات الدولية ، وهو القانون الدولى نسبة إلى الجمع والعلاقات الدولية نسبة إلى الجمع أيضاً .

والمراد هنا الجمع ، فالقانون يسرى على الدول جميعها لا على دولة واحدة ، والإشارة إلى الجمع هي المطلوبة :

وكان هذا الذى استنسخ هذا الأسلوب فنسب إلى المفرد قد اعتد على كتب النحو المدرسية فلم يتجاوزها إلى استعمال الفصحاء ، وفاته أن ليست اللغة محكومة بقاعدة صرفية، وقد اقتضت الحاجة أن ينسب إلى الجمع واللغة يسر لا عسر . ألم يشع في كتب الرجال : فلان الطرايقى وفلان الملودى وفلان الأتخاطى وفلان القُكُورى وفلان الإيرى . وعلى هذا جرى أبو الفتح هبان بن جنى فسمى كتابه « التصريف الملوكى » ، وماذا يقال في استعمال يذهب إليه هذا القوي الكبير ؟

ثم أليس من العامة الجديدة أن يوثق « البلد » و « الرأس » وهما مذكران ؟ وقد سمعنا أمس الجمعة في خطبة الصلاة . قال الخطيب : « يحتلون البلد ويذمرونها » .

وقد نسبت الجمعة التي وردت فيها كلمة « الرأس » مؤنثة : أليس هذا من زحف العامة المصرية على الفصيحة ؟ وبذلك نبأ لنا نمط جديد هو التصحيح العالى .

لعل القارئ يقول : إن هذا في لغة مصر
العامة المعاصرة وليس في العراق .

والجواب عن هذا هو كالآتي : إن شيئاً
مثل هذا يكون في العامة العراقية، وقد غزا
الفصح أيضاً ومنه « البطن » مؤثراً وهو
مذكر ، و « السوق » مذكر وهو مؤنث .
ومثله البئر والساق وغيرها كلها صارت
مذكورة في اللغة المحكية وفي الفصح الجساري
حتى السنة المتكلمين وفي كتاباتهم .

ولا بد من رجعة إلى النسبة : إلى أسبع من عملة
الإذاعة في بغداد أقرأ في الصحف كلمات هي :
« التنموية » نسبة إلى « التنمية » والتصغرية
نسبة إلى « التصفية » ، ثم قالوا : « التسوية »
نسبة إلى « التسوية » وقد كان الناس شيء
من هذا في مطلع هذا القرن درجوا عليه
ففسدوا مثلاً إلى « التربية » فقالوا : « علم
النفس التربوي » :

أقول : إن في العربية سنة وفنوننا من
الاستعمال فإذا تمسرت بناء من الأبنية أو نقل
أسلوب من الأساليب صار المعرب إلى شيء
آتعر . أليس سهلاً أن تلجأ إلى أسلوب الإضافة
فتقول : « أنظمة التسوية » بدلاً من « الأنظمة
التسوية » ، والإضافة تؤدي ما يؤديه أسلوب النسب
وبذلك تخلص من النقل البغيض الحاصل من
اجتماع الولاوين في حشو الكلمة الواحدة وهو
« التسوية » .

ومن سطوة العامية وجورها على التصحيحة
الجديدة أن قانوناً صدر في العراق لاحتساب
مدة الدراسة التي يقضيها الموظف الذي ترك
وظيفته بسبب الالتحاق إلى معهد أو كلية
وبعد أن أنهى الدراسة عاد إلى وظيفته .
فكيف تحسب هذه المدة في الخدمة التقاعدية ؟
وماذا جاء في هذه المادة القانونية ؟

لقد جاء فيها : « تحسب المدة الأصغرية .
التي يقضيها الموظف في الدراسة للحصول على
شهادة من الشهادات » . أي أنهم اعتبروا
أصغر مدة تتطلبها الشهادة مطروحة منها أشهر
الطلة الصيفية الأخيرة مثلاً .

أقول : إن هذه « الأصغرية » وهي صفة
إلى المدة مظهر من مظاهر الصفة بل غيبة
للفصيحة . لقد لجأوا إلى النسبة حتى يتبأ لهم
منها أن تكون الكلمة صفة ، وغاتهم أن الصفة
التصحيحة المطلوبة في هذا الاستعمال « المدة
الصغرى » مؤنث « أصغر » مفيدة للتفضيل
المطلوب ، ولا حاجة إلى هذه النسبة التي
أضاعت الاستعمال إلى نطع عاصي أعجمي . ومثل
هذا ما يقوله كبار السياسيين وينشر ، فوهم
في الصحف « الدولتان الأعظم » فأين
حكم الصفة ؟ أليس هذا من الجهل باليسير
من النحو العربي في موضوع مطابقة الصفة
للموصوف ؟

هذه حامية جديدة ما أريد لتفهم أن
أتمنع فيها . ولولا حرصى على الوقت لأفقت

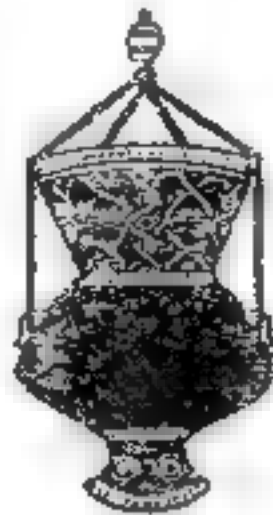
فيما أجمعنا إغاثة وبذلك يتبنا إلى معجم صغير
أدعوه « معجم القصيدة العامة » .

ولا أراقى شديداً أسجروا على العرب
وأغشيت عليهم ، ولستأوحشنا ، نحن أهل
الحفاظ على القصيدة ، في سلوكه مسله
السييل ، ولنا في خيرنا من الأمم العربية أسوة
حسنة .

لقد صدر في العراق قانون سلامة اللغة
العربية للحفاظ عليها من عائلته العامة ، وما أظن
أن خير العمل اتحاد المنتظم عاصم هذه اللغة
الكريمة .

ولئن أطلت عليكم فأعرفت ، فمفهوم
سياحة وكرم فيكم ، والسلام عليكم .

ابراهيم الصاعق
عضو المجمع التراسل من العراق



موسوعة

أعيان القرن الثاني عشر الهجري

للكنوز، إسماعيل موسى الحسيني

رغب المرادى في أن يشترك عدد من علماء الأمصار الإسلامية في تصنيف موسوعة تضم تراجم الأعيان من شعراء وقهلاء وعلماء ، كل في بلده وفي حدود ما يصل إليه علمه .

يقول الخبير في « كان - المرادى - »
مفرما بصيد الثوارد وقيد الأوابد واستعلام
الأخبار وجمع الآثار وتراجم العصريين
على طريق المؤرخين ، وراسل فضلاء البلدان
البعيدة ووصلهم بالهدايا والرخائب العديدة
وانتس من كل جمع تراجم بلاده وأخبار
أعيان أهل القرن الثاني عشر (١)

وكرر هذا القول عبد الرزاق البيطار
(١٢٥٠ - ١٢٣٥ هـ) في كتابه (حلية
البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) الذي
طبع أنجرا في دمشق بمناسبة المرحوم الشيخ
بهجة البيطار ، ولا يستطيع أن أجزم عن هذا

استرعى نظري ظاهرة خطيئة
بالتأمل من ثلاثة جوانب :
الأول : تعاون عدد من علماء القرن
الثاني عشر للهجرة في تصنيف « موسوعة »
تراجم معاصريهم ؛

الثاني : شخص زعم سمعناه مفاده أن
المعلية العربية فردية لا تعاون ولا تتألف ؛
الثالث : خزانة التراث الإسلامي الذي
ما زال عجوبنا ،

وهذه الأمور حظرتني إلى تقديم هذا
البحث إلى مجتمعكم الموقر ،

قطب الرضى في هذه الموسوعة محمد
خليل المرادى الملقب بصاحب « صلك
السير في أعيان القرن الثاني عشر »
(١١٧٣ - ١٢٠٦ هـ) .

(٥) انظر التفتيات على البحث في عناصر جلدات القصة للراية والأديبي (جريدة الاثنين ١١ من ربيع الآخر
سنة ١٣٩٨ - ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)
(١) وردت الفقرة في حوادث سنة ١٢٠٦ عند ترجمة المرادى في رآثرنا الإثارة إلى التاريخ بدلا من صفحات
الكتاب بعد طبعه .

المرادى بالمراسة : لذا أحضرنا الموثقين
بالتسلسل التاريخي .

راسل السيد محمد مرتضى الزبيدي ،
صاحب تاج العروس ، في أثناء مقام السيد
في القاهرة التي قدمها سنة ١١٧٦ هـ سنة
مولد الخبرتي - هو التمس منه أن يجمع
مراجع المصريين وحجازيين ومن للأستاد
الوقوف على ترجمته وحال من أهل الأمصار .
فأجاب الزبيدي لطلبته وشرح في جميع
المطلوب بعناية فليد المقرب إليه ،
عبد الرحمن الخبرتي - وكان يومذاك في
في العقد الثالث من عمره أو نحو ذلك .

وتابع المرادى السيد الزبيدي بالمراسلات
وأنهضه بالمصاحبات المترادفات كي ينجز وعده ،
ومن ذلك رسالة مؤرخه في آخر ربيع
الثاني سنة ١٢٠٠ هـ ألقبها الخبرتي في كتابه
(عجائب الآثار في التراجم والأخبار) في
حوادث سنة ١٢٠٦ هـ

وكانت حصيلة ما جمعه الزبيدي عشرة
كروميس رتبها على حروف التهجى ومنها
(المصمم المختص) ذكر فيها شيوخه ومن
أخذه عنه أو جالسه من رفيق وصاحب من
أهل الروم والشام والحجاز والسودان .

وتوفي السيد الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ .
وكانت أوراقه مختومة عليها ، وعندما وصل
نعيه إلى المرادى بافر إلى إرسال كتاب إلى
الخبرتي من يد التاجر القباقيب يستعنى بتحويل
ما جمعه الزبيدي من أوراق وضم ما جمعه
الخبرتي نفسه وإرساله إليه ، وسبب كتابته
للخبرتي ما علمه من أن الزبيدي ترجمه وذكر
أنه أعانه على جميع التراجم .

ويجمع الخبرتي التكراريس ونظر فيه
فوجدناها ناقصة وفيها بياضات كثيرة وقرأ
الترجم فلم ترقه لأن غالب ما فيها آفانيون من
أهل المغرب والروم والشام والحجاز والسودان
والذين ليس لهم شهرة ولا كثير بفحاحة من
الأحياء والأموات ، وأهم من يستحق
أن يترجم من كبار العلماء والأعظم ونحوهم .

ونفس الخبرتي بالعمل ، جميع ما كان
مؤده وزاد فيه ، وهم تراجم فقط دون
الأخبار والوقائع .

وفي أثناء ذلك ورد عيونه المرادى ،
عبرت عنه وطرخ الأوراق في زوايا
الإهمال مدة طويلة ، حتى كانت تتناثر إلى
أن حصل عنده باحث من نفسه على جمعها
مع ضم الوقائع ، والحوادث المتجدات
على هذا النسق .

وذكر خبرتي أمين خليفته بالتبويه :
الأول أن المرادى « هو السبب الأعظم
لداعي يلجأ هذا التاريخ على هذا النسق » .
والثاني أنه لم يعرف ما فعل الدهر بتأريخ
المرادى - سلك النور في أحيان القرن الثاني
عشر - بعد وفاته ، الأمر الذي يعهم منه
أنه لم يصلح عليه لمائة سنة ١٢٠٦ هـ ، نول
ذلك لأن « D.B. Macdonald »

كتاب مادة الخبرتي في دائرة المعارف
الإسلامية يذكر أن الخبرتي نقل من كتاب
« سلك الدرر » ، وعبارة الخبرتي وردت في
الجزء الثاني من كتابه عند ترجمة المرادى

في حوادث سنة ١٢٠٦ هـ. ونذهب إلى نقل
النقل، اللهم إلا إذا حدث بعد ذلك التاريخ.

ويقول Macdonald أيضا: ولعل هذا الكتاب
— سلك الضرر — أوحى له بالنسبة الخاصة
بتراجم الوفيات، ونقول: ثبت أن المرادى
هو السبب الأعظم الداهى لجميع عجائب
الآثار، فما كان الأمر إجماعا وإنما هو تكليف
كما ذكر الجبرتي.

ومن الإنصاف أن نثبت للجبرتي مائرتين:
الأولى أنه لم يقلد المرادى في منهجه، فلم
يقتصر على التراجم وإنما أרך لحوادث
مدخلا التراجم في إظهارها التاريخي. وهو
وإن لم يكن مبتكرا في هذا المنحى السليم فقد
فطن إلى فائدة الربط بين الحوادث والتراجم.
ويزيد في ضعف التراجم المتصلة من
التأريخ ترتيبها أبجديا بدلا من أن ترتب
حسب الطبقات، كما فعل بعض مؤرخينا
القدامى.

والثورة الثانية استقلاله في الرأي وتقدمه
شيخه الزبيدي في تراجمه — كما أسلفنا
القول — وإن كنا لانستطيع أن نثبت من
صحة تقدمه.

بقيت مسألة ينبغي أن تثبت: هل أفاد
الجبرتي من تراجم شيخه أو من بعضها؟
إن قوله: «طالب ما فيها آفاقيون» يدل على
أن بعضها للبر الأغنياء. ويلاحظ أن
الجبرتي لم يذكر مصادره، ولو فعل لتحققنا

من الجواب. ولكننا لانستبعد إفادته منها.
فقد جمع أوراق شيخه ونقل بعض الرسائل
التي جرت بينه وبين علماء عصره، مثل
الشيخ محمد بدير والمرادى.

وثالث المؤلفين الذين حرضهم المرادى
على التأليف الشيخ حسن بن عبد القليل
الحسيني مفتي القدس. فقد ذكر الحسيني
في كثر مخطوطه (أحيان القدس في القرن
الثاني عشر) أنه كتبه استجابة لطلب المرادى
وقد هنرنا على الرسالة التي بعث بها المرادى
إلى الحسيني في يوم للقدس. وفيها يذكر
المرادى أنه كلف شخصا آخر بكتابة التراجم
ولكن ما كتبه لم يف بالمراد، فعهديا الكتابة إلى
الحسيني. ولم تثبت من تأريخ الرسالة بسبب
ما أصابها من عطب.

وكتاب الحسيني على جانب كبير من
القائلة في تأريخ بيت المقدس، لأنه يأتي بعد
(الأنس الجليل في تاريخ القدس والتحليل)
لقاضي القضاة مجير الدين الجليل الذي وقف
عند سنة ٩٠٠ هـ.

ترجم الحسيني لنحو ستة وأربعين رجلا
من أحيان بيت المقدس، من شعراها
وفقهاها وقضاها. ومع أنه لا يوفق إلى
مرتبة سلك الضرر أو عجائب الآثار، مادة
وأسلوبا، فإنه يقيم في موضعه.

وجدير بالذكر أن الحسيني درس على
الزبيدي عند زيارته القدس سنة ١١٦٧ هـ في

طريقه من الحجاز إلى القاهرة . ويذكر الجبرتي أن الزبيدي ألف للحسيني أرجوزة في الفقه . وربما كانت هي الباعث على عنايته بالفقه . وقد كان له فيه باع طويل حقا . واعتدنا فتراها كاملة ، وهي تلك على اطلاع واسع وحسن نظر ، حتى أن شيخه محمد بن بدير كان من جملة من استفاد . وتولى الحسيني الإفتاء في الديار القنسية نحو ثلاثين عاما . وشاركه في الإفتاء أحيانا الشيخ محمد الطافلاقي صاحب المرتبة العالية في الأعم والفقه والمنطق .

ونسأل : هل أرسل المرادي رسائل إلى علماء العراق والمغرب العربي حاضيا على ترجمة أعمالهم ؟ أرجح ذلك وإن كنا لانملك البيئة . أما هو فقد ذكر أنه كاتب العلماء في البلدان التي لم يرها . لنا مياه « أخبار الأعصار في أخبار الأمصار » ، ثم شاع باسم « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » .

ولعل صلة غير مباشرة وجدت بينه وبين الشيخ أبي راس محمد بن أحمد الناصري الحزائري المتوفى قبل الجبرتي بقليل .

فقد درس الناصري على الزبيدي في القاهرة ، وألف كتابا مياه « السيف المنصفي في ماريته بأستيد الشيخ مرتضى » ، وأجازه الزبيدي ووصفه بالمحافظ ، وألف أيضا

كتابين هما « حجاب الأسفار » و« حجاب الأخبار » ، وهما إقبال التأسيس بما وقع . يقع مع القرنيس . إن لمسي كتابين قريبان من لمسي كتابي الجبرتي . لكن المدمش أنه لم يذكر الجبرتي ولا الجبري ذكره (١)

ونسأل : ما الذي حفز المرادي إلى التذكير في هذه الموسوعة مع أنه كان أصغر الأروبة سنا (١١٧٣ - ١٢٠٦ هـ) ؟

يلو من المقدمة الموجزة في صدره أن الدرر ، أن الباحث الأول كان دينيا ، إذ ذكر أنه « ألف في التاريخ الكبار من العلماء المؤلفات القديمة المثل ، لأن العمل في نقل أصول الدين على البحر والتعديل » . لنا صرفت المرادون منهم إلى جمع الأخبار ونقل المأثور وحفظ الآثار . ويبدو كذلك أنه كان مولما بالتاريخ منكبا على جمع التواريخ الأخبارية فاجتمع الباحث الديني إلى الحفاظ الشخصي . ولما رأى أن معاصريه قد أهملوا تراجم عصرهم نهض هو بالمهمة وجمع التراجم من الكتب ومن أفواه الناس واستكتب العلماء لياقن التاريخ شبللا الكثير من الأمصار الإسلامية .

على أن نجح المرادي والحسيني والمحيي قبلها يوحى أنهم أرادوا رسم الصورة المثالية للرجال ليكونوا قنوة حسنة للناس . ولو كان

(١) اعتدنا في هذا على بحث لبي الخاسم سة انه أسند فطريق الحديث بحاسة الجرائد لمر في كتاب (قرة : مه الرحمن الجبرتي وعصره) صادر من جامعة عين شمس سنة ١٩٧١ هـ .

المقصد ترجمة النفاذ على ما هو عليه لوجب
أن تكون الصورة أكثر التطبيقا على الواقع ،
ولوجب كذلك أن توضع الصورة في إطارها
التاريخي :

وحل كل فنان فقد كتب التراجم ينبغي
أن يتبع حتى يشمل مؤرخي الصور السابقة
وهو ما لم أقصده في هذا البحث .
وحسبنا أن نظهر الترابط بين هؤلاء
المؤرخين واشتراكهم في تصنيف أول
موسوعة في تراجم الأحياء ، الأمر الذي يطلع

همة القردية ويؤكد أن العمل الجاهل صرّف
دخم صعوبة الأسفار وحصر الطياعة . والمبرة
في الموسوعات القردية قيمتها الذاتية :
ولا يضير أحداً من حالائنا القدامى أن تكون
له حمة « جياحة » من الناس ، كما نرى في
تاريخ الطبري وعبد القير وزبائدي ولسان
ابن منظور وتاج الزبيدي وطبقات السبكي
وتاريخ ابن عساكر ومؤرخيها من الشوامخ
في تاريخ الفكر الإسلامي قاطبة ، لاقى تاريخ
المسلمين وحدهم :

استحالى موسى الحسيني
مضو المصحح



اللغة والواقع

للدكتور محمد عزيز حجابي

غرض

هذا العرض أن يقدم
لحضراتكم الجزء الأول
من معجم فلسفي يسمى : « المعين في مصطلحات
الفلسفة والعلوم الإنسانية » ورجائي أن ينال من
تقدركم قدوما سيال من رضاكم ، فالرضا تشجيع
محفز للعامل إلى الاستمرار في العمل .
أما النقد فيعرض على المؤلف أن يراجع
الخطأ ويصلح الأخطاء ؟

استعان « المعين » بجهود مجمع اللغة العربية
بالقاهرة ومجمع دمشق للفرين ، ويود
أن يستمر في مهمته ، « مسترشدا بخبراتكم
ونصائحكم ، بحلمة للأجيال الآتية .

اللغة منظومة ضرورية للحياة ، وإن
كانت مستعصية على الفهم ، تلك هي
الإشكالية التي دفعتني إلى الخاتمة التي
سأحدثكم عنها اليوم .

هذا الشيء المسمى للمعجز الذي نطلق
عليه لفظ (لغة) ما هو ؟
إنه يسهلنا إذ يبرهننا على أن نتحدث ، وأن نتحدث

طبقا لإطار ولقواعد انتجرت في غيبة
عنا ، نتعامل معه وبه ، رغم أنه نفس
مفروض علينا من الخارج .

يبد أنه يقال : (كاتب) ، و (شاعر مبدع)
و (صحافي مجلد) وكلها أتعانت لتتقضى
مسبقا ، حرية التصرف في الوسائل التعبيرية
التي يحصل بها الابتكار والإبداع والتجديد .
إن اللغة أداة ، وفي نفس الآن سر ومنظومة .
وهذا هو الإشكال الذي يزعزع العقل .
وتلك هي الإشكالية التي ينطلق منها التفكير .

إن التجار لا يقدر أن يفعل بالمطبوقة
إلا ما صنعت من أجله ، أي المذاق على
رؤوس المسامير ، فلا يمكنه أن يفكر
الخشب بالمطبوقة . لكن بما أن التجارة
الحديثة قد دخلت عصرها الذهبي للمثل
لأنها جددت أشكال الأدوات لتكييفها مع
الحاجة الضخمة الحالية (أصبح التجار
أكثر قدرة على الابتكار والتجديد في
مهامه واتسع نطاق صناعته .

(٥) انظر تعليقات على البحث في عناصر جملات العودة أرابية والأدوية (مجلة الاثنين ١١ من ربيع
الآخر سنة ١٩٦٨ - ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨)

اليومية :

فالفنعة التي تجمع بالمرونة والذلة تفتح
على ضرورة الحياة ، وبالتالي تسهم في تقدم
الحضارة فالإنسان يتحضر باللغة ، والفنعة
تسهم في الحضارة بفضل الإنسان .

إن الإنسان في المجتمع العربي المعاصر
إنسان مثقبي معاصر في مجتمع متخلف
مجتمع الحرمان والامتلاب ، ولن نستطيع
التغلب على المثبتي إلا بغير المجتمع العربي
من فكر الاجترار إلى فكر فاعل بلغة
تأخر التاريخ : لذلك يجب أن ننقش
وجدانا بقضا قادرا على التغلب الذاتي ،
فالقصد الذاتي سيطر الخلقون الواعون صبيحة
الانعام ضد الذين يهاكسون حيوية اللسان
العربي ، يحدونه في حلم كل ما فيه
يتحول ويصطو فباسم اللبام باللغة العربية
يعانقونها حتى ينفقوا عليها الأنفاس .
لقد أدخلوها في هيوية ومن الحب ما
قتل ، إن كل حديث كلام عن قضية
وليس مجرد حركة لسانها . فلا كلام دون
قصد . وللكلام المادف المفيد حجم يأخذ
حظا من المكان ومن الزمان يجب ألا
يتمناه . إن الحشو يزل بالكلمات مترلة
للكرك ، فتلا كلمة « أستاذ » عندنا تطلق
بالهوان على كل من يتأبط جريدة ، بل نسمع
داخل الحافلة قاطع التناكير يخاطب

كلذك نحن المستعملين للسان العربي ،
إننا مطالبون بأن نعي الأوصاف المتغيرة .
فأمامنا قضايا مصيرية نضغم ، يوما بعد
يوم ، المسؤولية الملقاة على ضميرنا .

فكيف نهلورها لنجعلها واحة ؟ كيف
نستطيع مصارعها بالعدة العقلية والمادية ،
مجندين القوات الشعبية بصميم التعليم ؟

فإذا أن يكون اللسان العربي هوذا أساسيا
في المعارك ضد التخلف نحروه فتصحر به ،
وأما أن نتركه طريقا صعبا المرور ، فإذا لم
تلتصق عاجلا لإصلاح ما يجب إصلاحه
بقيت المشاكل في تكرار مستديم ، فما العمل ؟
جوابا على الأسئلة تقول :

يجب أن نحرك اللسان العربي بوضع
الحركات على الحروف ، يقال عن اللاتينية
وعن الإغريقية القديمة إنها لسانان ميثكان .
نعم ، الواقع يؤكد ذلك ويرفض أن اللصق
الموت باللغة العربية : ألا نكتب بها بل
تتحدث بها في بعض الحالات ؟ إنها
إذن حية ، ولكن بنوع خاص من الحياة
فالمريض في حالة التنبؤ هو أيضا حي ،
وإن كان في غيباب بلا حضور فعلي :

اللغة ، كل لغة ، على مستوى المتحدثين
بها ، فـ لسان العربي أسجاد وجولات
في تاريخ الفكر والفنون والحضارة الإنسانية
لأنه كان يحمل رسالة تسهم في الممارسات

الراكب بالاستاذة بما يفرغ اللفظ من محتواه
الحقيقي ويجعله فضفاضا ، بلا هوادة ؟

من المسؤول عن هذا الوضع ؟

إن قوة اللغة وحيويتها تكمن في شروعاتها
مع أقصى ما يكون من الدقة . يبلغ سكان
العالم العربي ١٥٠ مليون . فكيف منهم يقرأ
أو يكتب أو يتكلم بالعربية ؟

دور اللغة أن تمكن علاقات الناس
بالواقع . فالحديث عن أى شيء يتحدد من
... إلى ... من مصطلح إلى غارئ
أو سامع . قلن تولى الكتب وطبع الصحف ؟

إن نسبة القراء من العرب ضئيلة ٨٥٪
من الأميين ، ومن الباقى نسبة أقل من
القليل تلج عالم الترفقة التثقيفية ، هذا
هو الوضع : إننا لا نرغب في التصحيل ،
ولمّا نطالب بقليل من الشجاعة ، فيها
أن اللغة تغرب عن الواقع وتغرب عنه ،
يلزمنا أن نعمل ؟

كل ما يقرب من معاصرة لساننا لواقع
العربي ، والواقع الحضارى ، دون حجب
أو ضباب ، وأول عملية تمهد السبيل إلى
ذلك هي أن نضع الحركات على الحروف .

الحروف إشارات مركبة ، ومن تركيبها
تكتسب الدلالة . فإذا فعل صنعا نكتب
بلشتا العربية ؟ إننا تعطى نصف إشارة
أو شيئا يوحى بإشارة ، فنلا دب ،
غير كاملة ، قد تكون (بة ، أو بء ،

لوبي ، أو بى ، ونجوز إضافة النون أو
الشفة مع كسر أو فتح أو ضم ، فكل
حرف يبرز في حقل من الخصيئات . إن
« تفرس » إمكانية على وجه التقريب

ونجوز أن نقول إن كلمة من أربعة أحرف
نضع للطفل ٤٤ سؤالاً على الأقل . من
هناك تغلب الأوضاع : فالطفل ، والقارئ
عرباً ، هرباً أن يتساءل عن المعاني بالألفاظ ،
يجد نفسه المسؤول والألفاظ هي السائلة ؟
هكذا تتبدل الوظائف . وعندها ما هو
أقطع من كون اللفظ يصبح لغزاً ، يجب
على القارئ فكّه ، وأن كل حرف من
حروف اللفظ يتحول بدوره إلى سؤال :
إلى لغز . فالقدرة الإشارية للحرف تتعلم
كلما جاء أبتر : أى بلا نقط أو بلا حركة :
ذلك هو المعنى الحقيقي للإعراب الذى هو
أساس العربية . فالأمر ما سميت للشفة
والضمة والكسرة والسكون « حركات »
« علامات الإعراب »

إن انعدام الحركة العنصرية هو الذى
يعطل الجهاز ، فامتثل الوظيفة المعانيات تتقوى
إلى حد يصعب معه التغلب على الأمية .
وعلى هوائى التعريب الصحيح ؟

ليتعلم الأطفال اللغة عن طريق السمع
قبل الكتابة ، إذن دور الأذن والذاكرة
دور مهم جداً . لهذا يجب لفت النظر إلى
التأثير الحاسم الذى تتمتع به الإذاعة
والحفرة والأشرطة السينمائية . فلنسمع إذ

تمليق على مباراة لكرة القدم، بالقاهرة مثلا،
بين الأهلي والزمالك فكثيرا ما تدلن في
آذاننا ألفاظ مثل (كول) و «كورت»
و «بناتي» و «أو فساي» ... مع أن
هذه ليست ألفاظا نقية تصعب ترجمتها
فإذا يعوق الملمح عن استعمال (حارس مرى)
(وركنية) أو (زاوية) أو (شرود) كنا أمام الشائنة
مرة فصاح ابني: انظر يا بابا هذا (كورت)
فصححت له قل: ركنية : فكان جوابه
« إن الطفرة تحصل (كورت) وهل أنت
أعلم من الملمح يا بابا ؟ طبعاً لا ، إنني
مجرد أب ، أما الأمر فليس مبهرياً من على
جهاز يشغل مباشرة ، إلى الشعور والاشعور
وإلى الذاكرة حين يصادف وجاء محالاً
فيمكن !

إن اللسان العربي لقادر ، وعطو
إلا أن أغلبية أصحابه عاجزون ، منهجياً ،
ويخافون من التطور ، أي من دينامية
الحياة . فأحسن الكلام ليس الألفاظ
المنقحة ولا الجمل النصيفة بل إنه ، كما
يعرفه الخاطف « ما كان قليله ينفيك
عن كثيره ومعناه في ظاهر فقط » (البيان والتبيين) .
ولكني فصل إلى أحسن الكلام ، أي
إلى كلام خال من الخشوع ، للكلام اللطيف
الواضح ، يجب أن نحدد المصطلحات

في كل ميدان من ميادين المعرفة ،
فهو لنا معلم تعاصر الأوغياخ الخالية ؟
نعم ، إلا أنها دون الحاجة ، فهي وإن
كانت دسمة أحياناً ، بما فيها من مواد ،
تبقى ناقصة من حيث المنهج ، حقاً ، هناك
محاولات وتجارب لتختل هذا التقصير ولكنها
لم تعط بعد أكلها ناضجاً : ولقهرته على
ذلك ستقتصر على مثال واحد هو ميدان
الفلسفة ، التي هي موضوع « الممن » :



أول ما صلو في هذا المضمار ، كتيب
من مائة وعشرين صفحة ، يعرض على
مصطلحات بالفرنسية وأماها ما يقابلها
بالعربية ، وقد أجهزناه عام ١٩٦٠ (١)
يبد أنه لا الحليم ولا الطريقة المتبعة كانا
ملائمين للحاجة : ومن هذا الكتيب انطلق
« الممن » الخالي ، متجنباً أكثر ما يمكن من
من لغزوات السابقة (٢) :

بعد ذلك صلو « الحليم القلبي » ليوسف
كرم ومراد وهبة ويوسف شلالة : هذا
الحليم أضخم من سابقه وأكثر تصميماً للشرح
ويضيف إلى العربية والفرنسية ، المصطلح
بالإنجليزية (٣) . لم يخط هذا المعجم عدداً طاماً
من المصطلحات الخبوية ، وما أوردته ليس
مشكولاً ، أي بلا حركات .

(١) « مصطلحات فلسفية و العرب » ١٩٦٠ .

(٢) « الممن » (الممن في المصطلحات الفلسفية والعلوم الإنسانية) (فرنس أنجلزي عربي) ، ج ١

١٩٧٨ دار للكتاب ، الدار البيضاء .

(٣) الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٦ . وفي سنة ١٩٧١ ، أصدر مراد وهبة الطبعة الثانية طرقة ومنقحة ،

في ٢٥٩ ص .

ونشر المرحوم جميل صليبا معجبا في
جزأين (١) ، إنه عمل قيم ، كمعجم مراد :
نوجه إليه نفس الملاحظتين السابقتين :
للمصطلحات العربية غير مشکولة ونعتقد
فيه مفاهيم معاصرة :

وقام بجمع اللغة العربية بالقاهرة بنشر
دفاتر للمصطلحات الفلسفية ، انطلاقا من
الإنجليزية اللاتينية ، ومن هذه الدفاتر
سيحقق معجم هام ، نتمنى أن يصدر
قريبا ، لما سيقدم للباحثين من عون ثمين .
اعتمد « المعين » على المراجع السابقة
وعلى غيرها ومع تقدير جهود أصحابها عمل
على تجنب ما جاء فيها من أخطاء منهجية ، أو
ما ظهر له أنها أخطاء وهذا لا يمنعنا من أن
نصرح ونؤكد أن « المعين » مليء بالأخطاء
وأخطاء أخرى جمة ، فإكل الجهود التي
بذلناها سوى مواد سيعتدها آخرون
في تأليف المعجم المكمل.

نطلقنا من أن لفلسفة وظيفية مجتمعية تواصلية :
يقدر ما هي تأملية ، فبالدقة والوضوح ، ويتجنب
الحشو ، يمكنها أن تقوم بدورها اللغوي
المرئي من جهة ، وبدورها المحسوس ،
من جهة أخرى . ٣ فكلاما : تركزت اللغة
على الفضائل الثلاث السابقة (النقة ،
والوضوح ، وتجنب الحشو) ، أصبح

الحديث الفلسفي التواصلي ، أي صار
قادرا على الخروج من الاغتراب في
الضبابية التي تعزل بعض الفلاسفة عن
مواطنهم ومعاصريهم . قبلون ذلك ، لن
يستطيع الفيلسوف توظيف طائفة الذهنية
التأملية ، والتزامه المختص ، كأعمال تربط
الأصالة بالمعاصرة ، والمعاصرة بالشمول
الإنساني :

أيها الأملجد : بعد أن عرضنا عليك
بالتضارب الإشكالية التي انطلق منها « المعين »
والغاية التي يرى إليها ، يسرنا أن نضعه
تحت أنظاركم :

إننا نعتقد أنه مادة غامضة لمن سيقومون
بتأليف معجم فلسفي مكتملة ، لغة ومنهجها
وطباعتها :

إن المعجم الفلسفي المفوضي المنتظر في
نظرتنا هو الذي سيقوم على قواعد منهجية
منها :

— وضع الحركات على الحروف :

— أن يحدد لكل مصطلح الحل الذي
اشتق منه :

— أن يورخ له ، لأن اللسان ليس أبجدية
أو مجموع كلمات ، وليس هو ما في
القواميس . إن اللسان تاريخ وجد أن أمة
غير تطورات التاريخ ، إنه إنسية الأمة في
مظاهرها التي تتحرك على الدوام :

(١) المعجم الفلسفي (مريد - فرنس - الإنجليزي - لاتني) بيروت (دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢)

لقد آتينا بأن ترجمة مصطلحات علوم الطبيعية إلى العربية أسهل من ترجمة مصطلحات علوم الإنسان ، فهذه الأخيرة ليست بسيطة ، فبرغم أننا بدأنا نعرفها منذ قرن ونصف ، وبرغم أنه وضعت معاجم وقوائم لها ، لم تتغلب بعد على غرض التعبير في السيكولوجيا والوسولوجيا ، والفلسفة واللغويات . فهل للمشكل في عدم توحيد المصطلحات وتسميتها ؟

لا نظن ذلك ، لأن الجامعات العربية قد أسست ، المكتب الدائم لتنسيق العريب في العالم العربي ، وقد مرت سنوات على هذا التأسيس ، وبرغم حسن النية ، والجهود المبذولة ، والعلاقات والإمكانية التي جندت في هذا المضمار ، لم نصل بعد إلى النتيجة المتوخاة ، فما سبب هذا الوضع إذن ؟ لاشك أن التقصص في الترجمة ، أولا هناك أسباب أخرى ، منها أن التنسيق يفترض الانطلاق من أعمال تامة جاهزة ، لكن الواقع أن الأعمال التي ألفت لم تصل بعد إلى التنسيق ، معى إما قوائم بالكلمات عرية وما ارتأه المؤلفون مقابلا لها بالفرنسية أو بالإنجليزية ، وإما قوائم بالكلمات الأجنبية وما يظهر أنه يقابلها بالعربية . هذه الطريقة تتعارض مع اليداخوجيا المعاصرة .

إنها تكتفى بوضع لفظ أمام آخر ، دون تحديد كاف ودون تفسير وتحقيق بين المعاني المختلفة للفظ الواحد فلفظ معنى أصل ومعنى (أو معاني) اصطلاحية مثلا
(B) adaptation (F) adaptation

ترجمتها بعضهم : « تكيف » ، وحى ترجمة صحيحة فكيفها غير تامة (1) فيجوز أن تكون الترجمة هكذا :
تكيف
تكيف

لأن (adaptation) مصدر ، إمال (adapter) ولها له S'adapter
: تقصص ، و « تنقص » ، وعلم و « تعلم » . فلا بد من مصدرين ،

إن adaptation تمل على عملية بذاتها ، أو على عملية يراد منها نتيجة ، فإن اعتبرنا العملية في حد ذاتها لزم استعمال تكيف أما الحالة الأخرى فالصواب هو تكيف.

بالإضافة إلى المشكلة السابقة ، قد يؤخذ على القوام : أنها تغطي أحيانا أكثر من لفظ لترجمة مصطلح أجنبي ، دون أن تكلف نفسها الاهتمام بالوحدات الدلالية la sensée أى بالفروق الموجودة بين معاني اللفظ الواحد ، أو للكلمات يظن أنها مترادفات

(1) انظر هذا المصطلح في الفصلة ١ من المجمع اللغوي الذي يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

نتيجة لما سبق ، من الطبيعي أن تأتي القوائم مدعاة للالتباس والغوض ، على أنها دائماً ناعسة ، وتوضيح ذلك فلتصفح قائمة صدرت عن المجلس الأعلى لدراسة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وقرية العهد بالصور ، فلتصفح الصفحة الأولى من تلك القائمة .

فبرغم الجهود الطيبة التي بذلت تثير القائمة بعض الملاحظات (كان من المتوقع أن تكون ، لأن مجال القوائم ليس هو مجال المعاجم) .

— أول مصطلح هو (abduction) ، أصله في مقابلة بالعربية « قياس احتمالي » دون شرح أو أمثلة تفسيرية ، وأخفقت القائمة أن القياس الاحتمالي نوعان :

معنى عام ، وهو قياس مقعته الكبرى يقينية في حين أن الصغرى ليست إلا ظنية . وأما المعنى الخاص فهو ما جاء تحت Probos الذي جعل من abduction كل استدلال تكون نتيجته احتمالية لمصعب .

ملاحظة ثانية : إن المنهجية لا تسمح بأن نكتب بلغة كل الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية بحرف تاج .

فن المعلوم أن أسماء الأعلام هي التي تبدأ بحرف تاج وكذلك بعض المصطلحات التي لها معان خاصة مثل : histoire و Histoire

فالأول تاريخ ، وهي عملية تدوين الأحداث بعصر فصدعا ، إنها مهنة المؤرخ أما Histoire فمجموع الأحوال المتغيرة التي تعترى الكائنات أو العالم ، وبالمخصوص مجموع الأحوال التي تمر بها المجتمعات البشرية .

وتواجهنا في القائمة لفظ (abstrax) وترجمتها بالعربية « أبهاذا » .

ولم يصاب ذلك تفسير أو شرح . فما هي المائدة من إيراد اللفظ ؟

— المصطلح الذي يلي هو « abheda » وترجمتها أصحاب القائمة بـ « أبهيدا » ، وبعد الترجمة يأتي التفسير بين هلالين : (فلسفة هندية) . هذه العبارة غير كافية لأنها بلا تحديد وبلا شرح . . . والقارئ لا يشم المعاني في أطافره . فما فائدة قاموس لا يعين على الفهم ؟

ثم إن التفتتين الأخيرتين غريبتان من الميدان الفلسفي الغربي ، وعن الفلسفة الإسلامية العربية .

ولنقتز إلى مصطلح آخر في اللاتينية Absoolu (مطلق) ، أدغم هذا للمصطلح نصاب بحيرة ، لأن أوله مكتوب بحرف التاج ، في حين أن الحرف الفلسفي يمرق بين Absoolu و absoolu ثم إن أصحاب القائمة لا يفرقون ، كذلك بين l'Absoolu و absoolu .

المبت وحزت مبادئ كالمسرح، فهناك انجاء
« مسرح المبت » .

تقف عند هذه الأمثلة التي مقناها كلها
من الصفحات الأولى بالقائمة ومن حرف
(a) .

إن القوائم ، ما صغر بل بشرق لموالمعرب
عن مكتب تنسيق التعريب ، قد تعين على
بناء المعاجم ، ولكن في حدود ضيقة لا يساوي
دخلها اليهود والطوائف المدفوعة .

في عام ١٩٧٧ صغر عن مكتب تنسيق
التعريب قائمة تحت اسم « مصطلحات
الفلسفة في الصلح العام » أربعون صفحة كلها
بعس المهج ونفس النتائج .

لقد وصل إلى المسح القديم كى تحقق
القائيات المنشودة ؟

أسألفنى الأجلاء :

فوق حائنا جميعا ما جندتم في
سبل إقائه ليستشعره العرب أجسرون؟
إن فوق رؤوسنا عللا يشوج بالأنفاظ
تضطرب وتبدأ ، تشوج وتشرق ، تلحم
وتشرق . ألفاظ تتراحم لاقتناص المفاهيم ،
والمفاهيم تراوغ إلى أن تقبدها التباير الناصجة .
وفن الله خطاكم في هذا الصراع المستمر
وما توفيقنا إلا بالله ، وعيه تتركز ؟

محمد عزى العجايبى

عضو المجمع التراسل من العرب

ولم ياشعلوا حين الاختبار أن أداة
التعريف تصاحب الأسماء إذا حلت
هذه على مذهب أو على جماعة ، فتعبر عن
الصفات : « المطلق » يخالف مطلق .
فلا بد ، كذلك من التمييز بين
absolu كمت ، absolu كاسم ،
ومن جهة أخرى ، يأتي لفظ absolu لهما
يكون إما نعتا (adjectif) وإما
(adverb) أى حالا أو مفعولا
مطلقا

ملاحظة أخرى : الباحث الذى
يدعمه الفصول إلى مراجعة معجم «اللائد»
مثلا يجد أن « absolu » التى حشر معنى
في حين أن المجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب لا يعطى إلا معنى واحداً وغير
دقيق ، لأنه قابل لأن يصدق على أى واحد
من المعنى الاتى عشرة

لقد أشرنا إلى أن هناك فرقا بين
absolu و Absolu فالأول «مطلق» أما الثانى
(يحرف التاج) فهو الكائن المطلق الذى
يشتمل على كل شيء مطلق ، أى الله .

وتقف وقفة نصير مع مصطلح آخر نختم به الأمثلة
absurde تكتفى القائمة بالمعنى المنطقي
« حلف » متناصية للمعنى المستحدث عند الوجوديين
وعده ألبير كامو « حديث » وقد راجت لفظة

من أسرار الزيادة في القرآن الكريم للاستاذ علي النجدي ناصف

يقول

النحويون فيما يقولون
عن الحرف الزائد: إنه

يكسب الكلام الذي يحل فيه فضل توكيد،
ثم لا أراهم بعد ذلك يتبعون بالبيان
معاني التوكيد التي يفيدها هذا الحرف في
مواقفه من أساليب الكلام، مع تنوعها،
واختلاف مراتبها، ولا أخرى كيف يترك
التوكيد الذي يفيد الحرف الزائد هكذا
على حاله من العموم والإجمال، كأن ليس
له سوى معنى واحد يؤديه ولا يحيد عنه
في كل مقام؟

لقد قالوا: إن من الزائدة في مثل
قوله تعالى: (ما جاءنا من بشير) تنص على
عموم التي نصا شاملا، لا استثناء معه، ولا
تخصيص فيه^(١). ولكن لم أراهم مثلا يبينون
معنى التوكيد الذي يفيد هذا حين تواد
بش البار والمزور في نحو قوله تعالى: (فيما
رحمة من أقدّر لنت لهم^(٢)).

على أن الزعشري - رحمه الله - قد
عرض في الكشف لبيان المراد بالتوكيد
الذي يفيد وأنه الزائدة بعد ذلك في قوله
تعالى في سورة التكهوت: (ولما أن جاءت
رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا^(٣))
فقال: "وأنه صلة أكدت وجود الفعلين
متربا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين
لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء
واحد من الزمان، فإنه قيل: لما أحس
بمجيئهم فاجأته للمساكة من غير ريث،
خيفة عليهم من قومه^(٤)"، وثمة في ذلك
أبو حل الشلوين، ولعل مثل مقاله فيه^(٥)
لكن أبلحان - كدأبه في تعقب
الزعشري، وتبع آرائه بالتشديد في أكثر
الأحيان - لم يرق هذا الرأي، ولا وقع من
موقع القبول، ثم لم يجد ما يدفع به - مما
يلذكره ابن هشام - إلا أن يقول: "وهذا

(١) انظر التقييدات على البحث في عناصر الدورة الرابعة والأربعين (جريدة الثلاثاء ١٢ من ربيع الآخر
سنة ١٣٩٨ هـ - ٢١ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)

(٢) سورة المائدة: ١٩

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩

(٤) الكشاف: ٢: ١٧٩

(٥) للنق: ٢: ١٥

(٦) سورة التكهوت: ٢٢

(٧) للنق: ١: ٣١، ٣٢

التي ذكرها - يعني الزمخشري والشلوبين - لا يعرفه كبار النحاة^(١)، كأن نقول في النحو واجتهاد الرأي فيه وقف على من يراهم كبار النحاة ، فلذا عذب عنهم حكم ، أو غم عليهم وجه - لم يجر إلا لمن كان مظهرهم أن يداركهم قوتا ، أو يوضح مبهما :

ولم تدر من هؤلاء الكبراء الذين لم يشأ أبو حيان أن يذكر أسماءهم أو اسم أحد منهم^(٢)، ولا أن يبين لنا ماذا عندهم من الرأي عن تأكيد الزيادة عامة ، وزيادة وأنه بعد ولما خاصة ، لتكتمل الصورة ، وتكمل الحقيقة ؟ ، لعلنا لتبعهم فيما يقولون .

على أن الحق - فيما يهده الناس - ينصر أهله أبدا ، ولا يعتد به أن يجحد نصفا يشد عضله ويصل كلمته، فلما رأينا ابن هشام ينسب لأبي حيان في المتن فبرده قوله ويكشف ما في قلبه من الزمخشري من لبس وتخليط^(٣) .

وإذا كان أصحاب أبي حيان من كبار النحاة لا يعرفون ما عترف الزمخشري والشلوبين من دلالة «أن» بعد «لما» في آية المنكحوت - إلى مورد له وهم آيتين أخرين زيدت في كليهما «أن» بعد «لما» ودلت على مثل ما قال الزمخشري وصلحه : إنها تبنى عليه .

فلما تولى الآيتين لقوله تعالى في سورة يوسف: (اذهبوا بقمصين ههنا فالتفروا على

وجه أبي يأت بصيرا^(٤) ، ونحصى بنا الآيات إلى قوله تعالى: (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا)^(٥)، فلذا «أن» مزيدة في هذه الآية بعد «لما» وفي مقام لا يحتمل أناة ولا بعلنا ، لأن البشري التي يحملها رسول يوسف إلى أبيه ليست مما أليف الناس أن يستنبهوا به ، ولكنها الأمر لا يعلم له نظير سابق، ولا يرجى أن يكون له نظير لاحق ، إلا في طيف خيال أو حلم منام .

سيرته يعقوب بصيرا ، وسيرى يوسف قرة عينه - يا بعدما نعى إليه، فحزن حتى ابيضت عيناه من الحزن عليه ، وسيراه على حال لا كمال أحد من الرعية، بل سيراه أميراً قد ولي حكما ، وأولى سلطانا ، وسيلتم شمل الأسرة بعد تفرق وشتات ، وستقبل من أمرها يسرا بعد عسر ، وسعادة بعد شقاء .

فمن غير محال هذه البشري يحق له أن يتعد في رحلته الإسراع بعلنا، والتعرب ببعدها ويود لو جاء أباه طيرا لا سميا ؟ ومن ذا يكون أسرع منه جريا بل أشد منه ولبا حين يبلغ طيته، ويدنو من أبيه ليلقى على وجهه القميص ؟

وأما الآية الأخرى لقوله تعالى عن أبيه موسى في سورة القصص : (ودخل المتبنة على خفيته من أهلها فوجد فيها رجلين

(١) المص ٣٠ : ٣١

(٢) سورة يوسف : ٩٣ ، ٩٤

يقتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ،
فاستغاث الذي من شيعته على الذي من عدوه ،
فذكره موسى فقصى عليه ^(١) ، ونحصى بنا
الآيات إلى قوله تعالى : (فأصبح في المدينة خائفاً
يترقب ، فإذا الذي استنصره بالأمس يصصره
قال له موسى : إنك لغوى مبين ، فلما
أن أراد أن يبطش بالذي هو حملوه فيها قال :
يا موسى أتريد أن تقتلى كما قتلت نسا
بالأمس ^(٢) ، وهنا أيضاً زينت « أن » بـ « نسا » .

فأما امرئ يرى مصرع المصري ، وكيف
فنى موسى عليه ، لا بضربة من سيفه ،
ولا بطعنة من رمحه ، ولكن بوكرة من
يده — حقيق إذا كان يعرف بوكرة مثلها
أن يكون أسرع من لمح البصر إلى منافسته ،
وانتهاء يده إذ يلمح في وجهه أثرة من حبة ،
أو بادرة من حزم على البطش به ، فلا يسعه
إلا أن يشجأ بمصرعه المفزعة ، ويظف في
وجهه بقوته المهولة ، يحلوه ويذكره :
(يا موسى أتريد أن تقتلى كما قتلت نسا
بالأمس) ؟

لم يقول الزمخشري إذن على كبراء
النحويين في مقاله عن « أن » بعد « لما » ،
ولا كان مقصراً عن شأوم ، بل لقد حرف
ملم يبرهوا فيها عزاء إليهم أبو حيان .

وزيد رأى الزمخشري قوة إلى قوته أن
للائكة الذين جاءوا لوطاً كانوا قد جاءوا

إبراهيم من قبله . ونلاحظ أن آية عبيهم
إبراهيم لم تذكر فيها « أن » بعد « لما » ،
كما زينت في آية عبيهم لوطاً ، ذلك بأن
الحال التي كان عليها إبراهيم كانت خير
الحال التي كان عليها لوط . فقد كان إبراهيم
راحمياً مطمئناً لم يتعد ينكر من قومه منكراً ،
أو ينسى عليهم فساداً بعد ما نجاه الله منهم ،
فرحل عنهم إلى أرض خير من أرضهم . وكان
عليه السلام جواداً مضيافاً ، فلما رأى
اللائكة لم يدرك غلده إلا أنهم أضياف ، مثله
في ذلك كمثل كل جواد مضياف ، حين
يقدم عليه قادمون لم تكن له سابقة بلقائهم ،
أو لقاء أحد منهم ، فتتابعت لذلك أحداث
قصته معهم بعدما وانتهى ، كما تقتضيه قصص
الضيافة على ضيافته في مستها المعتاد : تحية
وسلام ، ضحاة وطعام ، ثم كان أن
استراب بهم إبراهيم حين رأى أبايهم
لا تصل إلى طعامه ، وأن هجب منهم حين
بشروه بفلام سليم .

أما لوط فكان ضائعاً بقومه ، شديد
السلط عليهم ، فلما رأى اللائكة حسبهم
بشراً فحزبه أرحم ، وتسارع إليه الفلق
والخزع ، خروفاً من قومه أن يفتضحوا فيهم ،
وهم ضيعة ، ولم عليه حق الحماية والكرامة .
ثم كان من مقاصد القصة هنا تصوير السرعة
التي صاحبت استيلاء لوط من قومه وضيق
فرحهم بهم تصوير إشارة لاهلولة ، فكانت

الزيادة للذك هي الأداة المختارة لها ، فعبّرت عنها هنا بالتصغير البارح الذي يتميز بالندقة ولطف للدخول :

يقى أن قصة لوط قد ذكرت مرة ثانية في سورة هود ، ومرة ثالثة في سورة الحجر ، وصُفرت في السورتين بلأ الحبيبة ، ولكنها لم تُكج فيها بأن كما أثبت بها في سورة النكبت مع أن موضوع القصص الثلاث واحد ، وهو لوط والملائكة ، فما سر هذا الخلاف بينهما في التعبير ؟

إن الذى يتبع منهج القرآن الكريم في قصصه - يمكن أن يترك هذا السر ، فالقرآن لا يلتزم صورة واحدة لقصص التى يعيدها معها كانت مرات إعادتها ، ولكنه يعيدها في قليل أو كثير من أوجه التنوع ، تارة بالذكر أو الخلف ، وأخرى بالإجمال أو التفصيل ، وثالثة بالتصريح أو التلميح ، وهكذا ، فإذا لما من ذلك جنة ، وعليها ملاوة . والناس بالجديد أحفل ، وإليه أميل ، لذلك تأخذ كل قصة مُعادة ببعض مالم تأخذ به القصة التى تعلمتها ، ولها تُتَبَّق مع ذلك على جوهر الموضوع واحداً في كل مقام تذكّر فيه .

فصوّرت قصة النكبت ما سكنت عن تصويره القصتان الأخرتان ، وهو مرحلة الأحاسيس التى جاشت بها نفس لوط حين رأى الملائكة مقبلين عليه . وذكّرت قصة هود ما وصفت به لوط يومه ذلك ،

فقال : (هذا يوم حصيب ^(١)) ، وهو وصف يشير إلى أحاسيسه تلك ، ولا يصرح بها ، ولكنه لا يندل على تسارعها إليه : وأسكت قصة الحجر عن حديث الأحاسيس ، ووصف اليوم بها ، واجترأت من ذلك بارتباب لوط في الملائكة ، إذ قال لهم : (إنكم قوم منكرون ^(٢)) ثم راحت تقص بقية القصة ، منذ أبلغه الملائكة سبب عيبتهم إليه ، إلى أن قضى الله قضاءه في الحجرين من قومه . ذلك إلى أمور أخرى ، اختصت بها كل قصة من بين أحسبها ، ذهاباً إلى التنوع والافتتان :

والآن ، هل لنا أن نقيس « ما » حين تزداد بعد « إذا » على « أن » حين تزداد بعد « ما » فيكون لها في جعلها مثل « لأن » في جعلها ؟ لا أرى أن ثمة ما يحول دون هذا القياس ، فاللفظان سواء في الحرفية والزيادة والموقع ، وكل من « ما » و « إذا » طرف فيه معنى الشرط :

لاحتبنا إذن أن نقول : إن « ما » إذ تزداد بعد « إذا » تؤدي معنى أن إذ تزداد بعد « ما » ، فمى : فبعد أن جواب « إذا » وشرطها يقمان في زمنين متجاورين ، حتى كأنهما مقترنان ، في زمن واحد :

وبن إذا نرجع بعد أن نخلص لنا هذه النتيجة - إلى القرآن الكريم ، لنحس من آياته ما عسى أن تلمح فيه أثر « ما » الزائدة المذكورة ومحلولة - لنجد في سورة الشورى

آيتين متقاربتين في الذكر ، ولما مشاركة مع آيات أخرى في تعداد أوصاف المؤمنين الذين هم على دينهم يتوكلون :

فأما الآية الأولى فتذكر من أوصافهم كظم الغيظ ، وغفران السامة ، وهي قوله تعالى : (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ^(١)) ، وأما الآية الأخرى فتذكر مقاومة البني والانتصار من البغاة ، وهي قوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ^(٢))

ونلاحظ أن « إذا » الشرطية مذكورة في كلتا الآيتين ، لكنها أتت في الآية الأولى بما الزائدة ، ولم تلج بها في الأخرى . وإذن يمكن أن يقال إن الصو المذكور فيها ليس صواباً مرسلاً ، لا يخصه وصف ، ولا يحده وقت ، ولكنه حقو المبادرة والقور ، يملك صاحبه عند الغضب ، ويتركه على حكمة ، فيضيه غير مثبته ، ولا متردد فيه ، فتلك حقو الترفع والقوة . وفي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . رواه ابن ماجه في السنن ^(٣) .

والقوة المعنية هنا هي قوة الزم والإرادة ، لا قوة البية ومثانة التركيب ، فهذه وحدها

مع فضلها وحاجة الحياة إليها — لا تعلم أن تكون صرباً عادماً ، لورثياً كاذباً ، يوارى خور الزم ، وسقوط الحمة ، وانكسار اللذة . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشيد بقوة النفس ، ويحكم لها على قوة الشخص ، فيقول : « ليس الشديد بالصُّرعة » وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . رواه الإمام مالك في الموطأ ^(٤) ، والسيوطي في الجامع الصغير ^(٥) .

ذلك — والله أعلم — ما أفادته زيادة « ما » بعد « إذا » في الآية الأولى ، إذ تذكر الصو عن المص .

أما الآية الأخرى إذ تذكر البني والانتصار من البغاة — فالأمر فيها مختلف والحال غير الحال ، لأنها نطت من زيادة « ما » بعد « إذا » . فلي هنا إشارة إلى أنها تدعو إلى إباء البني ومناهضة البغاة دعوة مطلقة ، لا تصحى لها أجلا ولا تجعل لها موعداً ، لأن أحوال كل من البغاة والمجاهدين ليست سواء ، فقد تكون المبادرة خيراً في حال ، وشرّاً في حال أخرى ، وإنما الأمر كله بيد أهل الحل والعقد من المجاهدين ، هم الذين يملكون أن يفتسروا الأمر بتفسيره ،

(١) سورة الشورى : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

(٢) السنن : ١ : ٢٢

(٣) الجامع الصغير للبرج السراج المنير : ٢٠٨ .

(٤) الموطأ : ٩٠٦

العاقبة وبالا جاثما ، وشرا مستطيرا . وهم
بعد عصاة متسردون ، لا يرحمهم راحم ،
ولا يذكرهم أحد بخير :

أقول قول هذا ، وأعوذ بالله من سوء
القيوم وضلال الرأي ، وأبرأ إليه -
سبحانه - من التكلف لما لا أحسن ، والخوض
فيما لست له بأهل .

عجلة ورثا ، حل نور من كتب الله وسنة
وصوله ، ومن التجارب الفاجعة ، والعلم
بأحوال الحياة القاتمة .

والذي يجب أن يلتزموه على كل حال
ألا ينغروا إلى الجهاد إلا بعد أن يُعدوا له
أعداء ، ويحكموا بالكيد والتدبير ، ليُهبوا
ولهم على رجاء في النصر صادق ، وورع
من الحق به غير منكوب . وإلا كانت

على النجدي ناصف
عضو الجميع



كتاب ابن عسكرو ابن خميس : في مشاهير ما لفتة للأستاذ محمد الفاسي

بيع

العرب شرقا وغربا في
أدب التراجم ووضعوا في
تاريخ المشاهير مؤلفات تترجم بها الخزانة
العربية، وفي أول هذه الكتب البيرة النجوية
وعلى غرارها فسيح المؤرخون . فكانت التراجم
الشخصية أي التي تعنى بشخص واحد هي قليلة
بالنسبة للتراجم الجماعية ، أي التي تخص
بجماعة من الرجال ؛ إما أن يجمعهم رابطة
الاكتساب إلى مدينة أو إلى علم أو فن
أو إلى مذهب ، وهي التي يطلق عليها اسم
الطبقات . كطبقات المفسرين والمفسرين
والشعراء والأدباء والتحاة والأطباء وطبقات
المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية وغيرهم .
أما تراجم المنسبين إلى بلد بعينه فحدثت
عن البحر ولا حرج ؛ فلا نجد مدينة
كبيرة أو صغيرة في الشرق أو الغرب
إلا أصبحت تراجم مشاهيرها ، ويطلق عادة
على هذه الكتب اسم التاريخ ؛ يقال : تاريخ بغداد
وتاريخ الشام ونحوها . ومن هذه المؤلفات
ما يختص بمدة معينة كالقرون أو القرنين

وهي كذلك كثيرة ، ومنها بالمغرب مثلا
كتاب نشر الثاني في تراجم أهل القرن
الحادي عشر والثاني ، للقادري . ومنها
صفوة من انتشر في رجال القرن الحادي
عشر ، ومنها نزهة الحادي في تراجم أهل
القرن الحادي ، وكلها مطبوعة .

وتحتوي هذه الكتب زيادة على معرفة
أحوال المترجمين وأخبارهم على معلومات
في غاية الأهمية من حيث تاريخ الحضارة
ومخطط المدن والحالة الاجتماعية والاقتصادية ،
ونجد فيها كذلك فوائد تاريخية محضة لا
تجد في كتب التاريخ المختصة .

وقد اخترت أن أحدثكم من هذه الكتب
عن مؤلف فريد وضع في
القرن السابع الهجري (الثالث عشر
الميلادي) عن مشاهير مدينة مالقة ، وقد
كانت أحد مراكز الإشعاع الثقافي في
شرق الأندلس الجنوبي كما كانت أحيانا
قاعدة لخلافة بني حمود الأدارسة

(٥) انظر التفتيات على البحث في محاضر جلسات "لجنة الأبحاث والدراسات" (جنة الخلافة ، ١٢ من ربيع
الأخر سنة ١٣٩٨ هـ - ٢١ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)

وكتفه لى هو الخلابين من ملوك الطوائف .

ولهذا الكتاب مؤلفان وذلك أن واحده الأول ترى قبل إتمامه فأنه ابن أخته . ولا يعرف له عنوان خاص وإنما يطلق عليه اسم تاريخ مائة، والنسخة القليلة الموجودة منه بالمغرب تبتلى هكذا : كتاب جمع فيه بعض أخبار فقهاء مائة وأديانهم ، بما ابتدا تأليفه الفقيه المظن محمد ابن علي بن خضر بن هارون الفسافي المشهور بابن عسكر، وقد كلفه ولد أخته محمد بن محمد بن علي بن حميس لما حاجته منحه . وبعد هذا للتقديم مباشرة : ورد : منهم محمد بن عثيل العاملي .

ومعنى هذا أن هذه النسخة القليلة التي وصلتنا هي تقديم ابن حميس، أما الأصل الذي وضعه أولاً ابن عسكر فلا يزال ضالاً، ومعنى هذا أيضاً أن ابن عسكر كان وصل في كتابه إلى المحدثين في حرف الميم ، فيكون أنجز الحروف الألفية حسب الترتيب المغربي : ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ن - و أول الميم ، أي نحو النصف من التراجم وحيث أن باعتبار ما بقي لنا منها وهو اثنان وستون ومائة ترجمة يكون مجموع الكتاب أكثر من ثلاثمائة ترجمة .

وقيل أن نصف الكتاب وما اشتمل عليه يحسن أن تعرف على ترجمة مؤلفيه : ابن عسكر وابن حميس .

ترجمة ابن عسكر :

كان هذا المؤلف من علماء مائة الأندلس وأدائها اللامعين، واسمه الكامل ، كما ورد في الترجمة الحافلة التي عقدها له ابن أخته مؤلف هذا التتبع الذي نحن بصده، هو محمد بن علي خضر بن هارون الفسافي المشهور بابن عسكر . وقد ترجم له كثير من المؤرخين كابن الخطيب في الإحاطة والقاضي النباهي في المرتبة العليا وابن الأبار في تكملة الصلة وغيرهم . وكانت ولادته بقرية قرية من مائة سنة ٥٨٤ هـ ودرس مائة أنصلاً عن شيوخها، ومن جملتهم أبو الحاج ابن الشيخ صاحب كتاب ألف باء المعروف والمطبوع قدما بالقاهرة، كما أجازة محمد القرطبي وأبو علي الرندي وأبو الخطاب بن واجب وغيرهم وكلهم من مشاهير علماء الأندلس . وقد تصدر للتدريس ودار من كبار علماء مائة وأخذ الطلبة من الأندلس وبلاد المغرب يرحلون إليه للأخذ عنه ، وحينئذ نادى لقاضي مائة ثم حين استغلا ، فرجا من الأمير أبي عبد الله بن نصر أن يرضيه من هذه المسؤولية فأنى عليه، وكان ذلك سنة ٦٣٠ هـ : فاضطر للفرار . قال ابن حميس : « وظهرت في أيامه الحقوق وسار من السيرة الحقة ما لم يسرها أحد قبله » . وقد ألفه كتاب في العلوم الإسلامية وغيرها وهي كما في التتبع « حجية متداولة بين أيدي الناس » . تذكر منها تركة التناظر في مناقب عمار بن ياسر، أهدها لى سعيد أصحاب قلعة بحصب المشاهير، وهم يتسبون

لهذا الصحابي الحليل، ومن تأليفه الجزء المختصر في السلوك من ذهاب البصر.

وكان ابن عسكر يقرض الشعر ويكتب ذراغيا واقفا، وقد أورد له ابن عديم نماذج من شعره ونثره.

أما الكتاب الذي أذاع ذكره ومحل عليه جلّ الذين ألفوا في رجالات الأندلس بعده، فهو تاريخ مالقة الذي أودعته المنية سنة ٦٣٦ هـ وهو بحرره. وقد توفي عن سن ثمانين وخمسين رحمه الله.

ترجمة ابن عديم:

وإذا كنا نعلم كل هذه التفاصيل وغيرها عن ابن عسكر فإن ابن عديم الذي بتسميته لكتابه حافظ لنا حل ذكره لا نعرف عنه إلا القليل، وهو أنه كان يسمى أبا بكر محمد بن محمد بن عديم وأنه ابن أخت ابن عسكر.

ومن شيوخه الذين يروى عنهم في كتابه أبو عمرو بن سالم: ونعلم كذلك أن ابن عديم كان يعيش في النصف الأول من القرن السابع، وآخر تاريخ ورد في تسميته هو سنة وفاة أبي عبد الله محمد ابن عيسى المومنان وهي سنة ٦٣٨ هـ. بعد وفاة خاله. ولاشك أنه عاش بعد ذلك، ولكن لا نستطيع تحديد سنة، إنما باعتبار أن خاله توفي في السنة الحادية والخمسين من عمره. يمكن أن نقدر أن ولادة ابن عديم كانت في حدود سنة ٦٠٥ هـ ويكون عمره عند تأليف تسميه تاريخ خاله نحو الثالثة والثلاثين.

وينبغي أن نفيه إلى وجود مؤرخ مغربي آخر يدعى ابن عديم وهو محمد بن أحمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن علي بن أبي بكر بن عديم الملقب سنة ٨٧٥ هـ وله تاريخ الجزيرة الخضراء، وكان خطيب مسجد مالقة كما له تاريخ مدينة سبتة، وقد تولى كذلك الخطبة بها. ويحصل كذلك هذا الاسم شاعر مشهور من أهل تلمسان.

كما يوجد ابن عسكر آخر من أهل المغرب له تأليف في الترجيح أشرنا إليه من قبل، هو صفوة من انقش في رجل القرن الحادي عشر.

كتاب تاريخ مالقة:

قدما أن هذا الكتاب ليس له اسم خاص وأنه لا يعرف إلا باسم تاريخ مالقة أو تاريخ ابن عسكر وعمل ابن عديم يسمى التسميه: ولكن ابن الخطيب الذي يغل عنه كثيرا في الإحاطة بسميه الإكمال والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام. ونحن نعلم أن أبا العباس أصبح بن عباس المالقي للتوفى سنة ٥٩٢ هـ كان ألف كتابا في رجال مالقة اسمه الإعلام بمحاسن الأعلام، فيكون الإكمال هذا ذيل عليه. ثم إن ابن الخطيب نفسه يقول في الترجمة الوافية التي خص بها ابن عسكر إن هذا الكتاب يسمى كذلك مطلع الأنوار ونزهة الأنظار في ما استوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام الأخيار، وتفيد المناقب والآثار. ومما للمرة الثالثة باسم آخر وهو نزهة البصائر والأبصار: ومن حجب

أن هذا الكتاب الذي نسب له ابن الخطيب ثلاثة أسماء لا يعرف بواحد منها مطلقا .

والآن بعد هذه الإيضاحات فما نحوى عليه الصفحات ٢١١ الباقية من التسميم أنها اثنان وستون ومائة ترجمة لعدد من الخلفاء والرؤساء والأدباء والشعراء والفنهاء والفقهاء ممن كانوا من أهل مالقة وخدمهم ١٠٤، ومن أهل مدن الأندلس ولعرب المستوطنين أو الولريدين على مالقة .

وهذه التراجم مرتبة على حروف المعجم على الطريقة اللغوية، وقد قلنا أن ما بقي لدينا يتألف من وسط حرف اللام بالطريقة ابن خليس في كتابة هذه التراجم أن يذكر أولا الاسم كاملا، ويذكر الكنية لاعتناء المغاربة بها، كما يعنى المألوفة بالقلب المسوب لانتظ الذين كشمس الدين وبلر الدين وصلاحي الدين ونحوها، ثم يتبعه على بلده، أي يصرح بأنه من أهل مالقة إن كان منهم وإلا فيذكر البلد الذي جاء منه، وإذا كان مجهول يقول مثلا: ورد علينا، أو عبارة أخرى تشر بأنه ليس من أهل مالقة .

ثم يأتي في ذكر بعض أخباره وهو لا يطيل في هذا مع الأسف، ولكن يأتي بانهم، وإذا كان المترجم شاعرا أورد نماذج من شعره لتستغرق بضع صفحات أحيانا ويذكر في الأخير تاريخ وفاته إن كان يعرفها، وأحيانا أخرى قليلة تاريخ ولادته .

ومن التراجم المفيدة في هذا الكتاب ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسن

ابن محمد بن صاحب الصلاة الأنصاري من ٤٢ من أهل مالقة .

ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عباس من ٦٤، كاتب المنصور الموحدي، وكثير من رسائله القليلة المشهورة في كتاب الرسائل الموحدية من أهل مراكش .

ترجمة محمد بن عيسى بن حسين بن عيسى الكلبي من ٧، وكذلك جماعة من فقهاء بيت بني حسن قضاة مالقة .

ترجمة خاله، مؤلف الأصل محمد بن علي بن خضر بن حسكر من ٧٧-٨٩ وقد أورد له نماذج متعددة من شعره في شعره في عشر صفحات

ترجمة أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي الشاعر البلسي المشهور دفن مالقة وقد أورد له كثيرا من شعره في عشر صفحات كذلك من ١٨-٧٢ .

ترجمة أبي الحسن مقدم بن معاني صاحب التواشيح من ٥٩ إلا أنه لم يورد له شيئا منها وهو من أهل مالقة .

ترجمة أبي عمر صفوان بن إدريس الرمي تزيل مراكش وأكلم مالقة من ١٠٦ وهو من فحول شعراء المغرب والأندلس وقد وقع بين أثناء ترجمته، إذ تنقص هنا صفحتان كان فيها تمام ترجمة وأبداء ترجمة شخص آخر لا نعرف اسمه .

تراجم بعض بني هبادة أصحاب إسماعيلية
ومن جعلهم المعتضد بن هبادة ١٤٤

ترجمة عبادة بن عبد الله ... بن ماء
النساء، وهو كذلك من أصحاب الموشحات
للمروطين، ولم يوجد له كذلك شيئاً منها ص ١٤٥

ترجمة عبد الأعلى بن موسى بن نصير
وهو ولد القاتح الكبير موسى بن نصير، وفي
هذه الترجمة معلومات عن فتح القائد
الشاب عبد الأعلى لما قلعة التي كانت للممونية.

ترجمة عبد الله بن عبد الملك بن سعيد
القائد مع الكلام على هذا البيت الشهير بنى
سعيد أصحاب قلعة بحصب، التي صارت
تسمى إليهم وتسمى الآن عند الإسبان
Alcala la Real أى القلعة الملكية - ص ١٤٦

ترجمة عبد الله بن علي بن زنون
وهو من أفراد هذا البيت الذي كان له
نفوذ كبير في مملكة أيام بني هود. ص ١٤٧

ترجمة أبي الحسين محمد بن أحمد
ابن جبير الكتاني الرحالة الشهير. ص ٥١

ترجمة عبد الحبار بن المعتضد بن عبادة
الذي ثار على المرابطين بعد أسر أبيه
ص ١٤٨

ترجمة الإمام أبي زيد عبد الرحمن
ابن عبد الله السهيلي دفين مراكش، وأحد
رجال السيرة وهو صاحب الروض الأنف
وحمد الله. ص ١٤٩

ترجمة الشاعر الكاتب عبد الرحمن بن
محمد بن خلفن القزازي من أهل المغرب كاتب
الأمراء والخلفاء للموحدين. ص ١٤٩

ترجمة السيد عبد العزيز بن أمير الموحدين أ
بنقوب يوسف الموحدي. ولفظه
السيد في اصطلاح الموحدين، معناه الأمير
ص ١٥٠

ترجمة علي بن حمود بن ميمون الإدريسي
الحمودي من أهل سبتة، وهو مؤسس
الدولة الحمودية بمالقة. ص ١٥٥ مع
تراجم جماعة من بني حمود.

ترجمة عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر
تفاخر الإشباني على بني أمية وفي ترجمته
معلومات عن هذه الثورة التي انقضت
مضاجع خلفاء بني أمية حتى قضى عليها
الخليفة الناصر لدين الله.

ترجمة أبو الخطاب عمر بن حسن بن
حجة الكلبي السبق المحدث الكبير، وشيخ
الملك الكامل هنا بالقاهرة، وقد بنى له مدرسة
لحديث الكاملية. ص ١٥٣

ترجمة أبو حفص عمر المتناقي القائد
الموحدي الشهير، وقد ولي مالقة ثم تونس
وهو جد الملوك الموحدين بتونس. ص ١٥٣

ترجمة أبي الفضل عياض بن محمد بن
عياض اليحصبي السبق وهو حفيد القاضي
عياض. ص ١٥٨

ترجمة سليمان بن عثيل بن يحيى بن
إسعد بن داود العاملي، مع الكلام على هذه
الأمرة المأقبة للمجيدة بن عثيل. وفي
الكتاب تراجم لأكابريهم ص ١٩٠

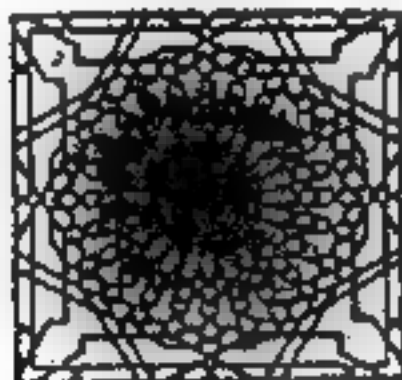
ترجمة أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن
عبد الله بن يحيى البلوي المعروف بابن
الشيخ، وهو مؤلف كتاب «ألف» بالاشهر .

هذه نماذج فقط من عناوين التراجم
المحتوى عليها لهذا المؤلف القيم ، وإلا فلي

كل ترجمة من التراجم الأخرى. هؤلاء
جدة ، ويوسف لضياع قسمه الأول، وعسى
الأيام أن توفقنا عليه، إذ لا تزال في
كل سنة نكتشف ذخائر جديدة في خزائنا
بالمغرب، مما كنا نحبره مفقودا، وحتى ما
لم تكن تعلم بوجوده. والمولى تعالى يوفقنا
إلى الصواب والسلام عليكم ورحمة الله .

صمد الفاسي

مقر المجمع



العربية في تونس :

بين الفصحى والعامية

للككتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة

أشار

العلامة ابن خلدون

منذ القرن الثامن

للهجرة إلى طيبة هذه اللغة التي نكتب بها ونشعرها في ديارنا التونسية . فقال في القسم السادس والأخير من مقدمته في الفصل التاسع والثلاثين حين تكلم على لغة أهل الحضر والأمصار لهله ونميزها عن لغة مضر :

« اعلم أن حرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل ، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لهلنا ، وهي عن لغة مضر أبعد . فلما أتت لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التباير الذي يعد عند صناعة أهل النحو

لحدا ، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم ، فلهذا أهل المشرق مياينة بعض الشيء لغة أهل المغرب ، وكذا أهل الأندلس معهما . وكل منهم متوصل بلغته إلى تأقية مقصوده والإبانة عما في نفسه . وهذا معنى اللسان واللغة . وفقدان الإعراب ليس يضائرهم . وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمي . . . واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق . أما إفريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور حمرتها جهم ، ولم يكده يخلو عنهم مصر ولا جيل . فخلبت المعجمة فيها على اللسان

(٥) انظر الصقيبات على البحث في عناصر جملات العمدة القراية والاربعين (مجلة الثلاثة ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٨ هـ = ٢١ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)

العربي الذي كان لهم وصارت لغة أخرى
بمتزجة . والعجبة فيها أغلب لما ذكرناه .
فهى عن اللسان الأول أبعد .

وهذه الفقرة التي اقتطعناها من المقدمة
هى أنتم نص وقمنا عليه يتعرض لموضوعها
ويحدد معناه . فلا بدع إذا كان المرجع
والمنطلق لأكثر من درس هذه القضية من
المستشرقين . فهو يضع الأصول الثلاثة
للبحث :

أولاً : قرب اللسان الأول لأهل الحضرة
والأمصار زمن فتحها وبعده بقليل من
لغة مصر .

ثانياً : اختلاف العربية عربية الحواضر
والأمصار بعد ذلك عن اللسان الأول
واختلافها بعضها عن بعض في اصطلاحاتها .

ثالثاً : اختلاف لغة أهل إفريقية عن
اللسان الأول بسبب الاختلاط بالأعاجم .

وهذه الأصول أو الجوانب الثلاثة
أو قل هذه النتائج أو الحقائق التي انتهى
إليها وأقرها ابن خلدون هى مع اختلاف
الأسباب والطبيعة فيما بينها جد عامة قيمته
بالبحث جلية بالشرح والتفصيل ، ولولاهذه

النواصات كل واحد منها بعينه مستقلاً
عن غيره لما كان ذلك كثيراً بجانب
ما يمكن أن يكشف عنه من عوامل تاريخية
وأسباب اجتماعية وسياسية ، وعناصر
اقتصادية وحضارية وظواهر عقلية ولغوية ،
وليس مثل ذلك بوسعنا في هذه العجالة .
ولكننا نكتفى بالإشارة إلى جملة من ذلك
عند تعرضنا لتلك الأصول والجوانب
كلها ، ونحاول قبل الحديث عن العربية
بتونس بين القصصى والعلمية أن نحدد
لذلك بكلمة قصيرة مقتضبة نتعرض بها
إلى لغة أهل إفريقية قبل الفتح للعربي
الإسلامي ، لينتسب لنا بالمقارنة الدور الجليل
الهام الذي لعبته العربية بإفريقية خاصة
وبالمغرب عامة ، والاعتبار الكبير والمنزلة
لرفيعة التي كانت لغة الضاد في نفوس
البربر كافة ، حصريتهم وهدوئهم من سكان
المدن والسواحل والقرى أو من سكان
النجاد والخلال والوادي .

وبالرجوع إلى المصادر المختلفة المتعددة
نجد أن البربر الذين انتشروا في البلاد
المتعددة من غربي النيل بواحة سيوا بمصر
إلى المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى كانوا

يتكلمون لهجات بربرية متعددة تنحدر في جملة من أحد الأصول النوميدي أو الليبي لغة ماسينييسا ويوغرطة . وأن هذه اللهجات وإن اختلفت جنساً متباينة فيما بينها بحيث لا يحصل التخاطب بوحدة منها ولا التفاهم عن طريقها بين من يسكن جبال نفوسة بطرابلس وبين من يحرر بلاد الريف بالمغرب . والبربرية وإن كتبت قليلاً في القديم كما تشهد لذلك بعض النقوش فإنها لم تكن لغة حضارية . ولحروفها شكل خاص كانت تتميز به . وربما وجدنا أثره مثلاً في أبجدية التوارث « النعينا » . وما يشهد بضعفها ومحليتها وعدم رفاها بما يحتاج الإنسان للتعبير عنه من مشاعر وأفكار ويكون ملك نوميديا البربري يامبال إلى اللغة القينيقية لتحرير كتبه ، واعتماد الملك البربري الآخر يوبا الثاني اللغة اليونانية في رسائله ومؤلفاته .

ومهما يكن من أمر فإن عامة المواطنين من البربر المغاربة كانوا معزولين أو في حكم المعزولين عن الحكام والسادة اللذين ملكوا بلادهم وحكموها في الجاهلية من

فسيقيين ورومان وغندال وروم بيزنطيين ولكن هنا لا ينبغي البتة أن الطبقة - الأرستقراطية من الحكام ورجال الإدارة والعبد كانوا يتكلمون لغة غير لغة البربر هي القينيقية في عهد قيام دولة قرطاجنة واللاتينية في عهد الحكم الروماني .

وقد تساهل ولم علمى عما يمكن أن تكون قد وجلته اللغة العربية من صراع مع بقايا القينيقية واللاتينية بإفريقية والمغرب . لغرض للافتراض القائل بأن القينيقية يسرت انتشار العربية في بلاد البربر لاشتراكهما في الأصل النشأ . ورد هذا القول لضعفه وعدم قيامه على حجة ثابتة . وتحدث من اللاتينية التي نوه بها كلغة حضارة ودين ، واعتبر أن سلطانها كان في هذه البلاد عظيماً ، فبلاد المغرب أصبحت لروما إمبراطوراً كبيراً هو سبتيم سيفير SEPTIME SEVERE ، وكتائباً فائداً هو أبولي APULIE ، كما أخرجت للمسيحية قديسين عظمين هما ثرتوليان TERTULIEN وأوجسنان AUGUSTIN ؛ ولكن ذلك لم ينبع من الاعتراف بأن اللاتينية زالت واضمحلت من ربيع

إفريقية والمغرب هجوم الفندال فلم تبق
إلا في النقوش وما تكشف عنه الحفريات
وأما أغطت في القلص والفناء من منتصف
القرن الخامس للمسيحي . ورغم شهادة
الإدريسي في القرن الثالث عشر بوجود
اللاتينية بالجنوب التونسي وأما كانت
مستعملة بقمصة فإن مما لا شك فيه أن
هذه اللاتينية البربرية كانت ضعيفة
محرلة لا تنسب إلى لغة أوغيد OVIDE
وفرجيل VIRGILE وسيسارون CICERON
وأوجوسان AUGUSTIN . فهي لم تعد ولم
تبق لغة حضارية تستطيع أن تثبت
أو تصيد أمام لغة الفزاة العرب التي تحمل
معها أدباً وفكراً وحضارة ودينًا .

وما أن تم فتح إفريقية والمغرب ودخل
الناس في دين الله أفواجا حتى قطع البربر
كل صلة لهم بأمم غربي البحر الأبيض
المتوسط ، وولوا وجوههم شطر الشروب
المشرقية العربية بمكة والمدينة ، ودمشق ،
وبغداد ، والفسطاط . وقد كان هذا التحول
رائعاً وقوياً سرعان ما شمل إفريقيا وما وراءها
من المغربين الأوسط والأقصى وبلاد
الأندلس . وامتزج العرب بالبربر وأورثهم

لشهم ولقنوم عقيدتهم وأشرسكهم في
حضارتهم وأسباب عزتهم : ومن بعد إلى
المصادر التاريخية يلاحظ أن التعريب
إفريقية تم على مرحلتين : الأولى ابتداء
من زمن الفتح في القرن الأول للهجرة ،
والثانية في المائة الخامسة عند زحف بني
هلال وسليم .

ولم يكن القوط والاستقرار للعرب
الفاطحيين في المرحلة الأولى بغير المدن
لقذعة التي وجطوها بإفريقية أو بالمدن
المستعملة التي بنوها لأنفسهم مثل القيروان
التي قال بشأنها مؤسسها هبة ابن نافع :
« مدينة تكون للمسلمين قيروانا وعزا
للأبد » . وهكذا فإن الجنود التي أقيمت
من الشام ومصر إلى شمال إفريقيا في عهد
الأمويين وأوائل دولة بني العباس ، والتي
لم يكن عددها يقل عن مائة وخمسين ألف
نفر مع من يتبعهم من نساء وأطفال
وموظفين ودعاة استقرت كلها في المدن
كما لاحظ ذلك ابن عثرون حين قال :
« لأن الملك الذي حصل لهم يسعهم من
سكنى الضاحية ويعمل بهم إلى المدن ،
والأما » . وبالعطية أصبحت هذه المدن

آهله بمن دخلها من حضريين وقصبيين
وعيميين ومن وفد إليها من مختلف القبائل
اليمنية. إلى جانب القرشيين والأنصار
وعدد من جند جراسان. وعلى مدى قرن
ونصف انتشر العرب في مراكز إفريقية التي
اتسعت فشملت من الجنوب نصف طرابلس
ومن الغرب ثلث قسنطينة. ونحوات
المدن البيزنطية في شمال إفريقيا مثل باجة
ومدينة تونس وحتى قابس في الجنوب
إلى مدن عربية. وباتت هذه وأمثالها
خاضعة لحركة تعريب جماعي امتد إلى
المراكز الحساسة المتصلة بها والتي تحكم
البؤذ سياسياً واقتصادياً وتوجهها اجتماعياً.
وأصبحت العربية بها جميعاً لغة الحوار
وأساس الحضارة وأداة التعبير عن كل
المشاعر والأفكار. وراع البربر الذين
اختلفوا بالعرب إلى حد الامتزاج ما يلمح
المضاد من روائع وما في القرآن من إعجاز.
واتخذوا من نماذج الأدب الإسلامي والجاهلي
أمثلة وصوراً يحاكونها ويتأدبون بها ،
وبهرم الإنتاج الأدبي والعلمي واعتلوا
به تراثاً فخماً. وحملهم التقدير للعرب
والرغبة في الانتساب إليهم ولو ولا إلى

تعلم العربية والتخرج على طرائقها وحذقها ،
ثم التزامها وسيلة أداء ، والترام ما يرتبط
بها من مجموع الأذواق الجمالية والاتجاهات
الشعرية. العادات وأساليب التفكير .
ساعد على تحقيق ذلك العناية والمعلمون
والإرساليات الموجهة إليهم من المشرق قصد
تعليم اللغة والدين . وقامت المدارس
والمساجد بهذا المهم في العاصمة الجديدة
القيروان التي أسسها أول مسجد بإفريقية
والعرب وكذلك بالمدن الإقليمية. مثل
تونس حيث ازدهر البربر والرومان
والخراسانيون بها مع العرب ، وجرى
الخليط بينهم عربياً فصيحاً ، ظهر في
حديث من المدن والأمصار الإفريقية جماعة
من الشعراء والخطباء والعلماء والفقهاء .
وشد أبناء إفريقية الرحلة إلى المشرق
للاتصال بمالك ابن أنس إمام دار الهجرة
رضي الله عنه ، أو للأخذ عن تلميذه ابن
القاسم بمصر ، وذهبوا إلى البصرة وبغداد
والشام وغيرها . ونعقت العربية لسان
الدولة والدين وأصبحت لغة الشعب الذي
يقطن المدن والأمصار وما يتصل بهما من
القواصي . وهي وإن انحطقت أحياء إلى

التهوار عن اللغة المكتوبة فبالمنخفض من
 الحركات والتسكين غالباً لأواخر الكلمة .
 ونحن وإن استطعنا الرجوع إلى كثير من
 النصوص والشواهد المدونة المكتوبة نشين
 بها حقيقة انتشار هذا اللسان وظهوره ظهوراً
 كاملاً على غيره في هذه الديار فيما جمعه لنا
 المتفوق له الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب
 في كتابيه : الورقات والمنتخب التونسي ،
 والشيخ محمد التيفر من قبله في كتابه
 عنوان الأريب فيما نشأ بإفريقية من عالم
 وأديب ، أو حدنا إلى ما دونه العلماء
 والفقهاء والخطباء والكتاب والشعراء من
 آثار تنطق بمحذق أبناء إفريقية أهلها
 العهد حلقاً تماماً للسان العربي فإننا لم نلف
 على ما يشهد بمثل ذلك للحوار اليوم
 المادى الذى كان يهوى بين السكان
 الأصليين وحاكمى البلاد ومسيرها من
 العرب ، بين التجار والموظفين والسواد
 من السكان في المدن والأصهار بإفريقية .
 وقد ذهب غير واحد من العلماء والمؤرخين
 إلى أن الفرق بين لغة الحوار واللغة
 المكتوبة في ذلك الطرف لم يكن كبيراً
 ولا بعيداً .

أما خارج المدن والأصهار في العلال
 والنجاد والبرادى والمناطق البعيدة من
 تلك المراكز فإننا نعتقد أن العربية كانت
 مبهولة جهلاً تماماً ، أو على الأقل كان
 الحوار والمخاطبة بغيرها بين البدو وأهل
 الريف من البربر ومن انضم إليهم من
 غير العرب من بقايا الأمم والشعوب التي
 كان لها بالسكان الأصليين ارتباط .
 ومن هنا يتضح لنا أن التعريب في القرون
 الأربعة الأولى لم يعمل أطراف البلاد
 وكان على الأصحاب الذين زحفوا على
 إفريقية في القرن الخامس أن يتموا ذلك
 ويضطلعوا به على الوجه الذى اقتضاه
 ضرورتهم وانتشارهم في كامل أنحاء إفريقية
 وخارجها .

قامت بهذا الزحف قبيلتان قيسيتان
 هما سليم وحلال جازا من مصر إلى المغرب
 قصد الإملاسة بالنظام الزهبرى والدولة
 الصنهاجية التي خلعت حلقاً طاعتها
 رتبعتها للدولة الفاطمية بالقاهرة . وقد
 كان بنو حلال الذين دخلوا إفريقية
 يحملون فروجاً ثلاثة هي زغبة وأباج
 ورياح . وقد انضم إلنا هؤلاء وأولئك

الأعراب فلول من عدى وجُثم وعثرة وعصه من
اليمنيين ينتميون إلى عقلي . فعلت هذه
القبائل بأكملها ينتميا النساء والشيوخ
والولدان . وكان عددهم يبلغ مليون نسمة .
فعمثوا فسادا بالقيروان . وبعد أدولمهمتهم
التي جاكوا من أجلها لم يستقروا بالعواصم
والمدن ولكمهم انتشروا في أطراف البلاد ،
ومنها تسربوا إلى كثير من أنحاء المغرب .
وخلال قرون ثلاثة تم تعريب البلاد
التونسية كلها على أيديهم . ونحن لا نعرف
على التحقيق ولا شكاد نجزم بأن العربية
الجديدة التي فعلوا بها وأشاعوها فيمن
حولهم هي تلك العربية المكتوبة التي
تحدثنا عنها أم هي عربية أخرى تعطل
في لغة هذه القبائل والعناصر المختلفة في
لهجاتها وألسنتها . ولو صدقتا الروايات
الشعبية التي تحكى لنا مغامرات بني هلال
ورباح لوجدنا بينها وبين العربية نسباً
ولكنها بدون شك ليست هي العربية التي
عرفناها في نصوص الأدب والشعر وكتب
العلم والفقه

ومن ذلك العهد فيما نحسب انحلت
اللغة العربية بإفريقية بين العربية المكتوبة

المدونة أو النصحي وهي عربية التلمس
والنظم والإنتاج الفكرى والثقافة وميس
العربية الخارجة العامة التي يتحدثها عموم
الناس ويتكلمها حتى الخاصة في غير
شيوخهم الهامة ومواقفهم الرسمية . وربما
سميت العربية الأكثر انتشاراً بين السوا
من العامة « البربري » لأن المتكلمين
بها الفلاس في الأصل من البربر لم يبلغوا
في النطق بها واستعمالها مبلغ المتكلمين
« بالعربي » أي باللسان العربي من
الفقهاء والعلماء والأدباء والقضاة والأئمة
والمدول والمعلمين ونحوهم . وما يؤكد
ذلك إطلاق عامة أهل تونس إلى عهد
غير بعيد وصف « الفقهي » هكذا بقية
القاف على اللسان العربي الفصحى متباعدة
له بالبربري أو العامة والدارجة لغة
للعول

ومن الملاحظ أن العربية القصصية
كانت وما تزال هي بين كل الأقطار
والأصاار في البلاد العربية . فهي لغة
القرآن ولغة الدين يتطلمس الناس قواعدها
ويبحثون قواعدها والعصرقات القولية
فيها مع ما يروونه أو يكتبونه من روائع

الأدب والشعر بها . أما الدارجة العامية فهي مختلفة اختلافاً كبيراً من قطر إلى قطر ومن مصر إلى مصر . لغة الحوار بالمغرب تبين مبالغة واضحة لغة الحوار بالشرق لخضوع كل مجتمع لهجة لميزة بحسب اختلاط العربية فيه ببقايا اللغات أو اللهجات التي كانت مستعملة به . ولغة الحوار بالمغرب وإن اتفقت في الجملة لكنها متباينة بين أهل ليبيا وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والأندلس . وذلك بقدر خلقة العجبة على اللسان وتمايز العناصر في البيئة المتكلمة بالعربية فيها . فبحسب الهجرة والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يكون تفاعل الأكنة، ويظهر أثر ذلك وإن انحى في الأكثر في اللغة المكتوبة فيما تتداوله الأكنة ويستعمله العامة من كلام تعبيراً عما في نفوسهم وتصويراً لخواطرهم وآرائهم .

ونحن بإفريقية أو تونس بعد أن شمل التعريب الكامل أطراف البلاد في نهاية القرن الثامن أي بعد ثلاثمائة سنة من الزحف الهلالي تعرضت البلاد إلى

حملات من المغارح، ونقلت عناصر من المهاجرين الأندلسيين آرائهم : أو من الزاحفين والمسلطين كانت لهم مقراً وكان لتلك وهؤلاء أثر واضح في لغتنا وما تجرى به طرائق الاستعمال حينما

فالمهاجرون الأندلسيون وما انتقلوا به إلى إفريقية من صناعات وعادات وتقاليد والاحتلال الأسباني وما تركه من آثار في لغة الخطاب والحوار والفتح العمالي وما صاحبه من أنظمة وأوضاع وترتيبات وأسواق - والعنصر الإيطالي أو الصقل الذي تقرب الدار كان يتردد على الثغور والمواضع ويحمل في المزارع وصيد البحر وصناعة البناء - والحكم الفرنسي الذي هيمن بنفوذ ومناوسه ومؤسسه ونظمه على البلاد ودحا من الزمن كان لهم جميعاً أثر أي أثر في اللغة الدارجة وفي الحياة المستحدثة المستجدة والمتطورة ، وكانت لتلك الفئات والأجناس المختلفة والمتعددة مع البقية القليلة من العصر البربري دخل كبير في تشكيل العربية العامية بتونس بصورة يحتفظ فيها اللسان العربي

التفصيل بألوان الرمائم والاستعمالات
الغريبة التي تنطق كلها بتلك السبب
والعلاقات التي كانت وما تزال للعصر
الغربي الغالب أو المستعرب من السكان
بغيره من العناصر المباشرة له والمتزجة به .
ومن المناسب أن نلمح هنا إلى آثار
هذه الألسن الأعجبة في لغة الحوار
التونسي .

أما أثر البربرية التي لم تكن كما سبقت
الإشارة إليه لغة حضارة وعلم وأدب والتي
كتبت قليلا وبأحرف عربية من عهد ابن
تومرت الذي استعملها لنشر عقيدته
ومبادئه السياسية والإصلاحية بين عامة
البربر في بلاد المغرب، فإن التجمعات
السكنية المتحدثة بها لا تكاد تذكر
بالبلاد التونسية وبالمقاطعة الغربية من
الجزائر وهران، لأن نسبة الباقيين من
البربر بها لا تتجاوز ١/١٠ من عامة السكان .
وهذا الوضع يختلف بالطبع عن النسبة
المرفوعة لهم ببقية بلاد المغرب، إذ تبلغ
تجمعاتهم بطرابلس ٢٣/١ من السكان
وبقسنطينة ٢٧/١ - وبالجزائر ٣٤/١ -
وبالمغرب الأقصى ٤٠/١ . فلا بدع إذن
إذا كانت الكلمات البربرية المستعملة

في العامية الطرابلسية والقسنطينية
والجزائرية والمغربية أكثر من التي نجدها
بندارجة وهران أو تونس . ولا بدع أيضا
إذا كانت بهجاء نفوسة وبيجا أوراس
وببلاد القبائل وبالريف من بلاد المغرب
وبهجاء الأطلس جماهير متميزة تتحدث
إلى اليوم اللسان البربري . وإن اختلف
هذا اللسان اختلافا كبيرا من جهة إلى
أخرى، بحيث لا يكاد أصحاب المناطق
المتباعدة المتكلمة به التوصل إلى التفاهم
عن طريقه وإن شعروا بكونهم يتكلمون
لغة واحدة وينتسبون إلى أصل واحد .

واللسان البربري بتونس كنا نسمعه
من ثلاثين سنة بين النويرية من
المستوطنين للعاصمة وضواحيها، أو يتراطن
به الطومس من الجربة كما نقول في
تونس وهم أهل جربة من الخوارج .
ويمكننا بسهولة أن نحدد المناطق المتحدثة
بالبربرية فيها بينها وبالدارجة مع بقية
الناس في جنوبي البلاد شرقي مدينة قفصا
بمناقرت والسند وطوالي عطمطة بزواره .
وتغزرت ، وبجزيرة جربة بناجم ولقلا

قربة بالساحل التونسي ، وهي أيضا لقب عائلي .

أما الكلمات الأسبانية التي نقلها المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية في عهد الدولة الحفصية فهي على نوعين : منها ما هو عام وهو كثير نذكر منه على سبيل المثال الألفاظ التالية :

باله Pala مجرمة - رفش .

روشكة roosa لولب .

شجرة من سربيل Sevilla «وزاء نسائي على شكل «بلغة» صغير . جميل الصنع - ويصنع من الجلد الملون من الفطيرة مطرد .

شربل Cerraja قمل .

قجر Cajon درج .

كرينة Carra حربة - مركبة نجرها رابة

كيباس Capias آلة غبيط . بوصلة ميزان موسيقى . فكر يفود وينير .

كياس Calles طريق معبد . شارع . ومنها ألفاظ اصطلاحية تستعمل عند العمال المحصين بصناعة النائية لم

وصدورهم والماء ومحبوبين وسحران . ومازالت إلى اليوم في اللسان التونسي تستعمل استعمالا شائعا كلمات بربرية مثل .

آيزيز - صد زلولة وسجاية - جراد .

بويريز - صد الشاوية - صرصر .

ببروري من أبروري ويقال : تبريرو برود .

حلوش من تغلاش ، أعلوش ج يعلوشن - حروف ، حرقان .

قرطاس من أقرطاس من أصابه الفرع - أفرع .

قرمطووي يقال : بومرطووي وأقرططووي - قراشة .

فكرودن - ألكر ، أبتكر ج أيفران ، أفكر الله ، أفكر المصري - ملحفاة .

قرجومه أكرزوم نكرزمت - نكرجومت - مندم الحق .

قطوس - قنوس - أقطوس ، ياطوس - قط .

كركر - كركور - ككتة من الحجارة المقذحة بجنوب المغرب ، وتسمى بها

مقف بعد على الكلم المرافقة لها في اللغة رقيق نثبت به اليوصات الخمس .
الأمبانية مثل :

ومنها وهو كثير الألفاظ الإصطلاحية
شنتار تسمى به شوكة الكرصون المتداولة حتى اليوم بين أهل صناعة
التي قطعت من نصفها . الشلانية والتي أمكننا أن نصيغ بصورة
كبيوتش عود من الكرصون الياص دققة أصولها الإنسانية وذلك مثل

أياكار	Acabar	إعام - إنجاز المرحلة الثانية من مدف الشاشية بالكرصون
أفينار	Afinar	إحكام - المرحلة الثالثة والأخيرة من مدف الشاشية وتكون بكرصون خاص . وكلمة أفينار وصف يلزم حالة واحدة مفردًا وجمعًا نقول : شاشية أفينار، شواشي أفينار
دارويلا	Baruila	حلقة خشبية صغيرة تجعل فاعلة لقطع الكرصون الخاص التي تشد إليها في غماسك الواحدة فوق الأخرى في شكل أسطوانى .
باطان	Balan	معمل التليد ، تعمل به الشواشي بالماء الدافئ .. والصابون وتوضع في قوالب خشبية
بانكو	Banco	مكان لصانع الشاشية يجلس به ويضع أمامه الآلات التي يستخدمها في عمله .
بتنور	Batidor	حصا كعصا الشرطى وأطول منها قليلا تصرب به لشاشية لتنظيفها .
يشرون	Patron	قطعة من الجلد السميك على شكل الشاشية توضع هذه فوقها عند الصنع وتعطيها الشكل المطلوب .
بذير	pared	حائط الشاشية - ارتفاعها .

برقميلو	Perqamino	قطعة من جلد الماعز مديونة تحفظ بها الشاشية بعد صنعها وقاية لها .
بروكة	Bronca	السلك الحديدى الذى تثبت به الأجزاء التى يتألف منها البضاطورش ، وهى الشلوش والهزويلة والتحصنة أو حود الخشب .
برينشة	Prensa	مكبسة خشبية بها ألواح كثيرة يسمى الواحد منها تبليقة ومغزلان . وتشد بلوليس بأعلاهما ثقب يدار بقروطى .
بضاطورش	Batiscous	مشط ، آلة تلبس شفرة الصوف بعد تدف الشاشية بواسطة القبينينة .
بلاد	Bilaba	مجموعة الشوائب التى يحتوى عليها الباطان .
بوردة	Borra	مجموع ما يفصل من أشعار الصوف أو ما يقص منها عند صنع الشاشية وشنتيار البوردى ، وهو ما يفصل بالنقص من حرف الشاشية بعد صبغها وصنعها .
بوردى	Borda	حرف الشاشية .
بوطار	Botar	المرحلة الأولى من مراحل تدف الشاشية .
بى	Pié	ولى القطع الخمس من الكرصون الذى يتألف من البضاطورش وأكرها حجماً . وابتداقة من القطع تسمى بورصة .
ببفصيص	Pinzon	ملقاط .
تبليقة	Tablita	واحد الألواح الموجودة داخل البرينشة .

القطعة الرابعة من الكرضون .	Trésmedio	تريميديو
مقص خاص يقطع به الكرصورن والشمشير .	Téjillas	تكيليش
لقب بأهل اللولب الذي يلد البرينشة .	Túroco	تواركو
القطعة الثانية من القطع الحسن من الكرضون وتسمى أيضا الثانية .	Dosmedio	دوميدو
مرشة زيت يذعن بها حديدنا المقص .	Hilopo	شوبو
المكان الخاص بالصانع الواحد ويكون أمامه	Ascientio	شينتو
مابين للصانع عمله في وقت محدود ، وهي في هذه	Tarou	طريجة
الصناعة مجسوة ١٢ شاشية .	Funda	فوندا
ورق مقوى يوضع على بليز الشاشية لوقايتها من الخرم	Garroto	قروطلى
مضط .	Copeto	كبيطة
محصلة شعر - وهما محصلة من حرير تثبت بوسط أعلى	Cabeza	كبيسة
الشاشية ، ويثدعا كبيتش وهو قتيبة صغيرة من جبل	Cardita	كرديطة
صوفى ملبد .	Cardo	كرصون
المعلم والقطعة الخامسة وهي العليا من الكرضون - كبيسة	Cruzar	كروصان
هاتكو Cabeca-Bunco رئيس الصانع		
قطعة من حاد بها مسابير معدنية ينفى بها الكرضون		
من البورة .		
ثيت بأعلى صوقه شوك تتخذ منه منافذ لإثارة شعرات		
صوف الشاشية بعد تليدها . والكلفة عامة مستعملة		
في اللغات الرومانية كلها .		
حرف نصف الشاشية .		

الشاشية بعد تبديلها بالباطان وقبل صنعها والكلمة وحسب يلزم حالة واحدة إفراداً وجمعاً .	Crudo	كروضو
مجموعة الشواشي عددها ٢٤	Carril	كريل
الجزء الواقع بين البدير وحرف الشاشية .	Cuatro	كواترو
قطعة من جلد ضامى صقيل توضع في الشاشية بعد إكمال صنعها لتكون ملساء ناعمة .	Cuartel	كوارتيلش
مقحف الشاشية .	Cornilla	كورنيشة
قطعة من الجلد يضعها العامل على ركبته لتساعد على صنع الشاشية بعد صيغها .	Coyel	كوكان
داخل الشاشية	el envés	لبديش
آلة تشبه البرد ينقب بها الكرضون .	Laminita	لبيشة
مطرقة خشبية تبيد بها الشاشية .	Mazo	ماسو
القطعة الثالثة وهي الوسطى في الكرضون .	Méjlo	ميلو
الجانب الخارجى للشاشية .	Haz	هاص

أما الاستعمالات التركية وحتى القارمية
التي نجدها مشتركة بين البلاد العربية
التي خضعت قديماً لدولة الخلافة العثمانية ،
فإن نلف منها يتولى على مجموعة من
الألفاظ قد يكون وسطها والتعلق بالكثير
من بينها مختصين بعض الشيء عنهما
في مصر والشام ونحوهما ومن أمثلة ذلك :

روشن Ruson المكان البارز الفخم .
زنبوراك : دافع يصع من المعدن
صارمية : رأس مال .
طائرة Taom قبة ، مقف ، يستعمل
في تونس للدلالة على نوع من الحزائن
أو المخرج المطبقة بالجدار
كفتار : حاشية النسيج .

ومن التركية الألفاظ التالية :

أفا Afa الأسرة . لتسهةاللي بهونس .

آلاى Aley قوة عسكرية والقائم عليها

ميرالاي Miralay من مير الهارمية من العربية أمير .

شفا : أو شفة Usha الماهر من الصلاح

وأهل الحرف . تستعمل الكلمة بكثرة . بمدينة صفاقس .

أونباشى Unbashi كلمة مركبة من

باش بمعنى رأس وأون بمعنى مشيرة رأس المشيرة .

بازين - بازنة : نوع من الطعام

يصنع من اللقيم والزبدة والسكر .

باشى Bash رأس - رئيس - آمر .

باشا : لقب تركى ملكى ، عسكري يورما

كانت الكلمة معرفة عن شبه Bash الأخ الكبير .

بالك : بلكية : أنطعت من الفارسية

وتتكون من بل العربية وكيه التركية التي تحجر أداة احتال ومعناها في الاستعمال العادى لعله .

برامبيا : برامبية : كراث .

بورتقانة : في التركية باللام تكعب

بالحروف القديمة بورتقال - فاكهة من الحمض كانت تستورد من البرتغال فسميت به .

بريك ، بوراك ، نوع من المعجن

محمشو باللحم والبيض أو بغيرها يقدم في أول الطعام .

بشرف : Paper معرفة عن الفارسية

وهي اصطلاح موسيقى يطلق عليها ما يعرف بهد و التقسيم ، وقيل الفصل الأصل «السماعي» الأخير

يشق : يحق - حديدة يستعملها

الحذاء لقطع الجلد . وحديدة يقص بها نوع من الحشيش : « نيج كان يزرع بتونس يعرف بالتكرورى والكيف » .

بشملا : معرفة عن برشجان وبرشم

وهي كلمة من أصل تركى فلولسى براد بها الطرز الحريرى الذى يكون بالهبة أو البرنس .

بكباشى : بكباشى وبشباشى Binkashi

كلمة مركبة من بملك أو بون بمعنى ألف وباشى وباش ، رأس الألف أو عايد الألف .

بلهوان : بهوان - شجاع مصارع قوى
البنية .

بهار : نوع من التوابل .

بوسطاجى : بوسطة + جى - عوزع
البريد .

بوغاز Bogaz : الموضع الضيق من كل
شئ ، ويطلق على البحر الضيق بحرا : المضيق .

بى : بى - بك : Boy لقب تركى
يطلق على الوالى - الحاكم للبلاد : وللمرأة
يقال بىك ، ولها الأصل بابا ، وهما يدل
أفندى وخانم .

تارزى : ترزى - من الفارسية درزة
خياطة . الخياط لقب هائل يثنون .
ترسانة : Terpane معرفة عن العربية
دار الصناعة .

جبار : جبار - جانباز Ganbar
اللاعب بحياته المجازف بروحه : نوع من
الرياضة البدنية .

خازوق : kazik الوند . كلمة تستعمل
في الدعاء على الإنسان بالشر .

خردة : Hurde من كل شئ أصغره ،
ما صغر من السلع ، مقصورة في التوضيح
على الأشياء المستعملة القديمة .

خزندار : خازندار Haxendar أمين
المسلوق . لقب هائل يثنون .

خشاف : خوشاف - شراب الزبيب
الجاف - و يثنون شراب المسقوجيل .

خوجة : Xoca خواجه - المعلم -
المدرس - الأستاذ من رجال الدين . القارىء
للقرآن - لقب هائل .

دغرى : الذهب رأسا - صدق .

رنقة : Ringa زنقة نوع من السمك Horang
سرلية : سراى : القصر الملكى الضخم .
شيشة : Sila الزجاجية . القارورة .
والقارورة الخاصة بتدخين التبناك .

سادة : سادة - بسيط - غير مركب
غير مزوق - بلا صكر عند الحديث عن
القهوة .

طائم : مجسوع آلات وأدوات .

طاوة : طاوة - مقلاة .

طرشى : Tarshu الحروفية ، يطلق على
المختلات .

غبر : من العربية غبر - أنبار ،
مكان تحفظ فيه المواد الغذائية ، بيت
التاجر Anbar .

ينجال : في التركية منقولة من الفارسية بنجان الكأس المخصص للقهوة أو الشاي .	قيش : قايش : جلد يسن به الحلاق موساه .
قازان : kazan قدر كبيرة واسعة من النحاس يطبخ فيها المقادير الكثيرة من الطعام .	كاخذ : kagit من الفارسية Kagit ورق .
قازيق : kazik نفس كلمة قازوق ولكنها تستعمل بهذه الصورة للمعنى المجزئ النسيجة القديمة . الحيلة . الخدعة .	كراكوز : قره كوز - وأصلها فارسي karogoz . العين السوداء - الشخص الأول في لعبة الخيالاتية .
قعر : الكس - الإدارة التي تدعى قبض الكس .	أما اللغة الإيطالية فإن أكثر ما دخل منها في الاستعمال في اللسان التونسي ألفاظ الحرف والصناعات التي كان يشارك الإيطاليون وأهل صقلية فيها ، أو الكلمات اليومية المتصلة بالتقاليد وأنواع الطعام ولبيان ذلك نعرض المجموعة التالية :
قنطان : قيس فوق .	
قهارطى : قهارطى ما يعنول الصباح مع القهوة .	

بأخره صيد .	Balance	ملا بالانسي
حاملة الأثقال - راحة .	Balanco	بالانكو
مطاف .	Palto	الباطو
حصاء .	Brodo	برودو
نوع من السمك أصفر اللون	Pescellmoné	بيشي ليموني
شرمان - كلمة من أصل جرمانى تعني بط .	Germano	جرمان
اليوم - ما ينطع من أجره اليوم عن العمل .	Giornata	جرناطة

الأثواب أو الأمطة القديمة.	Robaveochia	روبافوكا
طرق بالإبر وشبك مخرم .	Ricamo	ريكامو
جرمة .	Sivall	سيفالي
سلم - تنظر إلى الأصل التركي : أسكلة ، تستعمل للدلالة على خشبة توضع جسراً للنزول من الياسرة إلى البر .	Scala	سقالا
نوع من السمك الأزرق يسمى بالفرنسية ماكرو	Sgambri	سكامبري
عرق يعد من عصير الطماطم .	Salsa	صالبسة
مائدة مرتفعة - متضدة .	Tavola	طافرة
شجرة - فروع صبت .	Pama	فاما
زهو صبه التميز بأنواع من الثراء الفكري أو المادى	Fantasia	فانتازيا
واجهة .	Facciata	فطشاطا
ورق .	Carta	كارطا
منصدة صغيرة توضع جانب السرير بغرفة النوم	Comodino	كومودينو
آلة إضاءة تستعمل في الصيد البحري .	Lampara	لُمبارا
مصباح - سراج .	Lampada	لَمْبَا
أكلة إيطالية معروفة .	Macheroni	مَقرونة

أما اللغة الفرنسية فقد كان استعمالها أكثر، وليس تأثيرها محصوراً في ميدان واحد من الميادين، كغيرها من اللغات الأصلية أو النسخية . ولم يقرأوا، تجرى على ألسنتهم كلمات كثيرة انتقلت إليهم بحكم الممارسة الحديثة عن ذلك مفصلاً . ولكننا مع هذا نشير إلى أن اللين لم يدرسوا الفرنسية ولم يقرأوا، تجرى على ألسنتهم كلمات كثيرة انتقلت إليهم بحكم الممارسة

اليومية أو العمل في بعض المصانع أو القطاعات
ويمكن أن تمثل لذلك بالألفاظ الواردة في
القائمة التالية وهي مفردات اخترناها من
الكلمات المستعملة في لسان السياره عند
عامه الناس، مشتقهم وحديثهم الطرف
بالفرنسية منهم والجاهل بها .

أربر	Arbre	جذع .
أكس	Axe	محور .
أكسيلارتار	Accélérateur	دواصة اليانزين - معرّج - عجل .
أمبرياج	Embrayage	دافع المحرك .
أمورتيسار	Amortisseur	واحد .
زانتان	Antenne	صارية .
باترى	Batterie	البطارية - المشحن الكهربائي .
بانس	Pince	مقبض .
بريكه	Brake	مفدح .
بلوك	Bloc	الجهز بأكماله .
بواتا فيناس	Boite à Vitesse	صندوق السرعة .
بودين	Bobine	ملف كهربائي .
بونيارو	Pompe à eau	مضخة الماء .
بيستون	Piston	مكبس .
تانبور	Tambour	طبل .
تركتور	Tracteur	جرار .
تروفيزار	Rétroviseur	مرآة يرى فيها الناظر خلفه .
تولا	Tôle	صفحة حديد .

آلة ضخيم الكهرباء .	Delco	ديلكو
مطلق .	Démarrageur	ديمارار
الدينامو .	Dynamo	دينامو
المبرد المشعاع .	Radiateur	رديتار
خزان البنزين .	Réservoir d'essence	ريزرفولر
مطلق قاذ أو ثقاني .	Starter	سترتار
وعاء الرماد .	Cendrier	سندريا
تعليق .	Suspension	ميسبانشيون
قطعة الدائرة .	Segment	سيفما
هيكل السيارة .	Chassis	شاسي
قميص .	Chemise	شاميز
الإطار الداخلي لعجلة السيارة - الأنبوية .	Chambre à Air	شمبرلو
الوهاج .	Phare	فار
مروحة .	Ventilateur	فانفيلاتار
كبح .	Frein	فران
مقود .	Volant	فولن
تخلية - تفريغ .	Vidange	فيلانج
لولب مصمغ .	Vis Platine	ليس بلاتيني
مصفاة .	Filtre	فيلتر
آلة الإضاءة الخافتة .	Voileuse	فويلوز
الوالي من الوحل	Garde-Boue	قرغبو

كحوط	Capote	غطاء .
كربيراتار	Carburateur	المبخر .
كودوا	Courroie	سير - ج - ميبور .
كريلك	Cric	مرفع .
كلينياتار	Clignateur	الإشارة الصوتية .
كتار	Compteur	عداد .
كوبراسار	Compresseur	ضاغط .
كوتشو	Caoutchouc	مطاط .
كولاس	Colasac	مفلاق - فلتسورة المحرك .
مال اريار	Mallo-Arrière	صندوق المؤخرة لنقل الأمتعة .

الكلمات تزيد أحياناً على خمسمائة لفظة يتعلم عليها في أحيان كثيرة الفهم والإفهام، بسبب العودة للنطق أو تشابه أو تشاكله لما يكون بين الألفاظ من اشتراك مرة وتجانس أخرى . ولا ينبغي من المعالي بسبب الخطأ في الترتيق والتفخيم لبعض الحروف . وقد مثل بعضهم لهذه الصعوبة بالكلمات التالية :

أمان - من الأمن ، وأمان بتفخيم الميم = كيف يمكن ؟

ولا تكمن صعوبة دراسة العامية التونسية في هذا الخليط من الكلم والاستعمالات المختلفة الأصل والجنس، بقدر ما تظهر كجبرة في تحديد طريقة النطق عند أهل تونس وأهل المغرب عامة . وأول من جابته بعنف هذه الصعوبة المستشرقون . فقد كان الفرنسيون الذين يرغبون في الاستقرار بشمال إفريقيا أو زيارته أيام الاحتلال الأجبي، ويودون الاحتكاك بأهله والتعامل معهم بعد حفظهم لجموعة من

أمين - عيبر ، وآمين ما يقال عند
الدعاء .

بابا - مفتحاً أبى ، مرقماً باباً .

باش - سوف ، باش : كساء
سميك تعطى به مختلف الأمتعة .

برد - أحس بالبرودة ، وبرد من برد
أى استعمل البرد .

بلاً - أمر بوضع الشيء فى الماء ،
وبالله : قسم .

تاب - من التوبة ، وطاب - نصح .
حرام - يتحقق الرأى قطعة من النسيج
توضع على الرأس وتسد من الطرفين
وحرام - ممنوع شرعاً .

دوا - دواء ، ضوا - ضاء

رجل - رجل واحد ، راجل - معنى بها
جنس الرجل .

رئى - إلهى ، ورئى : حبر اليهود .
زوب - أسرع وجرب - مرض بالجرب
- الجرب : المرض .

سوم - صبر ، وسوم أمر بالصوم .

فرز - انت ، وفرج - العافية .

فرش - بسط الثوب ، وفرش -
سرير .

تكرأ - أكره ، كره - لم يرفض .

كلا - أكل ، وقلا - قلى .

لبابا - هو وسط الحيز الغير الناضج .
لبابا - لأبى . الأول بشرق الباء والثانية
بثغورها .

للاً - ما يقال عند فداء السيدة ،
ولله ما ينسب لله .

مرآة - للواحدة ، ومرة ضد العذب .
سنا - جمع امرأة ، وسنا : جنس .
نسنا : نسى .

وئ - بمعنى أمر ، والله - قسم .

ومن ثم أقبل المستشرقون ومن تبعهم
من أبناء تونس وسائر بلاد المغرب من
أصحاب الدراسات الألسنية على تحديد
الكلم وضبط طرق النطق بها بحسب
الأقاليم والجهات والمدن والقرى . وهم بعد
المرامح بما بين اللغة العامية بالشرق
واللغة العامية بالمغرب من الاختلاف والتباين
الذى يبرز بصورة واضحة فى قلة الحركات
أو اختصارها ، كما فى خرج وممعت وكتب
ونفضل . فهى عند أهل المشرق مسكنة

الأواخر في الاستعمال ، محرّكة بمحرّكاتها الطبيعية في بقية الأحرف كما في الأصل الفصح . وهي لدى المغاربة مسكّنة الأوائل بتوهم حركة سائلة في الأكثر كسرة ، وتشريك الحرف الأول بعد السكون الغازي عليه في الحركة مع الحرف الموالي له فنقول : انشَفَرَج واشسَمَت وانكَيَّب وانتَفَصل . وكذلك بعد إيرادهم الكلمات المشتركة بين أهل المغرب ، والمتعملة خاصة بشرقه ، والمتداولة فحسب بالبلاد التونسية تعمقوا دراسة اللغة واللهجات داخل القطر التونسي مفرّقين بين ما يستعمل من ذلك بالعاصمة أو بالمدن والقرى المتصلة بها ، وبين ما هو من محصاكن الاستعمال والتعبير عند البدو الرحل .

ويقصد إنارة الباحث وتمكينه من تصور ذلك ، أحببنا أن نعرض عليه نماذج وأمثلة لكل هذه الاستعمالات .

فمن الكلم المشتركة في الاستعمال بين عامة سكان المغرب كلمات متنوعة مختلفة الأصول مثل :

انراصر - اجاص

اكحل - أسود
لّوهر - أشقر
برح - رفع صوته
برّاد - إناء يطبخ فيه الشاي
بلّادج - فوخ من الطير
بيتر - نوع من الثمن
بكّوش - أبكم
بزّوله - ثدي
ترّاس - أحزب - راجل
تبروري - برد
تيرقاس - ثبت مثل البطاطس
تمشش - غضب
جرّة - أتر الأقدام .
جرّان - ضفدع
جُنة - جرة
حلّ - فتح
حرّقوس - مادة نهتية تحرق حتى تصبح سائلا أسود . لزين بها المرأة بوضع نقط منها في وجهها أو عنقها أو على حاجبها .

نَحْمَدُ	- فكر	صَمَمَ	- صُمُوعَة
نَحْطُ	- نقص	صَبَّاط	- حطا
نَحْمِمْ	- اشتغل	طاب	- نضج
نَوِي	- نصراني	طَبِّب	- أَمْصَح . طبخ
زُرِبَ	- أَسْرَعَ	عُطُوش	- عُرُوف
زَوَا	- العصفور ، زُفَا	عَرَّش	- فخذ القبيلة
زَايَلَة	- دابة	عَثْرُوس	- ذَكَر الماعز
زَرَدَة	- مائدة	قُلُوس	- مال
دَشْرَة	- قرية	قَرطاس	- أفرع
سَلَّك	- مخلص	فكرون	- سلحفاة
سَبَّحَ	- أَرَانِي الله بكثرة قصد التنظيف	قد	- يَكْنَى
سَلَا	- سأل	قَرَجُومَة	- أول العنق
سَرْدُوك	- ديك	قَلِيم	- فطم
سَلُوم	- سلم	قُطَايَة	- طغيرة الشعر
سُحُون	- حار	سَحَّج	- جعل
شَكَارَه	- كيس	كَاف	- ربة
شَلْقُور	- فأس صغيرة	كَرَم	- نيس
شَارِب	- شفة	كَرْمُوس	- تيسة
شَلْقُوم	- شارب	مَلَف	- نوع من التسيج له ظهر ويطن أملس
صب المطر	- نزل	مِشماش	- مشمش
صَوَّر	- حصل	هَمَّر	- تكلم ، صوت الجمل

مَجَالَة - أرملة

بَرَشَة - مكبر

وَلَّى - صار

بَرَشَق - ولد الماهر

وَجَّه - طلقه نار

بَرَكُوس - الواحد من الضأن دون

الكباش وفوق الخروف

ومن الكلمات المتداولة بشرق المغرب
والمشتركة في الاستعمال بين سكان
البلاد التونسية وطرابلس وقسنطينة .

بَرَّأ - اذهب

بَهْوَص - قيل

بُوش - غارغ

بَم - تبدل في بعض الجهات

الكاء فاء ليقال : لم =

بَصُر - داهب

موجود

بُرْكُوكَان - يرتقال

ماتكاش - غير موجود

ثِنِيَة - طريق

جُرْمَان - بط

جَهْفَان - للمحمل الذي تركبه المرأة

وتستعمل في بعض

حَبْرْمَا - قُوَيْمَا - حَنْمَا = حَلْمَا -

المجسمات بحمل العروس

حَلْمَا ، حَنْمَا

خاصة

خَنْب - سرق

خَعْم - حلق - زين - حَسَن

راح - ذهب

دُولَاش - دجوال

سَانِيَة - بستان

رُفَاح - استراح

سِقِنَاوِيَة - جزر

زاده - مع ذلك

قطوس - قط

سُطُوش - مضطلة

لِين - حتى

سُورِيَة - قميص

نَفَر - غضب

شَيْح - رافق

سُورَة - البرية

ومن الاستعمالات الخاصة بالبلاد
التونسية :

جديد = أسد

خبروط = إبل

طربوشة = حبيب كبيرة بأعلى البرنس

مُشِير = طفل

قُرُخ = صغير للحيوان وغيره

قديم = قديم

كندون = كساء من صوف يلبس

خاصة بالساحل التونسي

كَرْهِيَّة = كراهية = سيارة - سيارات

كَرْوْمَة = قفا العنق

كَنْطَلَة = عملة

مُرْشَانَة = حبل المظفر وتطلق مجازا

على المال القليل

مُنْفَالَة = ساعة

نَوْس = قم

مَنْشِير = مزرعة

وَزْرَة = نسيج من صوف يرتديه

الأعراب

وَقَا = انتهى

أما التفريق بين لغة سكان العاصمة

ولغة القرى ولسان أهل البادية فإنه يحتاج

إلى نظرة خاصة مزدوجة ترجع من ناحية إلى
الكلم ومن أخرى إلى طريقة اللفظ بها .

ومن الكلمات المستعملة بعاصمة تونس .

آش = ماذا أي شيء . باش بأى

شيء = صوف . علاش = لآى شيء . كيفاش =

كيف . لم لاش = لآى شيء . لواش =

لماذا . ملاش = من أجل ماذا

أولادك = قبيلة

إيجا + أبل

بُحْدِك وَلَا تَمْدِيكَ - أجازت أم تهزل +

برشة = كثير

باليك = ربما

برسكة = كناية

بشبيف = قسرا

بِكْوَى = أول الوقت وقيل .

بلل = مهما

توا = الآن

حب = أراد

سوت = معك

خزَر = نظر بعينه - جدق

فخل = دخل

راويزال = لور

ذَرَبِيَّة = يساط

يُحْصَا = حل

مَاق = قدم

شَيْخًا = مطر

شَايِئَةً = غلنسة - غطاء الرأس

طَلَعَ = سعد

خَلَّ = عمل

قَدْ قَدْ = تمامًا

كَيْف = مثل ، عند

لِيَارِح = أمس

هَبَط = نزل

هُوْنِي = هنا

يُرْزَى = يعجزى - يكتفى

بِالْبَر = كثير، وتستعمل عدد بدو
الجزائر .

وقد يحصل في المطلق بكثير من الكلم
فرق مبناء اختلاف التكلم بها رجالاً فكان
أم امرأة !. فلو كلمة بعت بعت ، وزوج

والنَّيْن ، وَزَيْتَب ، وَعَيْن ، تبطل الحركة
السابقة لحرف العلة . الساكن فيها
حركة لجائس الولو أو الياء التي تعبر
مداً لتلك الحركة ، فيقول الرجل : بين
بين ، زوج ، لثنين ، لئيب بوجين .
وتنطق المرأة التونسية وكذلك أهل
مدينة صفاقس بهذه الكلمات على الوجه
التصحيح الصحيح .

ولسنا في هذه المناسبة العارضة والزمن
القصير بمقادير على أن نضع قانوناً يسهل
أحوال النطق والتصريف للكلم في العامية
التونسية ، ولكننا نكتفي فقط في هذا العرض
بالإشارة إلى مجموعة ملاحظات تُعين
على تصور الأوجه المستعملة والطرائق
المحمدة في النطق بمختلف جهات البلاد
التونسية .

لسكان المدن والحوضر والقرى يهدلون
البيع زايماً في مغل : جوز : زوز : لمره ،
وزوز أيضاً بمعنى يعل والننان ، وفي جاز
يقال : زاز بمعنى دخل ، وفي جنس يقال :
زنسو .

ويحذفون الألف من أداة التعريف
أو الجنس، وربما حذفوا الألف واللام
كليهما، يقولون: ظفّرس: على القرس.
عشّطح: على السطح. يلباب: من
الباب. يندلر: من الدار.

ولهم بالنسبة للضمائر المتصلة كناه
المخاطب الساكنة آخر الفعل الماضي
حالة واحدة للمذكر والمؤنث، تقول:
نزلت: أنتَ وأنتِ، وتستعمل التاء
والواو لجماعة المخاطبين ذكورا وإناثا
بصورة واحدة، تقول: نزلتو: أنتم
وأنتن.

وكذا الحال بالنسبة لواو الجمع ممردة
في مثل: نزلوا، حالة واحدة: هم وعن.
وتتحد الصيغة أيضا في الأمر للمفرد
مذكرا ومؤنثا، يقال: انزل، له ولها. أما
مع الضمائر المتصلة فإن ضمير المخاطب
المفرد حالة واحدة للمذكر والمؤنث:
إنتم. وهناك حالتان مع ضمير المخاطب
المفصل إذا كان جمعا، ذكرا أو أنثى
يقال: أنتم وأنتموا.

أما ضمير الغائب المفرد فهو يختلف
بين المذكر والمؤنث، فيقال للأول: هو

ولثاني: هي. وفي حالة الإضافة تقلب الها
واوا في المذكر، فتقول: عتاهو، بدل عتاهه
وتبقى على حالها بالنسبة للمؤنث فتقول:
عتاهها، كما في النصيح. وللضمير الجمع
صيتان يسعوى فيهما أيضا المذكر والمؤنث
وهما: هم وهوما.

أما كاف الخطاب فإنها تكون بصيغة
واحدة للمذكر والمؤنث، حالة الأفراد
متاعك، وحالة الجمع متاعكم.

وفي أم الإشارة تفترن هاء التثنية
بلام ال، أو بألف ذلك، بدون ذكر الدال
فيقولون: هالكتاب، في هذا الكتاب.
وهاكوليد. ويختلف هنا الاستعمال بالطبع
عما هو شائع بسائر بلاد المغرب من مثل
قولهم: هذا الولد - هاداك الولد - هاذيك
البنت - هاذوك الأولاد - ذاك الولد
ذوك الأولاد - وذيك البنت.

أما شأنهم مع الفعل فإن لهم تصرفات
خاصة به في الماضي والمضارع والأمر

فهم يهملون صيغة المنفعل للمعلوغة
وبعضونها بصيغة فعل مقترنة بشاء لاسجة
أوله، تقول في فعل: حرق - حاز - بدل

انحرق وتتحاز : تحرق وتحرقت ، وتحاز
وتحازت .

ويحولون صيغة فعل في مثل ابيض
واحمر وفي مثلها في يمس إلى افعال
ابيضس واحمرس وايهاس .

ولصيغ المضي في النواقص حالة واحدة
فإذا اقترن الفعل بضمير الغائب المثلث
للواحد وهو التاء، أو بعلامة الجمع وهي
الواو، فإنك تقول في :

نسي	نسات	نساو
مسي	مسات	مساو
ربي	ربات	رباو
قاسي	قاسات	قاساو
تعري	تعرات	تعراو
تلال	تلاقات	تلاقاو
استحل	ستحلات	ستحلاو

وتضعف التاء علامة التأنيث الساكنة
آخر الفعل الماضي عند اتصالها بكاف
الخطاب أو بها الغائب المنقبة واواً فتقول في :
ضربت ضربتتك = ضربتلك .
سلمت سلمتتو = سلمتته

وفي الفعل المضارع يبدلون حرف
المضارعة للتكلم الواحد وهو الهزة
بحرف المضارع على الجمع ، ويضيفون
حالة الجمع واواً آخر الفعل ، ويقولون في
اخرج : تخرج ، وفي تخرج : تخرجو

وفي مضارع يستفعل الأجوف يقولون
في مثل يستفيد : يستفاد ، وفي مضارع
يستفعل الناقص يقولون في مثل يستحل :
يستحلا .

ويحتفظ المضارع الناقص وكلما الأمر
بالألِف أو الياء في آخره عند الشرائع
هو أو الجمع يظهر ذلك في مثل :

مسي	مسيبو	إمسيبو
ربي	بريبيو	ريبيو
قاسي	نقاسبو	قاسبو
نسي	تنساو	نساو
تعدي	نتعداو	تعداو
تلاق	متلاقاو	تلاقاو
ستحل	يستحلاو	ستحلاو

أما فعل الأمر فإن العامية التونسية
لا تجري فيه على قواعد التصريف العربية
تقول في :

ضرب يضرب إضرب
ضرب يضرب أضرب
وي يوي أوي
وي يوي أوي
شرب يشرب إشرب
شرب يشرب أشرب

مثل يبيض يضرب يضرب
وتأني جموع الاسم الثلاثي المؤنث على زنة
فعالي ، كما في قصعة : قصاعي - إمرة :
أباري - ففلة : ففالي - كسوة : كساوي -
زربية : زربلي .

ومن الأوصاف ما يكون على زنة فَعُول
مثل سَخُون لساخن ، ومَشْوَش لِهش .

ويجمع حلو الذي مؤنثه حلوة على
خَطَوَيْن بتشديد الواو .

ونلاحظ بالتمية لأسماء القاصدين
والمفعولين ما زاد على الثلاث حالات خاصة
هذا اللسان . فهناك صيغة واحدة لاسم
الماعل والمفعول وهي مَعْلَل تقول مَكْمَل
ومَيَمَى .

وفي صيغ أسماء القاصدين والمفعولين
والمصادر التي من زنة فعل أو تَعْمَل الناقصين
تنسجم في النطق بالكلمة حركة المقطع
الأول مع حركة المقطع الثاني ، تقول في
مَعْرَى : مَعْرَى ، وفي مُتَعَلَى : مُتَعَلَى وفي تَسْمِيَةٍ
تَسْمِيَةٍ . فإذا اتصلت حركة الفتححة
بحرف لهوي أو مفخم فإنها تغلب صفة
كما في مَرَمَى وَوَلَى وفي تَنْقِيَةٍ تَنْقِيَةٍ .

فإذا نظرنا إلى الأسماء في الاستعمالات
اليومية باللسان التونسي في العواصم والمدن
والقرى وجدنا ما كان منها على زنة فَعْل
أو فَعْل أو فَعْل يتغير النطق به إلى فَعْل
وقتل مالم يكن ناقصا تقول في قَبْر : قَبْر
وفي طِفْل : طِفْل وفي قَفْل : قَفْل ، فإذا كان
ناقصا بقى على صورته العربية القصبة
كما في عشى وزهو وجهى .

والمصادر في الدارجة التونسية تأتي على
وزن فَعْلَان كَتَحْلَان ، من دخل دخولا مَحْلَان
من حلّ بمعنى فتح ، ووَطَيَان من ولى بمعنى
انتهى ، وَطَوَيَان من طوى .

أما الجموع فإن منها ما يكون على
أدلة كما في أَقْلِمَة جمع قلم ، وَأَنْفِصَة جمع
منص .

أما جموع الأسماء أو الصفات الدالة على
حالة أو لون فإنها تكون على زنة فَعْل أو فَعْل

ونفس الفاعلة تنطبق على أسماء المفعولين
التواقص ، تقول في مبل : مبل ، وفي مقل :
مقل وفي مصل ، مصل .

وإذا اقترن اسم الفاعل المؤنث المقرد
بكاف الخطاب أو هاء الطالب المنقبة
وأذا ضعف ناء التثنية من آخره تقول :
قائِلته = قاتِلته - مُحَايِثُك = مُحَايِثَتُك
ومحَايِثته = محَايِثَتُهُ - مَقَابِلَتُك = مَقَابِلَتِكَ
- مَقَابِلته = مَقَابِلَتُهُ .

ومن الأسماء والأوصاف ما يقترون في
اللسان التونسى بلواحق من أصل تركى
تكون في أول الكلمة مثل باش ، أو في
آخرها مثل جى ، أولى الأول والآخر كما
في الأمثلة للوالية :

مُضَرَّجِي = مضر .

كَافُورَجِي = شليد الكفر .

قَرَبَاجِي = الساق الذي يحصل القرية
ويقال في المغرب : قراب .

بَلَاغِي = صانع البلغة و النعل ،
ويقال في المغرب : بلايني .

بَاشْ مَفِي = رئيس القصبين أو كبير
أهل الثمورى .

بَاشْ كَاتِب = رئيس الكتاب .

بَاشْ قَسَّار = كثير لعب القمار .

بَاشْ زُوفَرِي = كبير المستهترين أخلاقيا .

بَاشْ طَبِيحِي = رئيس الطبخة
المستهملين للملح .

وقد تحصل مفردات في الاستعمال في
الكان الواحد كما صمد تونس بين المتكلمين
اللسان الواحد من أصحاب العقائد المختلفة
كالمسلمين واليهود ومن أجل الإفصاح عن
ذلك نعرض الأمثلة والاستعمالات الآتية :

(ف)	(ي)	(م)
جرد	زديوع	جريموع
جرح	زوح	جرح
زلق	جلق	زلق
مرفق	شرق	مرفق

(م)	(ي)	(ف)
شرب	سرب	شرب
شرط	سوط	شرط
شطح	سطح	رقص
شقق	سقق	شقق
شُلح	شُلح	صلح
طُرز	طُرز	طرز
عَطش	عَطش	عطش
ياصر - برشة	ياسر	كثير

(م)	(ي)	(ف)
ضمير المخاطب الفرد المنفصل	أنت - أنتيا - أنتينا	أنت - أنتِ
ضمير الغائب للجمع المنفصل	هو	هم
ضمير المخاطب للجمع المنفصل	أنتم	أنتم - أنتن
ضمير التكلم للجمع المنفصل	أنا	نحن
ضمير الغائب المتصل	جابه	جابهوا به
إشارة للتقريب	هذا - هذابا	هذا
الإشارة للبعد	هناك - هانوا - هانوما	أهنا - آهنا
للاستفهام عن الشخص	أشكونو - أشكوني	أشكون
للاستفهام عن الشيء	أما - آنا	أما - أي

(ف)	(ي)	(م)	
مائة	مِئاً	مِئَة	العدد
ماتعان	مَيَّعِينَ	مَيَّعِينَ	
ثمّة	تَمَّ	تَمَّ - لَمْ	الظروف
أَيْنَ	وَأَيْنَ	وَيْنَ	السؤال عن المكان
أَيْنَ هِيَ	وَأَيْنَ وَلَيْشِيهَا	وَيْنِي - وَيْنِي	
يروض	لِي علّوض	لِي علّوض	كلمة
يَقِي	يَقِي	عَادَ	
لَمْ يَبْقَ	مَا بَقِيَ	مَا عَاشَ	
كتابان - يَتْن	كُتَابَيْنِ -	كُتَابَيْنِ - مَرُوحَتَيْنِ	علامة التثنية
مروحتان	مَرُوحَتَيْنِ		
مسلمون مسلمين	مسلمين	المسلمين	علامة الجمع
يلان	يَلِيَانِ	يَلِينِ	كلمة مختومة بيين
عطاش -	عَاطِشِينَ إِلَّا لِي	عَاطِشَة - عَاطِشِينَ	جمع الكلمة المختومة بيران
عطاشي	عَارَ وَيَجَافَ لَهُ		
	الصورتان للجمع		
صبيا	صَبِيَّاتٍ	صَبَايَا	جمع صبيبة
اخوة وغيرةا	خَوَاتٍ	اخوة ونحوها	جمع أخ
أموات سموي	مَآيَتَيْنِ	مَوِي	جمع موي
أقلام	غَيْرَ مَوْجُودٍ	أَقْلَمَة	جمع على أقلمة

(ف)	(ي)	(م)	
متعب	حيان	هاي - حيان	كلمة
أول أمس	أول بارح	ونالبارح	كلمة
لمشى	نمشيو	نمشيو	الفعل الناقص اليائي في المصارع للمتكلمين
أمر - مر	لماو	آمر	فعل أمر
ادخل	زوز - زولز	زوز	فعل
صير	صير - صيار	صير	فعل
ما أنظفه	مانظفوا	منظفوا	نمجب
ها أنا	غير موجودة	هائي	كلمة
ما أنا	غير موجودة	مائي	

ف فصيح	ق قرية	ت تونس
ماء	ي	ما
مشى	مشى	مشى
نسي	نسي	نسي

وأكثر ما يسمع ذلك بجهة الوطن
القبلي .

وتقلب الياء ألفا لينة في أواخر الكلم
وذلك في مثل :

فيإذا تفارق المتتبع لمتطورات وأحوال هذا
اللسان و الطريقة التونسية ، بالعاصمة
وضواحيها يولمب معوللا في القرى البعيدة
عنها وألفن لنتشرة بأحاء الجمهورية
لاحظ أن هناك انحلافا بيننا من جهة إلى
جهة بومن منطقة إلى أخرى يلقى كثير من
القرى تبدل الفتحة بكسرة في النطق
بأواخر الكلم أسماء كانت الكلم أو أفعالا
وذلك كما في :

ت تونس	ق قرية	ف فصيح
الى	الا	الذي
ثقلها	ثقلها	ثقلها

وهذا بهلاد السهل كثير .

أما في البوادي فأنت في أحضان كثيرة
أمام أعاظ جديدة وصور تيميرة مخالفة
لما عهدته أو تصحته بالخواضر والمدن
والقرى ويظهر ذلك في مثل هذه الكلمات

بافية	تونس	فصيح
آمن	البارح	أمن
بنى	حب	أراد
تعال - أراح	ابها	تعان أجيل
نخل	نخل	نخل
فارسنا	حمل	حمل
رقا	طلع	صعد
شبع	شاف	بصر
ظهر	خرج	خرج
كبوس	شاشية	قلسوة مايلسه الرجال بسوق الرأس

كراج	مال	للم - رجل
لعد	جمع	جمع
نؤ	شنا	نظر
منى	هنا	هنا
هوسحلو	هبط	نزل
وئع	شعل	أشعل - أوتد

وأظهرنا ما يتميز به اللسان في البوادي .
التونسية ويختلف به عن أهل المدن
والقرى النطق بالثقاف المقتطعة كما في .

لول - قولي - قل .

قلب - قلب - قلب .

حفرى - حفرى - حفرى .

ويفرق البدو تفريقاً واضحاً بين المذكر
والمؤنث فهم وإن كسروا الهزلة من إنث
الضمير المنفصل للمخاطب يفتحون التاء
للمذكر ويكسرونها للمؤنث . ويبرزون
هذا الفرق واضحاً في الأفعال فيقولون
شبت المستعملة للمذكر والمؤنث بتاء
ساكنة في الآخر عند أهل المدن والقرى
شبت بتسكين التاء للمذكر وشبت -

بكسرهما للمؤنث ولي مثل الأمر من زاد
يقولون للمذكر زيد وللمؤنث زيدة ولي
الأمر من كحير كحيرٌ للمذكر وتحييري
للمؤنث .

ونلاحظ اختلافًا في استعمال الأفعال
يبدو في مثل :

ملينة	يدو	فصيح
تشجاروا	تشجارو	تشجارون
تنقات	تنقت	تنقت
تنسلو	تنسُو	تنسرون
تهنارو	تهننو	تهنوا
خلأو	خلو	خللوا
ستحلات	ستحلت	استحلت
مشات	مشت	مشت
مشاورو	مشو	مشوا
نمقيرو	نسقو	نسقوا
يجيرو	يجرو	يجيرون-يجئون

ولهم في الأفعال الماضية وفي أسماء الأفعال
المقتربة بها الغائب المنقلبة ولوا صورتان
في التعلق ، وكلتا المقتربة بكاف الخطاب

جاءت بك	جاءتلك	جاءاتك
جاءت به	جاءاكر	جاءاتا
سلمته	سلماتو	سلماتا
قتلته	قتلاتو	قتلاتا
مقابلة لك	مقابلتك	مقابلاتك
مقابلة له		
مقابله	مقابلاكر	مقابلاتا

ويعود البدو إلى الصيغة الفصيحة في
الأسماء الثلاثية التي على وزن قتل وقُتل
وفُعل وكذا في جموع الأسماء والأوصاف
الدالة على الأمراض والألوان :

يَبِن - قَبِر - قُفِل - خَلُو - حُمِر -
حُور - حُمِي - يَبِض ويقولون في -
الصحير :

ب	ت	
كبش	كبش	كبش
رأس	رأس	رأس
مفتاح	مفتاح	مفتاح
كرموصة	كرموصة	كرموصة

ومن مجموعهم ما هو عربي فصيح كمفاتيح
وحوائث ودكاكين مقابل مفاتيح وحوائث
ودكاكين في لسان أهل الحضر .

ومن مجموعهم أيضًا ما يكون على زنة
المونث السالم بزيادة الألف والتاء أو ما يكون
بزيادة الألف والنون كما في قولهم لكباش
سمينات - أيام بإسرات - جمال -
وردان .

ولهم صيغ في الجمع لا تكاد تستعمل
في المدن كصيغة فعل وفعل وفعل مثل
قولهم سبق جمع سابق وشرف جمع شارف
وجرم جمع جارم ويثيرة جمع بكرة وغيره
جمع غراب وحقبة جمع عقاب ويستعملون
لجمع الجمع صيغة مختلفة كما في فرسان
يقولون فرايس وفراسين وفي نسوان
نساوين وفي تيران نواوين .

وطريقة النطق بالبوادي ليست واحدة
هي أيضًا بل هي مختلفة بحسب اختلاف
المناطق كالاختلاف في المدن والقرى الذي
أشرنا إليه بحسب الجهات .

وأبرز المناطق للقبائل و العروش
وهي بطون القبائل في البلاد التونسية
اثنان :

الأولى : تمتد أوسط البلاد من جبال
السط إلى مجردة وتشمل من القبائل
الهامة والقراشيش وماجر وجلاس وأولا-
حيل وأولاد بوغانم وحريد .

والثانية : تمتد في الجنوب مسيطرة
للساحل إلى حدود ليبيا من جهة - وتمتد
إلى حدود الجزائر متصلة بسوف جنوبًا
وتاة شمالًا من جهة أخرى وتشمل هذه
المنطقة الثانية عددًا كبيرًا من القبائل
هي ورغمة والرايل ونفزاوة وعكارة
والحمرنة ومنوزيد وقاطنو واحات قابس
والهوازية ، والعربة ونغات والماليات
والسوامي وأولاد سعيد وهذيل ومنعد
وخمير .

عإذا رمزنا إلى أصحاب المنطقة الأولى
بـ (أ) ولأصحاب المنطقة الثانية بـ (ب)
أمكننا أن نلاحظ الفروق الآتية في النطق
بين أجليهما :

فصح .	(أ)	(ب)
آخِر	آوخر	آخُر
بقرة	بقرة	بُقرة
ربطت	ربطت	رُبطت -
		ربطت
حبة	حبة	حِبة
عربي	عربي	عُرَبي
فرسه	فرسو	فرسا
قتلوه	قتلوه	قَتَلوه
كلبه	كلبو	كلبا
امرائي	مرى	مرى ومرى
يأخذ	يوخذ	يأخذ
يأكل	يوكل	يأكل

ويأتي اسم الفاعل واسم المفعول بصيغة واحدة عند أهل المنطقة الأولى كما في مسمى الحسبي ومسمى ويفرق بين الاسمين عند أهل المنطقة الثانية الذين يقولون في اسم الفاعل نحن ونبي عربي وفي اسم المفعول منه عربي .

وتفتقر كلمة بعض أمام ضمير الجمع عند (أ) يقولون بعضهم وضمير الجمع

للنائب عند (أ) : هم وهوما وعند (ب) هم وهن ويفرق أصحاب المنطقة الثانية بين المذكر والمؤنث تفرقةً وانصباً كما في بيتك للمذكر وبيتك وضميرك وضميرك للمذكر وضميرك وضميرك للمؤنث وربما أبرز نون النسوة كما يقول المراتيق بيتكن وجيتن في بيتكن وهذا اللسان مع اختلاف اللهجات فيه قد سده تطور كبير وكان مرة ضعيفاً غمتهنا مردوداً وأخرى مؤيداً محتفلاً به مقصوداً .

كان اللسان الخارج لغة العامة دون الخاصة . وكان هؤلاء لا يستعملونه الا في الحوار وللضرورة . وإذا كانت الفصحى هي التي سادت في الأول لكونها لغة القرآن والدين والدرس والعلم والأدب والتفكير ، وكانت تمثل وحدها بتونس لغة الحضارة والرقى والمعرفة فإن اللغة البارجة إزاءها كانت بدون شك وفي نفوس المتحذلين بها لا تسمو إلى مكانها ولا تبلغ شأنها . ولاستطيع أبداً مزاحمتها خاصة بالمعاهد العلمية والمساجد مثل جامع الزيتونة ومراكز التعليم الفني الإسلامي ومجالات الوعظ والتوجيه وعند الأئمة ولدى الطول والقضاة والمحامين وكل

الإدارة التونسية . كانت القصص .
المميز الفارق بين العالم والجاهل والمتقدم
والمتأخر . وكان المحدث بها شرقا وكما لا
يحاول كل التونسيين أن يتأله ويحصل
عليه لو انتشرت المدارس وسمت دور
المعرفة والعلم أطراف البلاد .

فالدارجة إذن لم تكن تكتب أو
تقيد إلا عند القليل وفي القليل من الأحيان
والناسبات . ولم يكن يعنى بها غير
طائفة من الغريبيين والمستشرقين . فلما
احتاج إليها الساسة ، إما لجهل بعضهم
بالعربية وعدم ممارستهم السابقة لها ،
وإما لتحقيق التوعية الشاملة وصحابة
كل فئات الشعب باللسان الذى تفهمه
واللغة التى تستطيع الحوار والمناقشة بها -
وقف رئيس الدولة إلى جانب الدارجة
واحتلها وسيلة خطاب جماهيرى حقلا
فيها أقرب وسائل الإبلاغ . وهكذا
أصبحت الاجتماعات الحزبية التى نتقد
لا تعتمد في الأكثر خير العلمية ، وظهرت
إلى جانب حصة نغمة الأخبار والتعليق
عليها باللسان الدارج ببرامج الإذاعة
خصص الأدب الشعبي ، وسميت وزلة
للثقافة بتكوين لجان تجمع تراث الأجداد

من أزيال وأمثال ونحوها ، وحقت
المسابقات بين شعراء الملحون ، كما كانت
تعقد بين شعراء القصص وحظهم . ولكن
ذلك مهما لنا وزاد لم يكن ليكتب
للدارجة قدرة وشرقا أو يحلها من عامة
الناس ، وفي قرارة نفوسهم ، للحل الذى
يريد لها دعاة العلمية الزاحمون أنها لغة
البلاد ، وأنه لا حاجة معها إلى القصص .
العربية .

ولملاحظ مع ذلك أن تطور الحياة
والأوضاع يحتمل الاستقلال :

أولاً : ينشر المعرفة وتكوين المدارس
ورقعة المعاهد في كل مكان بلندن
وبالمراكز والقرى وبالنطاق الريفي الثانية .
وثانياً : باستعمال مختلف وسائل
الإعلام وانتشار أجهزة الالتقاط لصيد
الإذاعات .

وثالثاً : بالبرامج الثقافية والحلويات
أو الشبكات التى تعمل جاهدة من أجل
تقريب الكتاب من القراء والمطالعين
في كل مكان ، واتى يفرض عليها نشاطها أن
تحدث أحيانا كثيرة بالقصص وبالقصص

لفظ خاصة في المناصب الدينية والقطاعات
الفكرية والأدبية .

غير من أحوال الداريجة فقاربت
لهجتها ، وتبدل الكثير من ألفاظها ونهضت
مادة واستعمالا ، وانصرف العديد من
الناس عنها بحكم التحم إلى استبدال
أحد اللسانين العربي الفصحى والفرنسي
بها لتغير اهتمامهم وارتقاء أوضاعهم
ومفارقة لهم لأوساطهم التي نشأوا فيها
ودرجوا بها إلى أوساط أخرى تختلف
وتتميز عنها تماما . وهكذا إلى جانب
الداريجة الملهية الجبلية في الأكثر
والمهجورة في الأقل يجد التونسي نفسه
أمام مشكل لغوي أشد حدة من السابق
تغلزته أسيا به وتعمقه حوايه . فهو
في صراع آخر في أكثر أوقاته وخارج
المحيط العام الذي يضطره قليلا إلى استعمال
الداريجة ، إما منصرف إلى التكلم بلهجة
القومية : العربية ، لغة دينه وقرآنه وبني
جلسته ، وإما إلى الحديث باللسان الفرنسي
الذي يحمل إليه كل مستجد من الحياة
وكل ماله صيق الأثر في نفسه من ألوان
الثقافة والفكر والحضارة .

والحقيق أن الناس وإن بدوا مخزفين
وموزعين بين اللغتين الحصاريتين
العربية الأصيلة والفرنسية الدخيلة في
تونس متقسمون ثلاث ثلاث :

أما الأولى فهي التي لا تعرف غير
الفرنسية . وهذه بحد الله صنف قليل
من التونسيين لا يكاد يذكر . تخرج
من مدارس الاحتلال الأجنبي التي
أنهت إثر انتصاب الحماية بالبلاد
التونسية فراحه وبهره باللغة القوي
الدخيل من رواء وكمال وعزة . وذهب
يعتن أن هذه اللغة وحدها هي العملية
وأنها تستجيب دون غيرها لكل
مقتضيات الحياة وتطوراتها وما يسها
يومها من تقدم آلي وثقني ودرق حضاري .
فهو يحتقر العربية ولا يتكلمها لجهله
للطريق بها . وإذا تحدث إلى من لا يعرف
الفرنسية كان مقتصدا جدا مقتصد
يستعمل كلمات قليلة عامية على التميز
وخفيق : وإذا خلص من دواهي هذا القول
عاد إلى تفاصحه بنهر العربية . كنت
أجد ذلك عند الكثير من أفراد هذه
الغلة وخاصة النساء والشباب المتعلمات

اللائي يجرح كرامتهن ويشين تقديسهن
للإسلام بغير الفرنسية .

وأما الفئة الثانية فقد درست العربية
والعربية وحدها ، فوجهت إليها عنايتها
وتفضلت بها وقامت عليها ؛ فهي المتسكة
مشرف الفصلى الداعية لها المفارقة لغيرها
وقد قصرت هذه الفئة عن مشاركة
غيرها في أسباب التقدم الحضارى
والفكرى إلا أن يأتيها ذلك عن طريق
الترجمات . وما ينقل إلى العربية من
روائع الأدب الغربى والفلسفات والآراء
والأفكار الأوروبية .

وأما الفئة الثالثة فهي أكثر المنظمين
ببلادنا بالأمس القريب . تلقت معارفها
وتخرجت من المدارس الفرنكو عربية
ومن المعاهد الثانوية والمدارس العليا .
كانت تلقن كل المواد بالفرنسية
ولا يكون لها من حظوظ دراسة العربية
إلا زمن قليل جدا وفي أوقات متميزة
لهذا الغرض إلا من كان له عنها بمحيطة
الخاص أو يبعثه من يمينه على إكمال
ذلك بنفسه وتعلمه العربية . وهذا
المنصر الذى تشكل منه الفئة الثالثة

في مجموعها وإن أدنى معرفة اللغتين
العربية والفرنسية بعيد جدا عن إتقان
إحدهما ، فاقدر القدرة على استعمالهما
استعمالا سليما وفصيحا . فهو كلما خاضه التعبير
باللغة التى يتحدث بها ' ركن ' إلى ' الثانية
مستنجدا ومستعينا للولاء بما يروم الإعراب
عنه . ولغاية اللسان الفرنسى على هذا الصنع
كان أكثره لا يرى من الفرنسية حولا
ولا يرضى بها بدلا .

ومن هذين الصنفين الثانى والثالث
تكون غالب المثقفين التونسيين فصلت
عنهم كتب ودراسات ومقالات وأشعار
باللسان العربى والفرنسى .

وكانت العربية التى يكتبون بها
والتي تقرأها في الصحف والمجلات وما
نشر قبل الاستقلال تنطق بعدة ظواهر

منها استعمالات فصيحة مهجورة في
غير تونس كتأنيث العلم وورود أين
بغنى حيث

ومنها ألفاظ اصطلاحية خاصة ، كالتعبير
للتعليق ، والتسويخ للكرا ، والفصول
للمواد ، والقار للنظام .

ومنها استعمالات معطول بها عن الأصل
الثابت الصحيح كحجر بدل حجر ،
وأطرد بدل طرد ، واقتبل بدل استقبال
وأبهر محل بهر ، وصلوحة مكان صلاح
ورصيفة موضع زميلة ، وشاح بدل جف ،
والوسق عوض تصدير ، وتوريد بدل
استيراد .

ومنها ما يشهد للتأثر بالفرنسية وهذا
كأننى شاع في الغالب عن أفلام المترجمين
من مثل استعمال وقع في نحو قولك :
المسألة التي وقع بحثها ، والجريدة
الناطقة ، وفائدة السلم مكان من أجل
السلم ، والنسبة لكوننو وطوجو والكثرون
بنحو كتجولي وطوجولي والكثرونية .

ونحن إلى جانب هذه الملاحظات
المتعلقة بالعربية المكتوبة اليوم بتونس
والتي هي كما هو الحال في كثير من
البلاد العربية ، تسمو وتتضع وتقوى وتتضعف
فتمثل الصراع الذي أشرفنا إليه بين
اللغتين وبين الثقافات المنتهية أو المنتصرة لها
حالات عامة شعبية ومواقف خاصة صدر
عنها مسئولون .

أما الحالات العامة فتظهر في الشعور
القومي قبل الاستقلال بوجوب الأخذ
بالفرنسية والاعتماد عليها كلية لإنشاء
المستقبل ، ثم في التحول عن هذا الشعور
تدرجيا إلى وجوب إتقان العربية لغة
الإسلام والعرب جميعا ، ولزوم استعمالها
أكثرى ، الحياة اليومية والإدارية والعلمية
والفكرية من أجل بلوغ مراكز القيادة
والريادة في الفن الأفضل .

وأما مع المسئولين فقد لاحظنا لدى
الفئة الثاقبة القائمة على شرف القصص
وخدعتها تحويلا في برامج التعليم بجمع
الزيتونة وبمعهد المخلوئية بتونس ،
وبالخمسة بصفاقس . وذلك بإدخال
العلوم المختلفة الرياضية والطبيعية ونحوها
في مناهج الدراسة وتلقينها للثلامنة
والطلاب باللسان العربي الفصحى ، مقيمير
بذلك الدليل المعلى على أن اللغة العربية
ليست كما يزعم خصومها صعبة مقيدة
لا تواكب التطور ، وتعجز عن الوفاء
باحتياجات العصر . وهكذا أمكنت
الكثير من الطلبة بعد حصولهم على شهادة
التحصيل العصري أو شهادة البكالوريا
العربية من الالتحاق بالكليات العلمية
بالجامعات العربية في المشرق :

ولا حظنا إثر ذلك حركة رد فعل لدى ثاني وزير للربية القومية متونس في عهد الاستقلال؛ فقد كان مع حبه العربية وثقله بها واحتداد بمفترقه فيها بسره ألا يتكلم بين خاصته ومن حوله إلا بالفرنسية . ويرى بحكم إجادته للفتى ، وهو أمر كما ذكرنا قليل جد قليل ، أن الحاجة ماسة إلى ازدواجية اللغة ، ازدواجية التعلم ، وقد نادى بذلك مخطيا . في سياسة تونس التعليمية وصرح به بعض الصحف قائلا :

«إن الازدواجية في اللغة تبدو من الناحية النفسية البيداغوجية نوعا متميزا من التكوين ؛ هو يكون شك أصعب . ولكنه أشرف ؛ إذ الازدواجية في اللغة تعني مصاحبة في الثقافة وفي نوعية التفكير وفي الشعور والتخيل وفي أبعاد الفكر . كما هي مضاعفة للشخص ذاته ؛

وأمام هذه المكاسب تقدم حل اختيار الازدواجية مواجهين كل الصعوبات ومتعلين بمهولة عليها . ويتأكد أن ضعف إلى ذلك أن الازدواجية في اللغة مثل للتكوين الصحيح ، متى انتهت بصاحبها الآخذ بها إلى حصيلة غنية من لراء اللغتين والثقافتين ، فهي لا تشكل أبدا عطر محر الشخصية القومية ، بل التي على العكس تعطى تلك الشخصية كل أسباب التفتح والتفتح والتطور في ظل العالم الحديث

ومضت منين على هذه التجربة التي انتهت إلى نتائج سلبية غير سارة ولا مقبولة . ونادى كثير من رجال التعلم بالتحريب وتشكلت لجان من أجل توحيد المصطلحات بين أبناء المدارس في كامل بلاد المغرب وانتصرت أخيرا هذه السياسة ، وبدأ التحريب فعلا في المدارس والمعاهد والكلية . وإنا نرجو للمصحي فوق ذلك مظهرا

معهد العبيد ابن الخوجة
مضو الجمع

مصادر ومراجع البحث

- المالكى : رياض النفوس
اللسان العربى ، مجلد ١١ جزء ٢ عام ١٩٧٤
- ابن خلدون : المقدمة
محمد صلاح الدين الكواكبي .
الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة
- إبراهيم السامرائي : العربية التونسية
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج ١٩٦٤
- مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق جويلية
١٩٧٣ - ج ١٩٧٦ .
- عبد العزيز بن عبد الله : معجم السيارة ،
محمود تيمور : معجم الفاظ الحضارة .
-

Beaucouche (T). Un specimen de contact linguistique : la langue des mécaniciens R.T.S.S. 8. 1966 .

Cahiers du C.E.R.S.S. serie linguistiques 2. 1969

Travaux de phonologie divers de Djemmal, Gabès, Mabdia.

Cantineau (J) . Analyse phonologique du parler Arabe d'El Hamma de Gabès. Bulletin de la Société Linguistique de Paris T. 47, 1951.

Cohen (D). 1.- Etudes de linguistique Sémitique et Arabe.

2.- Le Parler Arabe des Jafis de Tunisie Etude Linguistique

T.2.

Dazy (R) Supplémentaux Dictionnaires Arabes.

Garnadi (S). 1.- Les problèmes du plurilinguisme en Tunisie - (Renaissance du Monde Arabe).

2.- Quelques faits de contact linguistique Franco-Arabe en Tunisie R.T. S.S. 8 - 1966.

Marçais (W). 1.- La langue Arabe I la Diglossie Arabe

2.- La langue arabe dans l'Afrique du Nord

3.- Comment l'Afrique du Nord a été arabisée

4.- La langue Arabe.

(Articles et Conférences Paris 1901).

5. Les Parlers Arabes et Berbères.

in. Initiation à la Tunisie.

6. Quelques observations sur le Dictionnaire.

Pratique arabe - française de Beaumier.

Marçais (W) et Parès (J) Trois textes Arabes d'El Hamma de Gabès.

Saad (L) Le Langage des femmes tunisiennes (in mélanges Marcel Cohen .

العربية أمس واليوم

د. ستاز عبد الله كنون

من

الكلمات الحكيمة

التي كثيراً ما نجرى

على لسان حلّائنا قولهم: «من كثّر علمه قلّ اعتراضه» وتنطبق هذه الكلمة على كل من يحشر نفسه فيما لا إلام له به من مسائل العلم واللغة والأدب، فيسوّى إلى نفسه وإلى الناس بما يظهر من جهله وخطئه، وما يثيره من بلبلة في الرأي وخطأ في الحكم. ومن هذا القبيل الحملة التي يشنها بعضهم على اللغة العربية باتهامها بالقصور عن مجازاة التطور المعاصر الحاصل في العلوم والفنون، حتى أصبحت في عداد اللغات الميتة كاللاتينية واليونانية القديمة. والمحتدل من هؤلاء من يقول: إنها لغة أدبية لا تصلح للعلم، فعلى العرب أن يصطنعوا إحدى هذه اللغات الأجنبية التي برزت في مجال التقنية والحضارة الحديثة، كي يسايروا ركب الأمم المتقدمة ولا يثبت بسلاخهم بحيز من التطور والرق المتفود. وأثرت هذه الدعاية في كثير من قادة الفكر ورجال

العلم عندنا، فادعوا أن تلقى العلوم بالعربية غير ممكن، وأصرّوا على بقاء الجامعات في العالم العربي—وعخاصية الكليات العلمية منها—جامعات لجنينة اللغة إلا ما ندر منها. والذين لم يتجرؤوا على اتهم اللغة العربية ذاتها بالقصور ملكوا طريقاً آخر لهم والتشكيك في قدرتها على أداء رسالة التنوير والتنظيف للشعب العربي الأُمّي التي هي رسالة كل لغة حية، فقالوا: إن حرفها بعيد كل البعد عن الاستجابة لهذه الرسالة، فهو خير مشكول وبسبب ذلك يقع القارئ العربي في كثير من القيس ولا يفهم المعنى المراد بسهولة. وأن عليه أن يفهم قبل أن يقرأ لقراءة صحيحة، فصار الحرف غاية هتان كان وسيلة، ومن ثمّ فاعلى العرب إلا أن يستبدلوا عرفهم هذا الحرف اللاتيني المصبوط الذي لا يجد القارئ صعوبة في قراءته، لأن الحركات التي تشكّله هي من صميم كتابته ونخطبطه.

(٥) انظر المذكرات على البحث في عاشر جلسات الدورة الرابعة والأربعين (جلد الخامس ١٤) ص

١٣٩٨ م ٢٣ من مارس (أذار) سنة ١٩٧٤ م

ولعل هؤلاء - ولأنهم أحدا - إنما يقومون بدور الطلبة للآخرين في هذه المعركة الخاصة التي يريدون أن يقصروا بها على اللغة العربية القضاء المبرم .

ومن غير أن أقول جديدا فإن دعوى تصور اللغة العربية عن مواكبة التقدم العلمي والحضاري في العصر الحديث ، جدير بها أن لا تسع لفظة الواقع ولأن ماضى هذه اللغة يكتبها ... فالواقع أنه منذ انبثاق عهد النهضة بوطننا العربي في مطلع هذا القرن ، والعربية تؤدي وظيفتها على أكل وجه في الميدان العلمي والأدبي على السواء ، فقد نغلت إليها روائع الفكر والفن من الأدب الأوروبي على اختلاف لغاته من فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإسبانية وإيطالية ، وغيرها ، ولم تضق فرعا بشيء منها . واطلع القارئ العربي من خلال الترجمة على الأعمال الأدبية لبناء الكتاب والشعراء الغربيين وكذا على الكتب الرائدة في الفلسفة والاجتماع والتاريخ لأعلام الفكر المعاصر ومن قبلهم من عصر النهضة الأوربية إلى الآن .

ولم يكن حظ العلم والمعرفة الصحيحة بأقل من حظ الفلسفة والأدب . فبعض جامعاتنا تدرس العلوم باللغة العربية . والمتسكنون من علمائنا وضعوا مئات الكتب ، إن لم أتل آلافيها ، في فروع العلم

المتشعبة باللغة العربية ، وهذا إلى عشرات المعاجم المختصة بالطب وفنونه والطبيعة وأسرارها ، بحيث يصح القول إن لغتنا الضادية تسير مع نهضتنا جنبا بحسب . وأنا لا انتقد خطوة في سبيل التطور الفكري والعلمي إلا وتكون اللغة أمامنا آخذة بزمامنا لا تفلطحها في مرحلة ولا مجال .

ولغة هذا ذاتها لا تكون ميتة ، والعربية لن تموت أبدا حتى يموت العرب كلهم لا قدر الله ، ولذلك فإن تشبيهها باللاتينية أو اليونانية هو من باب المغالطة . ذلك أن هاتين اللغتين خبر ميتين ، والدليل على ذلك أن اللغات الأوربية الكبيرة ما تزال تعتمد متبعا ، وترجع إليهما لتفسر عندهما أسباب النور والحياة ، فإن أريد بموتهما أنهما أصبحتا غير مستعطين في التخاطب والكتابة ، فإن ذلك صحيح . واللبس بسيط وهو يخل أهلها بهما ، فكيف يقال إن العربية لغة ميتة وأهلها لا يعرفونها بديلا ، وهم يملكون في منزل نهمها وازدهارها النفس والنفس ، وقد حققوا من ذلك أغراضا بعيدة وما يزالون يعملون على إحلالها محل اللاتينية بهم بصفتهم أصحاب رسالة وبنات حضارة وخبر أمة أخرجت للناس .

نعم إن ما يهدف إليه أولئك المحصوم هو جعلها فضلا مثل اللاتينية واليونانية يحمل أهلها على تبليها واصطناع لغة

أجنبية عنهم كالأجليزية في المشرق
والفرنسية في المغرب ، بأمل التطور والتقدم
وذلك إن أرادوا أن يسلكوا الطريق القاصد
والسبيل اللائق .

على أن دعوة أخرى مدسوسة كثيرا
ما يروجها الخصم بينهم ، وهي ترمي
إلى القاية نفسها ، ومن المؤسف أن يبتناها
بعض أبناء العرب ، وينساقوا في حيلها
جاهلين أو حارطين بما تؤدي إليه
من تقسيم الأمة العربية ، وفهم هذه
الدعوة الوثيقة التي تجمع بينهم ، وأضى
بها الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى
وذلك هو ما حصل منه اللاتينية بالضغط
حين تحولت لهجات الشعوب المتكلمة
بها إلى لغات فئات هذه اللغة موتا معنويا ،
وحلت تلك اللهجات محلها فصارت الأمة
الواحدة إنما متحدة ، وما يفرق بينها أكثر
بما يجمع ، وأعصه اللغة .

ويشهد ماضي العربية الزاخر بالفتوحات
العلمية والفلسفية والأدبية أنها لغة حية متطورة
بإسطاعتها أن تحتوى جميع أنماط التفكير
الإنساني ، وتتوحد كل قضايا المعرفة الكونية
من علوم رياضية وطبيعية وتجريبية وتطبيقية .
وقد تفتحت على ثقافات الأمم والشعوب
التي سبقها ، وحضاراتها ، فأخذت منها كل
صالح نافع وأضافت إليها ما ابتكرته وأبرت به على
تراث العالم القديم فما قصرت ولا عجزت
عن مطلب أو مرام .

بل كانت اللغة الأولى في العالم ،
وكانت الأمم والشعوب المعاصرة لها تنبسط
منها وتستثير بها ، وتعتبر أحبا هو الأدب
والفكرها هو التفكير ، حتى لو وضعت
الشكوى في بعض بلاد المغرب من إقبال
شبابها على اللغة العربية وهجر لغتهم القومية
هذا على حين أن الانتقال إذ ذاك كان
من حرية مقصورة على بعض أفراس الحياة
التي تقتضيها ظروف العزلة المفروضة على
جزيرة العرب قبل الإسلام : فكيف الآن
والحرية تحرورا مطلقا هذا التاريخ الحافل
بالجد العلمي والأدبي ، وأبتاؤها يصلون
ويكونون ليل نهار في خطتها ودفع القسم
عنها ؟

وإذا تبين أن دعوى قصور اللغة العربية
في المجال العلمي لا نصيب لها من الصحة ،
فإن دعوى أنها لغة أدبية غير علمية
كذلك لا تصح ، ضرورة أن اللغة إذا كانت
ناجحة أدبيا فلا بد أن تنجح علميا . لأن
المادة العضوية للغة هي الأدب فهو الذي
ينمى ويمتدح بنسبة الحياة . وليست هناك
لغة علمية لا أدب لها . ويمكن العربية
دليلا على رسوخها في مجال العلم أن
مفرداتها ومصطلحاتها العلمية تشيع في لغات
أكثر الأمم تفرقا في حلبة العلم والتكنولوجيا
وهي مما اقتبسته منها في عصر النهضة الأوروبية
ولم تجد عنها خفاء حتى الآن . بل إن بعض
العلوم إنما برزت باسمه العربي في جميع
اللغات وهو علم الجبر ، ومن الغريب أن يدعى

هؤلاء على اللغة العربية ما ادعوا، وعندنا من يقول: إن من المشكلات التي تواجهها العربية تعدد المصطلحات العلمية التي نشأت من اختلاف النحاج اللغوية وأسئلة الجامعات فيما يضمونه من أسماء متمثلة بالمصطلح العلمي الواحد، وهذا على ما فيه أعظم حجة لحسب اللغة العربية وحفظها الحزير، وكنت: وعلى ما فيه لأني أرى في هذا القول مبالغة كبيرة، فالعدد المزعوم لا يزيد على ١٠ إلى ١٠٪ من المصطلحات الموضوعة وهو علامة صحة أكثر من علامة ضعف، فإن بعض المصطلحات التي يقع فيها خلاف تحتاج إلى فترة من الزمن تجمع فيها التجربة والاختبار. وعندما يمرس المصطلح المختار نفسه وعلى أي حال فواقع اللغة العربية ليس كما يتناول الخصوم، بل هو في ازدهار مستمر بفضل الجهود المبذولة من أبنائها المتفانين في خدمتها، حتى إن بعض المصطلحات العلمية الجديدة تتعدد وتتكرر لاختلاف نظر واضعيها. وهو أمر شبيه بما وقع لأوائلنا في عهد الترجمة الأسبق. فإن منهم من كان يبتنع للتعريب ولو في الكلمات الواضحة الدلالة بالعربية، فيقولون: (أرتماطي) في الحساب (وفزيق) في الطبيعة، وما أشبه ذلك، ولكن البقاء دائماً إنما هو للأصلح.

ونخلص للكلام على الحروف العربي الذي اتهم بما اتهم به، فإنه بحسب نظر القناتين الأجانب من قدامين والمتخصصين في أعمال المؤرخة يعد من أجمل الخطوط أو أجملها على الإطلاق، حتى أنهم من فرط

الإعجاب بأوضاحه وأشكاله للجملة مع الحمار العربي الرائع يحلونه عمل التصوير الذي لم يكن به العرب لتحريم الإسلام له. ويجعلون إبداعهم في النقش والكثافة مقابل ما فاتهم من الإبداع في التصوير والفنيل.

هذا من حيث الشكل، ولما من حيث الفائدة فلا ننسى إشادة المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بالحرف العربي وتوصيته للعرب بتمسكهم بحرفهم الذي لا يعدله حرف آخر، وهي الحقيقة التي لا حرية فيها، فإن كثيراً من الحروف العربية لا يوجد لها نظير في الحرف اللاتيني الذي يراد استبداله بالحرف العربي، ومنها الحاء والضاد والظاء والسين والفين والفاء. ومهما عدل هذا الحرف أو ذاك ليصبح دالاً على المراد منه فإنه يبقى بعيداً عن النطق الحقيقي لمؤلفه العربي. ماهيك بأن عدد الحروف اللاتينية أقل من الحروف العربية.

وأما إن القارئ العربي يلزمه أن يفهم الكلام قبل أن يقرأه قراءة صحيحة، فإن هذه منسقة مردودة على أصحابها، وأي كلام لا يحتاج إلى الفهم ليقرأ قراءة صحيحة، فالإنسان في حالة الشرود النعوى يمر بسطور عديدة، بل صفحات من غير أن يعرف كيف قرأها لأنه لم يفهمها، وليس كل كلام يفهم بمجرد قراءته ولو كانت القراءة صحيحة.

فالواقع أن الحملة على العربية مسخفة بقدر ما هي دنيئة، ولذلك فإنها وإن أحطت ببعض

الببلة في بعض الأفكار لم تزل من العربية
للشاعرة إلا كما يناله قرن الرجل من الصخرة
الصماء .

ولست في حاجة إلى بيان مافى الحرف
اللاتيني من نقص واشتباه كثيرا ما يفتنى إلى
الارتباك والخطأ في كتابته وقراءته ، فالكاف
مثلا في الفرنسية له ثلاثة أحرف أحدها مركب
من حرفين ، واليس كذلك لسحرمان أحدهما هو
إحدى صور الكاف ثم تارة هو سين وتارة
زاي وتارة مصصف ، ولكن يقرأ سينا مع عدم
التصنيف . وقل مثل ذلك في حرف الماء
الذى يركب مع الباء فيصير ماء ، وبذلك يصبح
الماء حرفان ، ويركب مع الحرف الذى
يستعمل كافا وسينا فيصير شيئا . ولا صورة
لشين إلا هذان الحرفان . ثم تارة هو يكون
رائدا لا نطق له وتارة رافدا للحركة وحلم
جرا . والياء وإن كان لها حرف مخصوص إلا
أنه يستعمل حركة أيضا ، ويحذف عنها تارة
بحرف البحر مع لامين وتارة بحرف الجيم
والثون وهو من أغرب ما يرى .. ولا أستمر
في ذكر هذه المجالب لأنكم تعرفونها ، ولكن
التهجين على الكتابة العربية يستجاملونها
ويكونون كالحمل الذى لا ينظر حلقه
ويصحب من حلبة أشبهه |

أضف إلى هذا أن الكتابة اللاتينية عبارة
عن ثلاثة خطوط لا بد للقارىء من أن يظنهما
جميعا ، وهى أولا خط الباء ، وثانيا حروف
المطبعة ، وثالثا حرف التاج في خط الباء وفي
المطبعة . وبين هذه الخطوط فروق كثيرة

لا تعرف إلا بالممارسة وطول المعاناة
وإذن فإن ما يؤخذ على الحرف العربى إنما هو
قل من كثر مما يؤخذ على الحرف اللاتينى الذى
يراد استبداله به سواء في صورته أم في إفادته
وما دام اللسان على التمرين وكثرة التصيد
واللفظين ، فإن ما يقصده نحن العرب هو
الرجوع إلى الخط الذى سار عليه أسلافنا
في تعليم اللغة لأبنائهم ولأبناء الشعوب التى
دانت لهم من غير العرب . لأنهم لم يكونوا
يعلمونهم النحو أبدا كما نعمل اليوم . فالنحو
هو ضابط اللغة ، وإذا لم تكن عند المرء
حيلة من اللغة فأى شيء يضبط ؟

كان القرآن أول ما يحفظه الناشئ وكلا أو
بعضا ، وكانت النصوص الأدبية الأخرى
مثل اللغات وخطب بلغاء العرب وأشعار
الفحول من شعراء العصر الأموى والعاسى
هى الزاد الذى يسخره الناشئ للإتيان منه
طول حياته في مجال التعبير ، وإنما الكلام
من الكلام ، ويأتى النحو بعد ذلك مع بنية
العلوم وهذه الطريقة هى المتبعة في تلقي
اللغات عند غيرنا ، ولا سيما منها ما كان اعتماد
على النطق أكثر من اعتماد على القواعد .
ومع أن الشكل قد يعصم من اللبس ، ولكن
اللسان إنما يجرى على ما سبق له النطق به .
ولذلك يبقى الشكل في بعض المراحل من
التعليم وفي بعض المردات والحمل فقط .
كما يستعان به ، وليس هو العدة ، فلكثر
من القراءة ولتكتف من النحو بما تقصى به
الضرورة ، حلما بأن القواعد تنسى ، ولكن
استقامة اللسان على النطق لا تتربى بها آفة

ولنا في الدين أمثلوا بهذه الطريقة خير مثال، ونذكر منهم الأستاذين مكرم عبيد في مصر وفارس الخوري في سوريا، وهما غير مسلمين، ولكنهما كادا يكونان من حفاظ القرآن لكثرة قراءتهما له وتعهدهما لتلاوته فأصبحا بذلك من أبلغ الخطباء العرب وأنصح الناشطين بالصاد، وغيرهما من المشايخ والأصافة كثير.

وتحضرني هنا كلمة للإمام مالك قالها في غير ما نحن فيه ولكنها واردة علينا أيضا وهي قوله : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها أي بالمحافظة على أصالتها، فكل إصلاح لا يتوخى معنى الأصالة والانطلاق مما انطلق من بناة كيانات الأولون، يجب أن يحذروا منه ونعلم مسبقا أنه إنما يهدف إلى إصعاف مقوماتنا، ونحو شخصيتنا، ليسهل عليه استلباضها بها بعد »

وإني أحبر العمل الذي تقوم به في هذا المجمع والمجامع الموازية له هو السبيل الوحيد لكم الأفواه المتفولة وإبطال الدعاوى المنجية : وكلما سرتنا في هذا الطريق قربنا المسافة المبلغة إلى الغاية المطلوبة . فعلمنا أن لا نتلفت إلى المشايخ والمعوقين ولو بالرد عليهم ، فإن أعظم رد هو هذه القوائم التي تقدمها مختلف لجان المجمع كل عام بمئات المصطلحات وعشرات المقررات .

وإني لذلك لا أستحسن شغل الأصافة الأعضاء بتناول الإشكالات والإيرادات التي يوجهها الخصوم إلى قلعة العربية ، وجعلها الموضوع الأول للبحوث التي يقدمونها للمجمع . فكم من بحث لغوي أصيل يفوتنا بانشغالهم بهذه الموضوعات المعجوجة المملولة التي إنما يريد أصحابها بطرقها في كل مناسبة أن تتكرر من أجل أن تتكرر ومن عادات السادات معاداة المعادات :

عبد الله كنون
مجمع المصنع



فجر الجغرافيته العربية

للدكتور محمد محمود الصبياد

تكونت

لدى العرب الحاسة الجغرافية قبل أن يكون لهم جغرافية . فقد كانوا في وطنهم الأول أصل بادية ، ينتمون لها بلوهم وأصولهم ، وما كان تشجيعهم أن تبلغ غايتها إلا إذا حوّلوا دروب الصحراء ، ومعالهم لأرض ، ومهاب الرياح ، ومسقط النيث . وما أهم قوم يفتيز بين معالم سطح الأرض اهتمام العرب بمعالهم بيضهم ، قناعات لنهم بالتمايز معبرة عن القروى الوثيقة بين عصور هذه المعالم ، فالأرض مثلا :

إنما كانت ولم يتصلها شجر فهي البراح ، فإذا كانت مع الاتساع مسوية فهي الخبت ،

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء بعيدة الأكتاف فهي السهب والسقمب ،

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء والبيد لا ماء فيها فهي القلابة والقفلة ،

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يهتدى فيها للطريق فهي الياء ،

فإذا كانت بيد سالكتها فهي الياء ، وكنوا عنها بالمقازة تيمنا ،

فإذا لم يكن بها شيء من ثنيت فهي المرت والقع ،

فإذا كانت غليظة صلابة فهي الخيوب والجلد ،

فإذا كانت خفيفة ذات حجارة ورمل فهي البرقة والأبرق ،

فإذا كانت مطعنة فهي الطرف ،

فإذا ارتفعت فهي التجد ،

فإذا جعت الارتفاع والصلاية والغلظ

فهي الثفن والقنفذ ،

وهكذا من مثلت مظاهر سطح الأرض ،

لا تترك العربية واحدا منها إلا وضعت له

مصطلحا برأسه ، وهو أمر لا نعرفه في أي

لغة أخرى .

(٥) انظر المصنفات على البحث في محاضر جلسات الندوة الرابعة والأربعين (جلسة السبت ١٦ من ربيع

الأخر سنة ١٣٩٨ هـ = ٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)

وكان العرب القدامى من أكثر الناس معرفة
بالرياح والطر ، وغيرهما من ظاهرات الجو
فوضعوا لها الأسماء المصادقة للدلالة .

فلرياح تضيئها ،

والسحاب درجاته ،

وللمطر أوصافه ،

والبرق ترتيبه ،

وجمعوا هذا كله تحت مسموه بالأقواء ، وهو
ما نسير حته اليوم بلتناخ . حقيقة أنهم انحطوا
في تفسير هذه الظاهرات فتسبوا إلى طلوع
كوكب أو اقترانه بآخر ، حتى قال قائلهم .
إذا ما البدر تم مع الثريا

أتاك البرد ، أوله الشتاء .

ولا ضير عليهم في ذلك ، فما كانت
الأسباب لتعنيهم بقدر ما تعنيهم النتائج
لللموسة التي يديرون عليها شئون حياتهم .
وهكذا عرف العرب عن بيتهم كثيرا من
الحقائق الجغرافية بفطرتهم دون أن تكون
لهم جغرافية ، وأصبح في كلامهم مادة
جغرافية غزيرة خليقة بأن يهتم بها اللغويون .

وهكذا ظهرت البادئات الأولى للجغرافية
العربية ، مبروية على ألسن الناس ، وإن لم
نسجل في كتاب حتى انتهت الجاهلية وظهر
الإسلام في القرن السابع الميلادي ، وكان
ظهوره مما يحفز على الاهتمام بالجغرافية .
فهو دين يدعو إلى التفكير في خلق السموات

والأرض ، ويرى في هذا ضربا من العبادة
وبعض العبارات الشرعية تتطلب إلحاحا بطرف
من الفلك والجغرافية . والخرج إلى البيت الحرام
فريضة على من استطاع إليه سبيلا ،

وقد أصبح الحجاج من أطراف البلاد
يتجمعون في مواسم معلومة في مدن بينها .
ويسرون في قوافل قاصدين مكة المكرمة
وهي رحلة تحتاج إلى معرفة بالطرق ، ومتنزل
القبائل ، وموارد الماء .

ولم يمض قرن من الزمان حتى كان
الإسلام قد شرف حتى بلغ حدود الصين ،
وغرب حتى انتهى إلى مواسل بحر الظلمات ،
وعندما انتهى صبر الفتح واستقرت الدولة
الإسلامية ، أخذ المسلمون ينصرفون إلى
العلم ، وكان الخلفاء يبنون المدارس
مشكورة في تشجيع البحوث العلمية . وحرص
طريق الترجمة التي نشطت في هدمهم وقف
العرب حل كنوز التراث الهندي والفارسي
واليوناني ، وكان من هذا الأخير كتابان
لكلاديبوس بطليموس السكندري Claudius
Ptolemaeus الذي عرّفه باسم بطليموس القلاوذي .
وهما كتاب جغرافيا وكتاب الجسطى Majestus
أي الكتاب الأعظم ، وكان تيار الفكر الجغرافي
القديم قد توقف صد هذين الكتابين اللذين
وضعنا في أواسط القرن الثاني الميلادي .
ويلتلون الأول الأماكن المعروفة وتحقق
مواقعها بحسب ما بلغه علم ذلك الزمان .
أما الآخر فرسالة في الفلك تقع في ثلاثة عشر
فصلا . وقد أعجب العرب بالكتابين ، فكان
أول ما كتبوه في الجغرافية يعتمد عليهما .

ولمّا كانت الجغرافية الفلكية والرياضية هي أولى الفروع التي استأثرت باهتمام الجغرافيين العرب ، فخطوا عن المدارس القديمة وأضافوا الكثير من عندهم . فخطوا عن المدرسة الهندية فكرة « الأرض » . وعن الفرس « الأزياج » التي منها « الزيج البهلوي » لأوزيج شهرير « وعليه احمد محمد بن موسى الخوارزمي » وأبو معشر جفر بن عمر البليخي في وضع جداولها الفلكية . وعن اليونان أخذوا التقسيم السباعي للربع المعمور عن الأرض . ومنذ بداية القرن التاسع الميلادي أخذ المذهب اليوناني في الانتشار حتى أصبحت له الفلبة قبل أن ينتصف للقرن . وأصبح هو المؤثر الحقيقي في الجغرافية الرياضية العربية . وحتى تلك العهد لم يكن لفظ جغرافية قد دخل في معجم اللغة العربية دلالة على علم بلده ، بل كان يطلق حكماً على كتاب بطليموس . وكان المسعودي في كتابه « التنبيه والإعراف » أول من أدخله في اللغة كمصطلح فقال « الجغرافيا هي قطع الأرض » وكان المسعودي موافقاً في تعريف المصطلح ، ففي القاموس قطع الشيء قطعاً ، فصله وأبانه . وكان « إعراف الصفاء » في سلجود ما تعرف هم الذين أطلقوا لفظ جغرافيا على علم برأسه . فقد وردت جملة « علم الجغرافية » لأول مرة في رسائلهم المعروفة ، وفسروها بأنها « صورة الأرض » . ثم أخذ اللفظ يشيع من بعدهم دالاً على علم . ولم يلبث العرب أن صرفوا عن الجغرافية الرياضية والفلكية بالتدريج إلى فروع أخرى

من الجغرافية ، كتبوا فيها فصولاً مهمة أثرت الفكر الجغرافي بصفة ، بما اشتملت عليه من إضافات مبتكرة .

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) مولد مدرسة جغرافية عربية أصيلة بدأت بالجغرافية الوصفية ، ولكنها في وصفها للأقاليم لم تغفل الجوانب الجغرافية الأخرى . فكتب ابن خردادبة (٢٠٥ - ٨٣٠) كتاب « المسالك والممالك » الذي يعتبر أول مصنف كامل يصلنا في الجغرافية الوصفية . وكتب البقوي « كتاب البلدان » الذي جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلاد الإسلامية في عصره نتيجة لأسفاره الطويلة . وكتب « ابن رسته » كتاب « الأعلاق النضية » . وكتب « مسامرة » « ابن القتيبة » كتاب « البلدان » الذي يقال إنه كان يتألف من خمسة أجزاء في أكثر من ألف صفحة . وقد فقد الكتاب فلم يصلنا سوى مختصره الذي صنفه علي بن حسن الشيرازي في عام ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م .

ولم يكد يهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى كانت المدرسة الجغرافية العربية قد رست قواعدها . وظهر عنه من أعلام الجغرافيين ، منهم أبو زيد البليخي صاحب كتاب « صور الأقاليم » وهو أقدم كتاب جغرافي عربي مزوّد بالخارطات ، أو هو في الواقع أطلس البلاد الإسلامية ، توضح خريطاته بعض الشروح . وكان من بين هؤلاء الأعلام : الاصطخري « وابن حوقل والقدس

وغيرهم : وظهر من بعدم عدد كبير من الجغرافيين يطول بنا الحديث إذا نحن أردنا أن نستعرض مؤلفاتهم ، خاصة وحديثا مقصور على الجغرافية العربية في عصورها الأولى . وحسبنا هنا أن نتناول ما أضافوه من جديد إلى فروع المعرفة الجغرافية .

لقد عني العرب بالجغرافية الطبيعية ، وهي إحدى الشعبين الرئيسيين الجغرافية ، تناول الأهلقة الثلاثة : الغلاف الصخري Lithosphere والجوى Atmosphere والمائي Hydrosphere طوسوا أشكال سطح الأرض ، وأرجعوا تجوية الجبال إلى فعل أشعة الشمس المستعر ، ونظروا إلى الأمطار والانهيار كموامل أساسية في الحث والإرصاب . وبحث في جوانب الصفاء موضوع التغيرات الجيولوجية الكبرى ، وما يتم بالتوزيع من تحول في تركيب السلاف الصخري ، وذهبوا إلى أن حرارة الشمس تحطم صخور الجبال إلى أحجار صغيرة وحصى ورمال ، ويحمل المطر ومياه الأنهار الحارية هذا الفتات إلى البحار والمحيطات ، وتعمل الرياح العاتية على بثرة الفتات في قاع البحار طبقة فوق طبقة ، ومع مضي الزمن يؤدي ارتفاع هذه الطبقات إلى تكوين الجبال : « ومثلا تبقى الجبال في أحضان المحيط ، يرتفع البحر ويفيض على السهول حتى تصير بحارا ، ويصير البحر يابسا مع مرور الأيام وعلى سطح الأرض التي برزت من البحر

يتساقط المطر ، وتكون مجارى الماء التي تحمل معها التربة والرمال »

ومعنى هذا أن العرب في عصر مبكر أدركوا مفهوم الجيومورفولوجيا Geomorphology التي نعدها علمنا حديثا ، وليس فيها من حديث سوى الاسم . وأنهم عرفوا دورة الصرية Cycle of erosion قبل أن يقول بها ولموريس ديفز William Morris Davis في القرن العشرين .

وقد اعتقد العرب كذلك في التغيرات التي تمرى الملاحة النسيبة بين اليابس والماء ، وأرجعوها إلى التغير في مواقع النجوم في جوانب القبة السماوية ، مما يؤدي إلى تغير في جوانب الأرض بالنسبة لأشعة الشمس . وعندما تسقط الأشعة على أرض جديدة فإن نشاطها المبدى والبنائى يتحول معها ، وهذا يفسرون تحول الأرض إلى بحر ، ثم تحول البحر إلى أرض مرة أخرى . لقد كانوا لا يزالون متأثرين بالجغرافية الفلكية ، فذهبوا هذا المذهب في تفسير التبادل بين اليابس والماء ، ذلك التبادل الذي يرجعه الجغرافيون المحدثون إلى حركات باطن الأرض الرأسية منها والأفقية ، ومع أنهم كانوا يدركون الطبيعة الحارة لباطن الأرض ، فإنهم لم يتصوروا أن حركات هذا الباطن يمكن أن تؤدي إلى تغير كبير في أشكال سطح الأرض .

وقامت دراسة العرب للعالم الغازى على أساسين هما : دراسة الظواهر الجوية فى إقليم بعينه ، ودراسة التوزيع الجغرافى لمعدلات عناصر الجو ، وهذا يعنى أن أن الجغرافيين العرب هم الذين وضعوا أسس التمييز بين علم الطقس Meteorology وعلم المناخ Climatology . ولكنهم فى دراستهم للعالم الغازى كانوا متأثرين بالنظرية اليونانية التى تجعل منه طبقات بعضها فوق بعض ، فقالوا بوجود طبقات ثلاث هى عندهم :

١ - طبقة الأثير : وهى أعلى الطبقات ، وأقربها إلى القمر ، وهى شديدة الحرارة للغاية .

٢ - طبقة الزمهرير : وهى الطبقة الوسطى وتتميز برودتها القارسة .

٣ - طبقة النسيم وهى أقرب الطبقات إلى الأرض وأكثرها اعتدالا فى حرارتها . وهم فى تقسيمهم هذا لا يختلفون عن أحدث النظريات العلمية ، فهواء سطح الأرض يبرد بالتدريج مع الارتفاع ، حتى إذا ما وصل إلى حد معين عادت الحرارة إلى الارتفاع مرة أخرى فى الطبقة التى يطلق عليها العلماء المحدثون اسم التروپوپاؤز Tropopause . ولكنهم انحطأوا فى تفسيرهم للتغيرات التى تطرأ على الأحوال الجو حين ربطوها بالكواكب .

ورغم تقسيم الجغرافيين العرب للعالم الغازى إلى طبقات ، فلم يفهم أن يؤكّدوا

أن هذه الطبقات وإن تميزت عن بعضها البعض ، فإن الهواء يستطيع أن يتوغل فيها جميعاً .

وقد أدركوا حقيقة أن سطح الأرض يتعرض لأشعة الشمس بنسب تختلف بحسب موقع المكان من الشمس ، فكلما ضاقت زاوية ميل الأشعة قلت درجة الحرارة التى تبلغ أقصاها مع الأشعة العمودية ، وأثر هذا واتجاه الرياح وكية المطر . والمطر فى نظريهم يسقط عندما يتصاعد بخار الماء بسبب تسخين الشمس حتى إذا ما وصل إلى طبقة الجو البارد ، تكاثف وتقل وزنه بعد أن كان خفيفاً وتساقط مطراً أو ثلجاً أو برداً ، وهم يرجعون بأسباب الرياح إلى تصاعد الهواء المرطوب ، وإلى توزيع البحال التى تتحكم فى توجيه الرياح .

ويفرقون بين أربعة أنواع من الرياح هى : « ريح الشمال » التى تهب من يسارك حينما تولى وجهك نحو مطلع الشمس ، و « ريح الجنوب » التى تهب عن يمينك ، أما الريح التى تستقبلك من مطلع الشمس فهى « القبول » أو « الصبا » وريح الغرب هى « المبور » . وقد أدرك المسعودى حركة الرياح الموسمية واختلاف هبوبها من فصل إلى فصل وهى الرياح التى حرفت اللغات الأجنبية اسمها من موسمية إلى Monsoon .

وكان مما يدعو إلى الإعجاب أن يدرك المتقدم أن نصف الكرة الجنوبي يتكون

أفردتها مفردة بصورة «ويلعب ابن حوقل
هذا المذهب» وهكذا يفعل المقدسي .

والواقع أن اتخاذ المنطقة كوحدة جغرافية
أكثر صلاحية للدراسة الإقليمية ، فهي جزء
من الأرض واضح التحديد يختلف عن الأجزاء
الأخرى في ظروفه الطبيعية أو الحضارية
أو الاقتصادية ، ثم يقسم هذا الجزء إلى أقسام
ثانوية ، فجد الإصطخري يقسم بلاد فارس
على أساس المناخ إلى قسمين : « فارس
الشمالية أو التصرد وفيها أماكن يبلغ من شدة
البرد فيها ألا يثبت عندهم شيء من الثياب » ،
« فارس الجنوبية أو الجحوم » وفيها ما يبلغ
من شدة الحر ألا يثبت عندهم شيء من الثياب ،
« والجحوم كلها صبيحة لطواء » ، « والجحوم
يقلب عليها فساد لطواء وتغير الألوان » .
أما المقدسي فيتخذ شكل السطح أساساً لتقسيم
بلاد الشام إلى أقاليم :

وطريقة هؤلاء الجغرافيين الأوائل في
معالجة الجغرافية الإقليمية لمنطقة ما تتناول
ناحيتين : الأرض والناس ، فيدرسون
الأرض على أساس موقعها وما بها من جبال
وأودية وآبار وسهول ومجاري وما إلى ذلك
ويدرسون الناس على أساس طعابهم ،
ولباسهم ، ومعتقداتهم الدينية ، ونظمهم
الاجتماعية ، ونشاطهم الاقتصادي في الإنتاج
والتجارة .

وهم يسمون أساساً بالهيئة الطبيعية Physical
landscape للمكان دولة كان أم إقليمياً ،

معظمه من الماء بخلاف نصفها الشمالي الذي
يتركز فيه اليابس ، وهو أمر لم يلتفت إليه
علماء الغرب إلا بعد حركة الكشف الجغرافية ،
وقد فهم البيروني حركة المد والجزر ، وربط
بينها وبين أوجه القمر كما يقول العلم الحديث
تماماً . وكان لا يستبعد أن يكون النصف الغربي
من الكرة الأرضية معبوراً كمنصفها الشرق
وهنا قبل أن تكتشف الأمريكتان بعدة
قرون .

وفي أول عهدهم بالدراسات الإقليمية
درس العرب الأرض على أساس الأقاليم
السبعة التي نقلوها عن اليونان ، وهي نطاقات
هناحية تمتد من الشرق إلى الغرب ، محددة
بدوائر العرض . ولم يبدأ العرب تقسيمهم
من خط الاستواء ، بل بدلوه من خط عرض
١٦° شمالاً وانتهوا إلى خط عرض ٥٠°
شمالاً . ويختصرون فيما بينهم اختلافاً يسيراً
في تحديد عرض كل إقليم ، ولكن جغرافيين
القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ،
أخذوا يعدلون من هذه الطريقة ، ويختارون
مناطق صغيرة كوححدات جغرافية متميزة ،
فيقول الإصطخري في مقدمة كتابه «الممالك
والممالك» : « أما بعد ، فقد ذكرت في كتابي
هذا ، أقاليم الأرض على الممالك وقصدت بها
بلاد الإسلام ، وتقسيم ما يعود بالأعمال
المجموعة إليها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التي
عليها قسمة الأرض ، بل جعلت كل قطعة

فيدرسون مظاهره الطبوغرافية ، ولا يغلون الظروف المناخية . فالقصد من هذا أن يقسم بلاد الشام إلى أقاليمها التضاريسية يتحدث عن المناخ فيذكر أنه معتدل بصفة عامة إلا في ذلك الجزء الذي يقع في المنطقة الوسطى من الإقليم فيما بين الشارات والحرلة ، فهذه هي المنطقة الحارة التي يزرع فيها التبنيل . ريد حظ على مناخ العراق أنه متقلب . فهنداد وواسط والبلاد فيما بينهما قد تكون لطيفة المناخ في وقت ومصرحان ما يصبح مناخها غير محتمل ، أما الكوفة فعلى التقيض تماماً ، وقسوة في البصرة حرارة عالية ، ولا يكون الجو معتدلاً إلا عندما تهب ريح الشمال . هذه النظرة تبين بوضوح أن شيئاً من الاهتمام كان يوجه إلى تفهم الأحوال المناخية ، ولكنهم كانوا يتجاهلون العوامل الأساسية في المناخ والأسس التي تعتمد عليها .

واهتم الجغرافيون العرب بالبيئة الحضارية للإقليم Cultural landscape . فنجد الإصطخري وهو يتحدث عن فارس يصف ملابس أهلها ويقول : « إن الكتاب يلبسون الدرايع والمهائم . » « إن لبسوا تحت المهائم فلا نس ، جعلوها خفية فوق الوسخ ولا تظهر » أما الملوك فإن لبسهم الأقمية ، وربما لبسوا الدرايع التي هي أوسع فرجة ، وأعرض جربانا من دراريع الكتاب .

وهكذا يفعل القنص في حديثه عن سكان بلاد الشام .

ولقد اهتم أصحاب الجغرافيا الإقليمية بوضع مصورات قبالد التي وصفوها ، وهي مصورات كان الهدف منها فيما يبدو توضيح طرق المواصلات الرئيسية ، والمدن الكبرى ، والجبال والأنهار والبحيرات وحدود الممالك . ولم يكن لمصورتهم قياس رسم خاص . وكانت الاتجاهات توضع عادة على هوامش الصورة ، وعلى عكس اتجاهات الطبيعة كان الجنوب دائماً في أعلى الخريطة .

وقد اشتملت كتب التراث الجغرافي العربي على كثير من النواحي الاقتصادية فنجد فيها معلومات غزيرة عن موارد المياه ، وشئون الري ، وتوزيع الغلات الزراعية ، والثروة المعدنية ، والصناعات ، وتجارة الممالك الإسلامية .

ولما كان الري يلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد الزراعي وبخاصة في الأقطار الإسلامية التي يقع معظمها في مناطق جافة أو شبه جافة ، فقد حتى الجغرافيون العرب بهذه الناحية ، فنقرأ لابن حوقل وهو يتحدث عن البصرة قوله : « وذكر بعض المؤرخين من رواة الأخبار أن أهل البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة ، فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر ، تجري في أكثرها الزواويق ، وكنت أنكر ما ذكره من هذا العدد ، حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع ، فربما رأيت في مليلاد ومية سهم حذاء من

الأنهار صفاراً تجري في جميعها السعيريات.
ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي
احضره ، أو إلى الناحية التي يصب إليها ،
ويفرغ مائه فيها . فجوزت أن يكون ذلك
كذلك ، في طول هذه المسافة وعرضها
ولم استكفره .

وكان الري في فارس مشكلة خطيرة يعنى
القدس بشرحها ، فيذكر أنه في الجزء
الشرقي من البلاد حيث لا توجد أنهار ذات
أهمية ، كان من الضروري أن يجمع ماء
المطر والمياه الجوفية حتى لا تضيق قطرة منها ،
ويذكر أن في نيسابور قنوات تحت الأرض
تجري بالماء ، ويظهر بعضها فوق السطح
بالقرب من المزارع والمدن والقصور . ويشير
إلى أعمال الري التي أنشأها عاصد الدولة ابن
بويه ، بين شيراز وإصطخر ، فقد أقام على
النهر سداً يرفع الماء إلى خزان تروى منه
القرى مزارعها .

ويعطى الجغرافيون العرب معلومات قيمة عن
توزيع الغلات الزراعية وعن الثروة المعدنية ،
والصناعات القائمة في ديار الإسلام ، والطرق
الرئيسية التي تربط بين أطرافها . فيتحدث
الإصطخري عن بلاد ما وراء النهر وأن بها
من معادن الحديد ما يفضل لأهل حاجتهم
من الأسلحة والأدوات . وبها معدن القصص
والذهب والفضة الذي لا يقاربه في الفخارة
والكثرة معدن في سائر بلاد الإسلام .

ويشير ابن حوقل إلى مناجم الذهب في
وادي العلاقي بأرض مصر ، ومناجم القصص
في خراسان والجهل وفارس وبلاد ما وراء
النهر . ولا يكتفى بذلك بل يشرح الطريقة
المتبعة في استخراج بعض أنواع المعادن
كالنوشادر من جبال اليم في أرض ما وراء
النهر .

وكان من بين القروع التي عنى بها
الجغرافيون العرب جغرافية المدن . فقسما
المدينة إلى خمس فئات : عاصمة الدولة ،
والقصور الإقليمية ، والمدن الإقليمية ،
والمواسي ، والقرى . والقصة الإقليمية
كما عرفوها مدينة كثيرة السكان بها وال
أو حامل ، وتتفق على الخدمات العامة من
مولدها الخاصة ، ومن أمثلتها دمشق والقبرون
وشيراز .

وتختلف المدينة عن القرية في أن الأولى
بها منبر . وهم في دراستهم للمدينة يركزون
بصفة خاصة على موقعها ، ومن المدن التي
تقع في واد تحيط به التلال يذكر القسري
مكة في جزيرة العرب ، وحران في بلاد
الشام ، وإصطخر في فارس . ويحدث
الجغرافيون العرب عن المدن التي تليق بأهميتها
لوقوعها على طرق التجارة ، فيذكرون منها
بغداد والموصل وسيراف وغيرها . ولا يغفلون
أهمية الموقع الاستراتيجي فيذكر القسري
أمد وأنها ترجع إلى موقعها الحصين وتلاعها .
ثم يقرن بينها وبين أنطاكية بأسوارها وأبوابها

وقلعتها التي بنيت على الجبل . كذلك تحدثوا
عن المدن التي اكتسبت شهرتها لعوامل دينية
فيقول القديس عن بيت المقدس إنها تقع
في سهل يحشر فيه الناس يوم الحساب ،
ويضيف أن مكة والمدينة لها الأفضلية على
سائر المدن لوجود الكعبة في الأولى وقبر
الرسول في الأخرى .

ومن النواحي التي حنى بها الجغرافيون في
دراسة المدن مولد مياهها فيقول الإصطخري
عن مسوقند إنها كثيرة المياه وقلم ير عانا أو
زاوية في شارع أو ميادنا إلا وقد وقبت
فيه السبل للمياه المتلجة . . . ولما ماء جلي
يدخل إليها في نهر وصابر وهو نهر قد يلبث
له مسنة عالية من حجارة يجرى عليها الماء ،
ووجه هذا النهر وصابر كله .

ويقول اليعقوبي إن المدن الشمالية في فارس
مثل قم وبسبور بها نظام الماء الجوفي تحمله
الأكابيب إلى مساكن المدينة، ويقول القديس
إن بمكة ثلاثة خزانات تملأها مياه السنوات
التي أمرت حفرها السيدة زبيدة امرأة هارون
الرشيد من بستان بني هاشم . والسكرتيرة
الجغرافية العربية غنية بالإشارات إلى وصف
المساكن والصور فيذكر الإصطخري عن
آمل أن الغالب على أنبثها الخشب والقصب
وهي كثيرة الأمطار شتاءً وصيفاً، وسطوحها
سنة لفك .

وكانت البيئة وأثرها على الإنسان من
الموضوعات التي احتفل بها الجغرافيون العرب
ويبدو هنا واضحاً في كتاب « الجيوان »

الجياض ، وفي كتب القديس والمسعودي
والبيروني وغيرهم . وقد فهم العرب العلاقة
بين الإنسان وبيئته على أسس مزجج .
فقال علماء الهيئة إن الإنسان جزء من الكون ،
ومن ثم تتحكم في مزاجه وطباعه الكواكب
السيطرة على الإقليم الذي يعيش فيه ، ولكن
غريباً من الجغرافيين خرج على هذا الرأي
وإن لم يكره تماماً ، فصر العلاقة بين الإنسان
والوسط الذي يعيش فيه على أساس اختلاف
مظاهر البيئة الطبيعية وبخاصة مظاهر السطح
والمناخ وموارد الماء ، وكان للمسعودي من
رواد هذا الاتجاه ، يتناول مظاهر البيئة
بالتحليل ، ثم يحاول أن يبين أثرها على
الإنسان وحياته .

لقد أدرك للمسعودي أهمية الماء والغطاء
الثلجي ومظاهر السطح كموامل تؤثر في الحياة
البشرية فكتب : « وقد تحفظ قوى الأرضين
وقطرها في الأبدان ثلاثة أسباب : كمية المياه
التي فيها ، وكمية الأشجار ، ومقدار ارتفاعها
وانخفاضها ، فالأرض التي فيها مياه كثيرة
توطب الأبدان ، والأرض المنخفضة الميالة
تخففها . وأما اختلاف قوتها من قبل الأشجار
لأن الأرض الكثيرة الأشجار التي فيها ،
تقوم لها مقام السترة فلهذا السبب لا تسخن ،
والأرض المكشوفة من الأشجار ، المادمة
لها ، حارها على عكس حال الأرض الكثيرة
الأشجار . وأما اختلاف قواها من قبل علوها
وانخفاضها ، فلأن الأرض العالية المشرفة

فسحة باردة ، والأرض المنخفضة حارة وميتة .

ويطول للسعودي أن يهجر قيام للبلد وتجدد مواضعها بالعوامل الجغرافية المحيطة بها ، ويرى : أن أصناف اختلاف البلدان أربعة : أولاً النواحي ، والثاني الارتفاع والانخفاض ، والثالث مجاورة البحار والبحار ، والرابع طبيعة تربة الأرض ، ثم يشرح أثر هذه العوامل في البلدان : « فارتفاعها يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أحر ، ويختلف جوعها باختلاف موقعها من الجبال : « فحيث كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد لأنه يكون سبب امتناع الرياح الجنوبية ، وإنما تهب فيه الرياح الشمالية فقط ، وعلى العكس من ذلك إذا كان الجبل من ناحية الشمال .

ولموقع البحر من البلد أثره : « فإذا كان البحر من ناحية الجنوب كان ذلك البلد أحر وأرطب . وإن كان من البلد في الشمال ، كان ذلك البلد أبرد وأيبس ، كذلك لطبيعة التربة أثرها . « فحيث كانت تربة البلد صخرية جعلت البلد أبرد وأجف ، وإن كانت جصية جعلت أحر وأجف ، وإن كانت طينية جعله أبرد وأرطب . »

ويعتقد الجغرافيون العرب في أثر المناخ على الإنسان ، فذهب ابن رسته إلى أن سكان العروض الوسطى كأهل بابل وما جاورها قد اعتدل مزاجهم ، ولطفت بفتيم وبشرتهم لأن الشمس لا تكون قريبة جداً منهم ، ولا بعيدة للغاية عنهم ، وإنما هي في موقع وسط وهذا هو مر الاعتدال : »

ويقول السعودي وهو يتحدث عن أهل الريح الشمال من الأرض : « وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواصلين في الشمال كالصقالية والإفريقية وما جاورهم من الأمم . فإن سلطان الشمس ضعف عنهم ليخدم عنها ، فغلب على نواحيها البرد والرطوبة ، وتوارثت الثلوج صدم والجليد ، قتل مزاج الحرارة فيهم . . . وجعت طباعهم ، وتوهرت أخلاقهم ، وتبدلت ألقابهم ، - وقلقت ألسنتهم ، وابتضت ألوانهم حتى أفرطت ، فخرجت من اليأس إلى الزرقة ، ودفقت جلودهم ، وازدقت عيونهم أيضاً فلم تخرج عن طبع ألوانهم ، وسبقت شعورهم ، وصارت صبا لظلمة البحر الرطب ، ولم تكن في مذاقهم متانة وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة . »

ويرى السعودي أن الترك الواصلين في الشمال ، فليخدم من مدار الشمس واسترخت أجسامهم ، ولانت عظام ظهورهم ، وعجزات أعناقهم ، حتى تأتي لهم الرمي بالفتاب في كرم وفرم ، وغارت معاصلهم لكثرة لحومهم ، فاستنارت وجوههم ، وصمرت أعينهم ، أما الزنج وسائر الأحباش وغيرهم من سكان الجهات الاستوائية « فقد اسودت ألوانهم ، ولحمرت أعينهم وتوحشت نفوسهم ، وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الحر في نضجهم ، حتى تحرقت ألوانهم ، وظلمت شعورهم . »

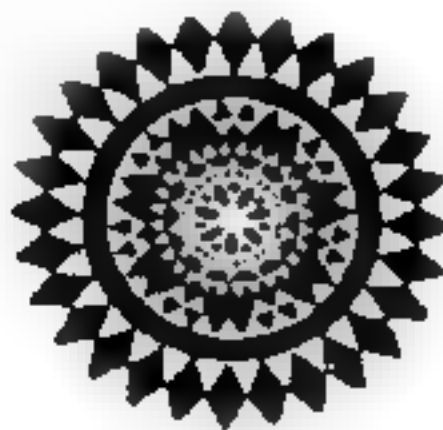
ويذهب المسعودى إلى أن الإنسان يتأقلم في بيئته الجديدة ، ويكتسب صفات خير التي كانت له ، ويضرب مثلا بجماعة من شعب أمور الترك أوغلوا حتى بلغوا حدود الهند ، فأثر فيهم مناخ البيئة الجديدة وأصبحت بشرتهم أقرب إلى الهند منها إلى الترك . ولا يقتصر التأقلم على الإنسان بل يمتداه إلى النبات والحيوان ، فشجر جوز الهند لم يكن عند المسعودى سوى نوع من نخيل آخر نقل إلى الهند فأكسبه البيئة الجديدة خصائصه المميزة . كذلك الحيوانات يتلب طبع كل أرض هل لوئها « فالحرار السود والأغوار وسبها إلى السواد ، ووحش الرمال البيض إلى قلك اللون ، فإن كانت الرمال حمراء فوحشها حُمْر وهو لون التراب ، وكذلك وحش الجبال من الأرواي وغيرها

يكون من ألوان تلك الجبال ، إن حمرا . وإن يضا وإن سودا » .

واضح إذن أن الجغرافيين العرب في القرن الثالث والرابع للهجرة قد اهتموا بالجغرافية في شعبتيها الرئيسيتين : الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ونجحوا في تفهم كثير من المسائل وتصويرها ، واكنهم أخفقوا في بعض الأحيان ، وما كان إختلافهم عن نقص في إدراكهم بل لأن الوسائل العلمية وطرق البحث لم تكن قد تقدمت إلى الدرجة التي هي عليها الآن . وقد ترك هؤلاء الجغرافيون الأعلام تراثا خصباً من العلم والمعرفة لا يزال محمولا لدى الكثيرين ، وحرى بنا نحن الجغرافيين المحدثين أن نقرب في هذا التراث لنكشف من أساليبه ونبعث فيه الروح من جديد .

محمد محمود الصياد

عضو المجمع



بين اللغات العامية واللسان المدون

للأستاذ الشاذلي الفليبي

قال

ولعل من المفيد أن نطلق من هذا النص
لوضع القضية الرئيسة ، ونفرض للمشاكل
الناجمة عنها .

أحمد أمين في كتابه «لغتنا»
الإصلاح في العصر الحديث»
ما يلي :

فلو ما ينبغي أن يلاحظ استعمال أحمد
أمين لفظ «عامية» بالافراد ، وهو يتكلم
عن العالم العربي بأسره . والواقع أن لكل
بلد عربي عامية خاصة به . ونحن أمام ثلاثة
لغوية ، في كل بلد ، ولكننا ، في مستوى
العالم العربي ، نواجه ثنائيات متعددة ، لأن
الفرق بين اللهجات العامية كبير ، ووعا
تعد منه التضام لأول وهلة .

ثم إن الثنائية بين العامية والفصحى ،
في كل بلد ، بحسب وجوه الاستعمال :
فالعامية للحياة اليومية ، والفصحى للثقافة
والحياة اليومية خاصة بكل قطر ، بينما الثقافة
العربية مشتركة بين سائر البلاد العربية .
وبذلك نجد ، في طي التسميم الذي ذهب إليه
أحمد أمين ، التمييز بين ما اصطلح علماء

«ولعل من أهم المشاكل التي تواجه العالم
العربي الآن استعماله لغتين : عامية
وفصحى ، والفرق بينهما كبير ، يستعمل
إحداهما في البيت وفي الشارع وفي المجالس ،
ويستعمل الأخرى في الكتابة والقراءة ، ولم
تصبح أية محاولة في التضييق بينهما . وهذا
أضعف من اللغة الفصحى لأنها لم تكتسب
الحياة التي تأتي من طريق الاستعمال اليومي ،
وأضعف اللغة العامية لأنها لم تستفد مما تنتجه
الأدباء والشعراء .

ولا تزال المشكلة حويصة تتطلب الحل
من المصلحين .»

في هذه الفقرة ، على التصديقا ، وضع
للمشكلة اللغوية التي يواجهها العالم العربي
اليوم .

(*) انظر المقدمات على بحث «عناصر جلست القنرة» الرامة والأردن (مجلة البيت ١٦ من ديس ١٩٦٨)
سنة ١٩٦٨ - ٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م

اللغة المحدثون على تسميته باللفظ اليوناني ،
 dialectos ، أي لغة التخاطب ،
 Koine أو Koinédialektos ،
 فقط ، اختصاراً - أي اللغة المشتركة التي
 تستعمل في أغراض معينة ، ثقافية كانت
 أو غيرها .

وبشير ، بعد ذلك ، أحمد أمين ، في إيجاز
 بليغ ، إلى حواشي هذه الإزدواجية اللغوية
 القائمة في العالم العربي : فالفصحى انتظمت
 حيوية ، والعامية بقيت بمنزلة عن شئون
 الثقافة .

أما أن هذه الإزدواجية هي من أهم
 المشاكل التي يواجهها العرب في هذا العصر ،
 كما جاء في كلام أحمد أمين ، فلا بد من
 التذكير بأن هذه المشكلة قديمة قدم للعالم
 العربي - وإن هي أصبحت ، في عصرنا هذا
 للمشكل الرئيسي الذي تكوّن على حله نهضتنا
 الثقافية والاجتماعية . ففي كثير من النصوص
 القديمة إشارة إلى هذه الظاهرة^(١) ، وأنها
 ما كتبه ابن خلدون في المقدمة^(٢) .

وقد يكون من المفيد استعراض آراء
 ابن خلدون في هذا الباب حتى نتطرق منها
 في علاج ما بين العامية والفصحى من علاقات .

فاللغة العربية كان يتناقلها العرب من جيل
 إلى جيل ، بفضل ما يسميه ابن خلدون :
 « الملكة » ، وهي شبيهة بالطبع ، تحصل
 بالتقنين المباشر ، عن طريق السماع والتعود ،
 مثل الصغر .

على أنه يوشك من بعض أبواب المقدمة
 نظرية خاصة بدرجة فصاحة اللسان العربي ،
 منذ العهد الجاهلي . فكانت « لغة قریش »
 أفصح اللغات العربية . وأصرحها ، لمعلم
 عن بلاد المهجم من جميع جهاتهم . ثم من
 اكتسبهم من قتيب وهليل ، وعذاعة ،
 وبنو كنانة ، وخطفان ، وبنو أسد ،
 وبنو نجيم . وأما من بعدتهم منهم من وبيعة ،
 ونجم وهسان ، وإياد ، وعذاعة ، وعرب
 اليمن المجاورين لهم القرم والروم والحبيشة ،
 فلم تكن لغتهم عامة الملكة ، بمخالطة
 الأهلجم^(٣) .

ثم إن هذه الملكة فسدت ، بعد الإسلام ،
 باختلاط العرب بالأهلجم ، حين استولى
 العرب على العراق والشام ومصر وإفريقية
 والمغرب .

ولما كان القرآن والحديث بلغة مضر ،
 وهما أصلا الدين واللغة ، « عشى انغلاق
 الأفهام ضيما ، يقتلن اللسان الذي تترلا

(١) أطلد من ص ١٠٤٠ - الطبعة الثانية .

(٢) ص ٢٠٤١ - ١٠٤٢

به... فاحرج إلى تدوين أحكامه ، ووضع
مقاييسه ، واستنباط قواعده .

ويميز ابن خلدون بين لسان الجليل العربي
والعاشق بعيداً عن المدن الكبيرة ، وإن انحطط
بالأعاجم لبعض الشيء ، ولغة الأمصار التي
اشتد فيها تأثير الصيغة ، بسبب كثرة
الاختلاط .

أما لغة الجليل العربي الذي يعيش بعيداً -
بعيداً متفاوتاً - عن الاختلاط بالعجم ،
فإنها ، في نظر ابن خلدون ، لا تختلف
اختلافاً جوهرياً عن لغة مصر .

ويحدثنا صاحب المقدمة عما يسميه « لغة
أهل الجليل العربي » الذي يهدنا ، فيجعل
العلاقة بينها وبين لسان مصر على النحو
التالي :

« فاللغات كلها ملكات . والملكة ليست
« بالنظر إلى المفردات ، وإنما هي » بالنظر
إلى التراكيب . فإذا حصلت للملكة التامة في
تركيب الألفاظ المقردة ، والتعبير بها عن
المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي
يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ للنكلم
حقيقة النماية من إعادة مقصوده للسامع : وهذا
هو البلاغة »^(١) .

ورغم أن هذا النص يؤخذ منه حصر الملكة
في التراكيب ، فإن سياق الكلام عند ابن

خلدون يدل على أن مردّ البلاغة والبيان -
ومعناها هذه واحدة - إلى الألفاظ ، في
دلائلها على معان بأصنافها ، وإلى التراكيب ،
في أسرارها وكيفية تأليفها .

وعلى هذا التحليل ينبغي للكاتب مقولة
هامة ، كان ينبغي أن يكون له شيء غير
قليل من الحرأة ليصدق بها في عصره :

« وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن
العرب وملهمهم لهذا العهد . ولا تلتفتن في
ذلك إلى خرقة النحلة ... حيث يزعمون ...
أن لسان العربي همد ، اعتباراً بما وقع في
أولهر الكلام من فساد الإعراب »^(٢) .

فالملكة التي كانت لأهل قريش تغيرت ،
في نظر ابن خلدون ، ولكنها لم تفسد . والذي
فسد إنما هو الإعراب ، وهو « بعض من
أحكام اللسان »^(٣) . ودليله على ما ذهب إليه
أن « الكثير من الألفاظ لم تزل في موضعها
الأولى » . ثم إن طرائق التعبير وسنن التبليغ
موجودة ، بدليل وجود الخطيب المصقع
والشاعر المقلق ، في الجليل العربي المتأخر .

أما لغة الحضر في المدن ، فيقول عنها صاحب
المقدمة إن « حرف التقاطع في الأمصار وبين الحضر
ليس بلغة مصر القديمة ، ولا بلغة أهل الجليل -
يقصد لجليل العربي الباقى على بخلوته - بل

(١) المقدمة - الطبعة الثانية - ص ١٠٤٠

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤٣

(٣) كان ابن خلدون يميل إلى استعمال كلمة « لسان » كلما قصد الحديث عن « لغة مصر » أو ما سميته اليوم « بالنص » .

هي لغة أخرى ، قائمة بنفسها ، بعيدة عن لغة مصر ، وعن لغة هذا الجيل العربي . . . وهي عن لغة مصر أبعد ، (١) .

ويحل خصائص هذه اللغة الحضرية ميراثاً قائمة من « ملكة بمتريجة » ، أي هي مزيج من ملكة اللسان العربي ومن ملكة اللسان المعجمي . وابتعاد لغة الحضرة عن لغة مصر القديمة حسب اختلافهم بالأعاجم : « من خالط المعجم أكثر » كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد ، (٢) .

ويظهر ابن خلدون في اللغات الحضرية نظرة علمية مجردة ، شبيهة بما يذهب إليه علماء اللغة في هذا العصر ، ملاحظ :

أولاً : أنها تختلف باختلاف الأمصار .
ملحة أهل المشرق مباينة بمصر الشيء للغة.
أهل المغرب ، وكذلك لغة أهل الأندلس .

ثانياً : أنها لغات قائمة بنفسها سادرة على « تأدية التصنُّود والإبادة » . وهذا معنى اللسان واللغة . وفتنان الإعراب ليس بغائر هـ (٣) .

وفي هذا الباب أيضاً ، سبق صاحب -
الخدمة صهره بقرون ، فنظر إلى اللغات
نظرة علمية تركز على مفاهيم وأصحة دقيقة
تُرجع الأمور إلى إطار النسبية الاجتماعية ،

وقبيلتها بحسب ما لحا من وظائف في حياة البشر .

« وإن كان علماء اللغة المحدثون ، يرون أن نظرية ابن خلدون إلى اللغة نظرية تطورية ، تبحث خصائص اللغة حسب تطورها التاريخي . وهم لا يرتاحون إلى هذه الطريقة ، ويصلون فيها النظرية « التزامية » على حد تعبيرهم - أي نظرية وصفية تحمل نظام اللغة وهياكلها في فترة محددة .

ولئن أعجبتا بتصنيف ابن خلدون في تحليل أحوال اللغة وأطوارها ، وخاصة بنظرية المتعلقة بما يسميه « لغة التخاطب في الأمصار وبين الحضرة » ، فإن لنا ، في عصرنا هذا ، شواغل لم تكن في عصر ابن خلدون : وهي تخص بناء أختصاصات العربية على أسس أصيلة وحصرية ، معاً . ونعتقد أن الثقافة - بأوسع معانيها - في هذا العمل دوراً أساسياً ، في تطوير الأوضاع الذهنية والاجتماعية والثقافة أدواتها الأولى إنما هي اللغة

وقضية اللغة ، في نظرنا ، قضية رئيسية . وبحسب طريقة مواجهتنا لها ، تتكيف مواقفنا الثقافية والحضارية .

ونود ، في هذه الصدد ، أن نقدم بعض الملاحظات .



(١) المصدر السابق ص ١٠٩٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩٧ . وكان ابن خلدون يقول هنا بل استعمال كلمة « لغة » .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩٢ .

فعلی فرضی أن اللغات المحلية قادرة علی الإیلاحة والیان ، كما یقول ابن خلدون ، فلما نعتقد أن لا ینهار الیوم ، أمام الشعوب العربیة حیر القصصی . فهذا اختیار مبدئی لا ینتاص منه لكل الشعوب الناطقة بالعربیة ، وذلك لأسباب جوهریة ، كثيراً ما وقع الصرخ من لها منذ قیام الخصومة بین أنصار القصصی والمعتصمین العلمیة ، منها أن القصصی صلتنا المباشرة بالذین والملة ، وأن القصصی هی التي تربطنا بالثراث الثقافی العربی ، وبما لنا من تاریخ منذ أربعة عشر قرناً .

أما السبب الذی أرید أن أؤكد أهمیته فیمثل فی الدور السیاسی الذی تضطلع به القصصی الیوم ، إذ هی اللحمة التي تشد الشعوب العربیة ، بعضها إلی بعض : بدونها تضاعف وفتائج القربی بینها ، وفضلها ، إن من أحسن استعمالها ، وأحكمت أيضاً تصریف مائر شموئها ، یمكن أن توظف مجموعة ذات بال ، فی أفعال التولی ، علی الصعیدین الثقافی والسیاسی .

فالعامیات تفرق ، بینا القصصی تجمع .

بل لیه یمكن القول أن الجامع للشترك بین العرب الیوم ، مشرقاً ومغرباً ، إنما هو هذه

اللغة القصصی ، التي یسمیها ابن خلدون اللسان المذون^(١) ، والتي بقیت قائمة الذات ، عبر العصور وتقلبات التاریخ ، أربعة عشر قرناً ، دون حساد ولا تغیر ، وإن هی تطورت تطوراً بلا انقطاع .

وتلك من معجزات هذا « اللسان المذون » أن استطاع أن یثبت فی أحكامه ومقایسه ، مع التطور فی أحواله وتجدد فی کبیئاته . بحسب ما تقتضیه شؤون الفكر والعلم والجمع . ولئن كان أسلافنا ، فی صدر الإسلام ، حرصوا علی تدوین هذا اللسان لیکون دوماً مسلماً إلی فهم کتاب الله وسنة رسوله^(٢) فإن لنا ، فی هذا العصر ، إضافة إلی الاعتبار الدینی ، اعتبارات ثقافیة وحضاریة وسیاسیة ، لایحدو بنا فحسب إلی جعل هذا اللسان المذون فنا محفوظاً وعلماً مکتوباً^(٣) ، فلا یعدو أن یکون بملك وفقاً علی الخاصة ، لاشأن فیه العامة ، وإعسا هی نحدو بنا كذلك إلی إیحائه : حتی یصبح وسیلة اتصال بین العرب كافة إضافة إلی کونه أداة لإبلاغ لشؤونهم الفکریة والعلمیة والاجتماعیة جمیعاً ، ولا یکون فلك إلا من طریق الاستعمال الیومی ، بحسب رأى أحمد أمين .

(١) المصدر السابق ص ١٠٤٤ .

(٢) ص ١٠٤٤ .

(٣) ص ١٠٤٤ .

ولابد ، بلوغ هذه الغاية ، من إجماع العرب على خطة تجعل الجهود متضامنة ، والأهداف متناسقة .

وبلوغ الغاية المشروعة أمر من الصعوبة بحيث لا يتطلب فقط الاتفاقي في التصريحات الرسمية ، بل يتتبع أيضاً ، وفي النتيجة الأولى ، كامل الإخلاص في العمل ، من أجل تحقيق هذه الغاية .

وليس ذلك على العرب تعزيز ، ومجموعات غيرنا ، في أوروبا ، استطاعت أن تتجاوز لغاتها المحلية إلى لسان مشترك بينها ، فتعملته في مختلف الأغراض الإدارية والتعليمية والثقافية ، حتى انتشر إشعاعه تدريجياً ، وكان بهم سائر مجالات الحياة . وإنما على هذا التحرك كان ارتقاء الفرنسيين والإنكليزيين والألمانية إلى وظيفة اللسان المشترك ، في أسواقها الأصلية ، بأوروبا .

والمنهج الذي نتخذ ضرورة اتباعه في مستوى العالم العربي كالملة يتطرق من العناية باللسان المدون وباللغات العامية ، معاً ، باعتبارنا هذه وذلك من تأثير ، وما ينبغي أن يكون لكل منها من دور .

أما اللسان المدون فهو اليوم ، كما لاحظته أحمد أمين ، مقصور - أو يكاد - على شؤون الأدب والثقافة العامة . وهو لا يزال ، هنا أو هناك ، يواجه عقبتين لا بد من

تذليلهما : فنا من لا يزال يتردد في اتخاذ العربية لغة لكل الشؤون الإدارية والاقتصادية تغلب المصادر الأعجمية التي عنها تأخذ الشؤون الإدارية والاقتصادية ، ومنا أيضاً من لا يعتقد أنه في إمكاننا أن تعلم كل العلوم الصحيحة باللسان العربي . وهذا وذلك من روائس ما أشار إليه ابن خلدون من ولع للملوب بالاعتداء بالغالب ، حتى في القياس لسانه ، اعتقاداً منه أن لغته قاصرة عن الإبلاغ .

وهذه النظرة إلى العربية ناشئة عن الوهم الخال للثقافتنا ، وكذلك عن جهل أكثر المتخصصين العرب بما كان للعربية من باع في العلوم العقلية والرياضية والطبيعية ، حين كان العرب في طليعة الحركة الحضارية في العالم .

فلن نطلب على ثقافتنا ، منذ عصر النهضة ، العناية بالأدب ، إضافة إلى علوم الدين ، بل كن كتب العلوم القديمة تشهد بما بلغته لغتنا من مران في أداء دقائق المعاني في كل باب . وليس من السهل أن نرجع إليها الآن قدرتها كاملة على القيام بهذا الدور ، بعد الكيوة التي أصابت الحضارة العربية قروناً متوالية .

ولكن لأمناص للمجتمعات العربية من بلوغ هذا الهدف ، وإلا بقيت في خروجة من القصور والتخمة مهينة .

فلان أردنا بلوغ هذا الهدف في أقرب
الأجبال ، فلا بد من شرطين متلازمين :
لا بد من تكوين العلماء العرب القادرين ،
لا على مجرد الاحتذاء ، بل على البحث
والابتكار ،

ولا بد ، في الآن نفسه ، من تلقيهم
اللغة القصصية منذ نعومة أظفارهم ، حتى
يربى فيهم ملكتها ، فتتأرب فيهم الطبع
والسليقة . وتكون لهم القدرة على استنباط
الاصطلاحات الجديدة ، واستشفاف ما ينبغي
استشفافه من الأصول القديمة .

ولا تتوصل إلى تغيير القصص سليفة ،
حقا ، في الأجيال الناشئة ، إلا بتقريب
الثقة بين اللسان المدون ولغة التخاطب ،
في كل قطر من أقطار العربية .

فكيف تقرب اللغات المحلية من اللسان
المدون ؟

جوابنا الذي لا تردد فيه هو أن تتخذ
من لغة الكلام سلبا إلى اللسان المدون ،
لا استعماله ، بما يقضى من مروية وتدرج .

ينبغي أن نلاحظ أن لغة الحضر في
تقلب مطرد على لغة البدو ، في أكثر
البلدان العربية .

ثم إن لغة الأمصار ، هذه ، تختلف ، من
قطر إلى قطر ، اختلافا كبيرا ، أحيانا ،
كما لاحظ ذلك ابن خلدون :

ولكن الذي يستحق اهتمامنا اليوم هو
أن وسائل الاتصال العصرية بين الشعوب
قد ساهمت في التعريف بالكثير من اللغات
المحلية .

ولا بد من الإشارة إلى المكانة التي أصبحت
تحتلها لغة القاهرة ، وعن بين سائر لغات
الأمصار العربية .

وهنا أود أن أوقف لحظة عند هذه الظاهرة
لتحليل أسبابها .

فلا شك أن لمصر ، منذ قيام النهضة
العربية والإسلامية ، منزلة خاصة ، تبرزت
بما كان للقاهرة ، في الثقافة والفنون ، من
دور عروقي ، مما جعل القاهرة « كعبة »
الاقتصاد ، سواء للرحلة السياحية في طريق
الحج ، أو للرحلة الدوايرية في طلب العلم ،
أو للرحلة السياسية ، بالنسبة إلى عدد من
رجال الكفاح التحرري أو النضال السياسي ،
ولا أستبعد أن يكون كل ذلك قد أوقع
في الأذهان أن لغة القاهرة هي اللغة المثلى
لراموا تقليدها .

ثم إن الوسائل السمعية البصرية الحديثة
أكملت دور مصر وإشباع لغة القاهرة
وذلك ابتداء من الأسطوانة التي نشرت
الأغنية المصرية ، ثم تلها السينما ، بالإذاعة
فالتلفزة ، فأصبحت كل الأذان ، في
مستوى النخبة وفي مستوى الجماهير ، على
السواء ، تتلى بغير اختلاف الإطلاقات ،
الثقافية والفنية والسياسية ، من طريق
لغة القاهرة .

ثم إن الدور السياسي الذي اضطلمت به مصر منذ عشرين سنة ، وما استتبع من توافد الطلبة من كل الأصقاع ، للدراسة بالجامعات المصرية ، ثم وجود مركز الجامعة العربية ، وانعقاد أغلب الندوات والمؤتمرات العربية بها ، لا شك أن كل ذلك جعل العاصمة المصرية مركز النائرة العربية ، وحزق إشباع اللغة القاهرية ، حتى أصبحت ، بصورة خستية — شعورية أولاً شعورية — لغة الاتصال بين مختلف الوفود العربية ، إذا هي اجتمعت فخلقى بعضهم أن لا يكتمهم عنه جيداً ، إن هو استعمل لغة المحلية .

ولحق يقال : إن هذه الأسباب كلها ما كانت تكفى لإحلال لغة القاهرة هذه المتزلة ، لولا جهال متأصل فيها ، ولطف في النغم ، وظرف في تأليف الكلمات وتركيب الجمل ، وميل واضح إلى تحريك الساكن والقرام ما لا يلزم من الضم أو الكسر ، يكسب اللسان المصري راحة في التنفس لا نظير لها في سائر الألسن العربية . وما يلاحظ في لغة القاهرة تأثرها المتزايد باللسان المليون .

وهي ظاهرة لا يمكن منها بقية لغات الأمصار العربية ، ويمكن إرجاعها إلى سببين :

مسعى الألفاظ : فعدد متزايد من ألفاظ النصحى تنقل إلى اللغات المحلية ، وخاصة منها مفردات الحضارة ، وذات المعنى الجردة .

ثم مسعى الصيغ الصرفية والتركيب النحوية ، وجملة من الألفاظ والحقايد ، لتعبير عن صيغ في التفكير جديدة ، وإن كان هذا أوضح في لغة الطبقات المتعلمة .

وما يلاحظ في هذا الصدد أن المثقفين كثيراً ما يمثلون عن الصيغ المألوفة في اللغة العلمية ، إلى صيغ مقتبسة من اللغة النصحى ، وأحياناً من اللغات الأجنبية ، ومنهم تنتشر هذه القوالب في الأوساط المحيورة .

وهذه الملاحظة تجرنا إلى توسيع النظرة إلى بقية العوامل التي يمكن أن تركز عليها العناية ، في تهذيب اللغات الشعبية ، وتقريب الشقة بينها وبين اللسان المليون — رغم ما قد يغشى عليها من تناقص مصادر الطلاوة والانتقالية فيها .

لتعليم الدور الأسامي ، في تهذيب العامة . ويقتدر ما تنتشر المدارس الابتدائية والثانوية تسخير رغبة اللسان المليون ، وتتقارب الصلة بينه وبين اللغة المحلية ، وبالتالي بين مختلف اللغات المحلية فيما بينها ، في العالم العربي .

ثم إن تأثير الصحافة والإذاعة والتلفزة في تقريب النصحى من كل فرد عربي . يبرز دور المدرسة ، في كل الأوساط الاجتماعية . وهذا معروف لا يحتاج إلى زيادة شرح .

ولكني أود أن أؤكد هاملا آخر ، أنه لم يحظ بما هو به جدير من الاهتمام : فالاجتماعات العمومية ، سواء في نطاق النقابات ، أو الأحزاب ، أو غيرها من المنظمات ذات الصبغة الشعبية ، كثيراً ما نلاحظ أنها تساهم في إبراز لغة جديدة ، شعبية من حيث أنها مفهومة لدى الخاص والعام ولكنها قد تتألف من العمل والتعذيب ، ودعائها مفردات وصيغ وقوالب ، فأكتبها ذلك مراعاة وقنوة على الأداء ، دون أن يضحك من حيوتها التي بها نفاذها إلى النفوس . وهي لغة حوية سقط منها الإعراب ، ولكنها في أغلب أحوالها ، لا تعترىها العجمة التي يصدر عنها القهقهة لمن ليس من عصرها . ولئن كان تهليل اللغات المحلية وسيلة هامة من وسائل تقريب الشقة بين اللغة العامية واللسان المدون ، فإن لكيفية استعمال اللسان المدون تأثيراً في انتشاره ، وسهولة استماله . فالذي استقيناه من تجاربنا ، سواء داخل المياكل التعليمية ، أو في نطاق أجهزة الثقافة والإعلام ، أو أثناء الاجتماعات العامة ، هو أنه يمكن تكييف النصي على مستويين : نصي للكتابة ، وهو ما يسميه ابن خلدون اللسان المدون ،

ونصي للتخاطب ، وهي كيفية خاصة لاستعمال اللسان المدون تنبثق عنه ما قد يبدو متكلفاً ، أو غريباً ، في أغلب أحوال الحياة الخاصة والمواقف الاجتماعية .

ووجود مسهيات مختلفة في استعمال اللسان المدون ليس بأمر جديد ولا هو بدعة ، وإنما هو واقع مألوف ، في عصرنا هذا على أقل تقدير . فمن الواضح ، مثلاً ، أن « النصي » يختلف اليوم باختلاف الأجيال : فلاشيوخ لغة ، والشبان لغة ولاشك أن الزينوني والأزهري والقروى يستعملون لغة هي من نواح متطرفة ، متميزة عن لغة عريبي الجامعات المصرية .

ثم إن التأمل فيما ينشر بالبلاد العربية من كتب ومجلات وصحف ، يلاحظ في استعمال النصي ، بمختلف الأنماط ، فروقا جوهرية ، ولكنها واضحة ، تكتفي أحياناً لمعرفة القطر الذي ينسب إليه المطبوع ، اعتماداً على استعمال مفردات معينة ، أو تراكييب وقوالب ، لا تشهد في غيره .

ويمكن أن نحدد ملامح لسان التخاطب هذا ، المنبثق من النصي ، في مستوى المفردات ، ومن حيث الإعراب والإلقاء .

أما من حيث الألفاظ ، فالذي لاحظناه في لغة أهل تونس — وقد أشار إلى مثله زميلنا الكبير الأستاذ عبد الله كتون بالنسبة إلى لغة الحديث في المغرب الأقصى — أن جانباً كبيراً من ألفاظ اللغة العامية هو من اللسان المدون ، لا أن المتكلمين في

جزوف متزايد عن كل لفظ بألف من كل
لفظ بألف في العامية، إما للجهل بمصدره ،
أو من باب الاستهجان لكل ما عت إلى
العامية بسبب

ونعتقد أن ذلك ثمرة من ثمار
النصحي عن سواد الشعب، فيبقى على
العكس من ذلك ، في تحريف الألفاظ العربية
للمستعملة في اللغات العامية ، واجتناب ما سارها
عند الإمكان . مع مراعاة قواعد الدوق
والبلاغة .

ثم إنه خص ، في لسان التخاطب ، أن
لا يصح عن الألفاظ الأصعبية التي فرصتها
بالحضارة الحديثة ، وهو من ماسلكه أسلافنا
في القرون الأولى ، عند احتكاكهم بالأعاجم
بأخطوا عنهم أصول اللغز القديمة ، وأروع
المزاج الحضارية

وبقدر ما ترى عدم الإحجام عن التماس
المفردات الأجنبية الضرورية ، فإننا نعتقد
أنه من واجبنا أن نكتبها ونكتبها بما يحل
اللسان العربي بقبولها عن طراعية .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وليس هنا
موضع الخوض فيها ، ولكن ليوضح ، بساط
الحال ، — كما يقول ابن خلدون — أشبه ،
في الحالة الأولى ، إلى حرص بعض أنصار
الأصالة على استعمال عبارة الإنشاعة المربعة ،
مثلاً ، بينا جمهور الناس في البلاد
العربية يستعملون اللفظ الأعجمي ، ونشر
في الحالة الثانية إلى إدخال كلمة تليفزيون
نورنها الأجنبية دون تغيير ، مع استعانة
اللسان العربي بكلمة في مثل هذا الطول .
وقد شاع في تونس استعمال لفظ التلفزة الذي

يبدو أوشق وأقرب إلى طبيعته اللسان العربي .
ولم نصوص لاقتباس من اللغات الأجنبية .
نعتقد أنه بقدر ما يؤكد اقتباس كلمات
الحضارة ذات المدلول إيجابي ، فإنه يحس
في أغلب الأحوال ترجمة المفردات الدالة
على معان مجردة . ومن أمثلة ذلك ما شاع
في الشرق من استعمال كلمة كوادرات التي تعني
فئة المسيرين في الصناعات أو الإدارة ، بينما
كان من الأفضل اقتباس كلمة إطار دح وإطارات
للدلالة على نفس المعنى .

ثم إنه لا مناس أنبانا من استعمال كلمات
من اللغة العلمية ، وإن كانت تسميتها إلى
النصحي غير واضحة ، ونحن نقضل ذلك
عند الاختصاص ، عن الركون إلى ألفاظ غريبة
يصعب احتيادها وتداولها

أما ثانية ملامح النصحي البسيطة ، فعدم
الزمام حركات الإعراب ، تخفيفاً للنطق
واستخداماً لكل ما يؤكد مقابلة اللسان ، بدون
لغة الكلام ، في أذهان الجمهور ، وكذلك
تسهيلاً على أغلب الناس أن يستعملوها دون
خوف من اللحن ، قد يؤول إلى الحصر
والكبت .

أما الميزة الثالثة التي ينبغي أن تتوفر في
النصحي الدارجة ، فتخص الألفاظ بكيفية
الأداء . فإنه يمين فيها الحرص على سلامة
الكلام المعتاد ، في بساطة نطقه ، وسهولة
تراكيبه ، مع التمسك بالنسق الصحيح
والطبع السليم اللذين يجعلها صالحة لتقديم
من شروط البلاغة والبيان .



ونرى استعمال "فصحى التخاطب" في مواطن اجتماعية معينة ، في مقدمتها معاهد التعليم . فلقد لاحظنا أن لغة المعلم في الابتدائي بل في الثانوي - وحتى في العالي أحيانا - لا تبعد عن العامية بكثير ، خاصة إذا كانت المادة متصلة بالعلوم الرياضية أو الطبيعية . لذلك نعتقد أنه كلما تعمق على المعلم استعمال اللسان اللين فإنه ينبغي أن يجتهد في استعمال "الفصحى اللادرجة" حتى ترسخ في نغوس الثلاثة ملكة للسان الفصيح ، على مرّ الأعوام .

ثم إن من أهم الواطن التي يجب فيها استخدام فصيح التخاطب ، برامج الإذاعة والثقافة ، التي كثيراً ما تتأرجح بين عامية مطبقة وفصحى معلقة ، مما قد يفقدها مسحة الحبوبة أو لطف العبارة .

ولقد نلاحظ ، مثلاً ، أن نشرات الأنباء تليق ترمز التلاوة ، مع ما تتوجبه من أحوال في التركيب وهيئة في النطق بينما كان من الممكن إلقاها في مثل لهجة الكلام ، دون كلفة .

وقد يكون إحكام هذا اللسان ، على النحو الذي فصلنا ، من العصر بمثابة السهل

المتع ، لأنه يتطلب من بومونه أن يكونوا قد حكفوا على ممارسته حتى استولوا على حل غايته^(١) ، للتوصل إلى تمام الإيلاج والإبانة . ولكنه شرط لإرجاع الحبوبة إلى اللسان اللين .

لما الموطن الثالث الذي يحسن فيه احتفاء خصائص الفصحى المبسطة هو المسرح . لهذا الفن من تأثير في مختلف الأوساط الاجتماعية .

ورغم أن رجال المسرح انحفوا ، في تلاوة دمشق^(٢) ، حل توصية تتعلق بتفضيل استعمال الفصحى في الحوار المسرحي ، فإن القضية بالنسبة إلى الكثير من رجال المسرح تدور إلى مزيد التأمل فيما قد ينجم في نظرهم من هذا الاختيار من عواقب .

فأما العتبة في الحوار المسرحي حل شيء من الخلق ، حين يقولون: إن شؤون الثقافة والفن لا يكون لها من قيمة حتى تتأصل في بيئة معينة ، وإنها لا تبلغ القسم العالي إلا بالانتماس إلى التربة المحلية .

وهذا رأي مصيب - بشرط تلاق ما يعوق الإنتاج الثقافي من الإشباع ،

(١) المصدر السابق ص ١٠٥٧ .

(٢) ألفت التلاوة في نطق مهربان المسرح من ١٢ إلى ١٤ مايو ١٩٧٧ ، دمشق وكان مترابها ومناقش

النصر المسرحي في البلدان العربية .

بسبب ورود الحوار المسرحي بلغة هلية ،
لا يفهمها إلا قلّة من العرب .

لذلك يمكن الاتجاه ، في لغة المسرح ،
إلى خصائص « لسان التخاطب » . كما بينها
آنفاً ، وذلك بتغيير الألفاظ بحسب فصاحتها
ومحليتها ، معاً ، وبتكييف التراكيب
والصيغ ، يجعل اللغة المحلية أبعد
ما تكون عن الانغلاق ، مع احتفاظها
بالطلاوة والحركة ، واجتناب المفردات
التي تختلف معانيها باختلاف الأمصار -
ولربما انحلت اختلافاً منكراً - .

ونعتقد أن ذلك ممكن في الإنتاج المسرحي ،
إذ من مقتضيات المسرح أن يكون ، في
نفس الوقت ، مطالباً للواقع ، ونتيجة
جهد فني لا يصير للمسرح واقعاً بلونه ،
ويشعر ما يحسن ذلك ويتأكد في الحوار
المسرحي ، فهو معتبر ، إلى حدٍّ ما ،
في الحوار السينائي ، ذلك أن السينائي
أصق بالواقع اليومي ، في ابتدائه وصنوف
أحواله ، والمسرح يه ويهين الواقع فجوة ،
هي فرصة لتدخل الجهد الفني . والمفروض
أن السينائي تقتطع مناظرها من صميم الواقع
بينما يخص المسرح بلغة من الاصطلاحات

الفنية يجعله ينجرّد عن الواقع بعض الشيء .
ليتنسّى له التحايل إلى لب الحياة .



تلك هي ، في اعتقادنا ، الطريق
المؤدبة إلى إحلال لغتنا النصصية للمكانة التي
تضمن لها قوة الحيوية والإشعاع .

فلا بد ، في آجال قصيرة ، في نطاق
العلم العربي ، من الارتقاء باللسان المتون
إلى أداء جميع العلوم والتقنيات المعاصرة
ولا ينبغي أن يكون في ذلك فسر على
مستوى العلم ، ولا انغلاق في المجال الثقافي .
ثم من المفيد تعميق النصصية المبسطة عن طريق
ما سميناه « لسان التخاطب » ، حتى لا
تكون النصصية لغة طبقة ، في المجتمع
العربي ، ولو طبقة المثقفين ، إذ من أهدافنا
جميعاً ، تجاوز الفروقات الطبقة ، وتقريب الشقة
بين الفئات الاجتماعية ، وذلك ليس فقط
بالمعادلة الاقتصادية ، بل ، أيضاً ،
بالمساواة في التخاطب بلغة مشتركة ،
لا هي علمية سوقية ، ولا هي معزولة
الأصول محدودة الفروع ، بلغة أصيلة
حية ، تجمع بين كافة الشعوب العربية
وتربط الحاضر بجلوده العريقة .

الشاذلي القليبي
عضو المجمع

سوانح: على صحة الشعر الجاهلي

للدكتور ناصر الدين الأسد

حين

كنت أجمع مادة بحثي

عن مصادر الشعر الجاهلي

وليمقتها الثاريمحية وحشرت على أبيات القرزدي

وأبيات أخرى لسُرّاقة بن يزداد الباهلي

الأصغر، ذكر فيها نفر آمن شعراء الجاهلية

بتأنياتهم أو القابهم أو كتابهم، والتبسم

كلمات مما ورد في شعر بعضهم قد تبلغ

قطرة كاملة، وأشاروا إشارات سريعة

إلى أوصاف بعضهم أو إلى حوادث

شهورها. فالتفت أبيات الشاعرين في

بحثي، ولم ألتوقف حينئذ عند ما طويلا

ولم أنتبه لِمَا فيها من إشارات تدعو

إلى تتبع مثل هذه الأبيات وجمعها لتكون

دليلاً آخر، قائماً بذاته، من أدلة صحة

الشعر الجاهلي. واكتفيت بذلك

آنذاك ذكراً عابراً في معرض الحديث

عن علم الشعراء الأمويين بآليام العرب

وأخبارهم وشعرهم.

وعرضت في بعد حين أبيات لشعراء

آخرين من المخضرمين والإسلاميين

فيها من الإشارات ما في أبيات القرزدي

وسُرّاقة، فنبهتني إلى ما لم أنتبه إليه

من قبل. ورأيت أن أفرد لها هنا البحث

الموجز، لأنها من أهم الأدلة التي تُسقط

حجة من زعم وجود فجوة بين الشاعر

الجاهلي وعصر التدوين العلمي للشعر

الجاهلي، في النصف الأخير من القرن الثاني

الهجري ثم استبحر هنا التدوين في القرنين

الثالث والرابع.

(*) قام هذا البحث إلى مؤتمر جمع اللغة العربية في الدورة الرابعة والأربعين، المصنف في القديرا في شهر
ديح الآخر سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨ م (الدار) سنة ١٩٧٨ م.

فمن ذلك قول عمرو بن أحمرو الياهلي
وهو شاعر جاهلي إسلامي^(١) من قصيدة
طويلة مطلعها :

قد بكَرْتُ هادتي بِكَرَّةٍ
تزعُم أنني بالصبا مُشْتَوِرٌ
قال^(٢)

إنَّ امرأ القيس على أهله
في إرث ما كان بَسَاءً حَجَرٌ
بَنَتْ عِيه المُلْكُ أَطْطَاها
كَأْسُ رَيَّانَةٍ وَطِيفٌ طَوِيرٌ
بَلَّهْمُ مَهْدٍ فَوْقَ أَطْطَاها
وَقَرَّتْ بِمَهْدٍ إِلَيْهِ وَهَرٌ
حَتَّى أَثْنَه مَيْلِي طَامِحٌ
لَا تَنْتَقِي الرَّجْرَجُ وَلَا تَنْزَجِرُ

لَمَّا رَأَى يَوْمًا ، لَهُ هَيَّوَةٌ ،
مُسرًّا حَوْسًا شَرُّهُ مُقْمَطِرٌ
أَدَّى إِلَى هَبْدِ تَحِيَّاتِهَا
وَقَالَ : هَلَا مِنْ وَدَاعِي دُبُرٌ

وعمر بن أحمرو في هذا الشعر ، يشير
إلى أبيات متعددة لا يرى القيس في
عولاء النسوة منها قوله :

لَيْسَالٍ بِذَاتِ الطَّلَحِ حَنْدٌ تُحْبِرُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيْسَالٍ عَلَى أَفْرَ
أَغَارِي الصَّبُوحِ عِنْدَ هِرٍّ وَقَرَّتْنِي
وَلَيْدًا ، وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي خَيْرٌ هِرٍّ
إِذَا ذُقْتُ طَامِحًا قُلْتُ : طَعْمُ مُدْلَمَةٍ
مُعْتَقَةٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ الشُّجْرُ
ومنها قوله

دَارَ لِهَيْدٍ وَالرِّيَابِ وَقَرَّتْنِي
وَلَيْسَالٍ قَبْلَ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ
ومنها قوله :

وَقِيمَنَ أَقْسَامٍ مِنَ الْحَيِّ هِرٌّ
أَمْ لَطَاعَسُونَ بِهَا فِي الشُّطْرُ
وَهَرٌ تَصِيدُ حُلُوبَ الرِّجَالِ
وَأَقْلَمَتْ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرُ

(١) ذكر المزياني في معجم الشعراء أنه « تولى حل عهد ملك رضى الله عنه بعد ان بلغ سنه عاشره » وكن
الذكور حين صولان جامع دبراته وعنه رجح أنه « بعد به قصير إلى أيام عبد الملك بن مروان وتوفى في سنة
عشر ومائة لم يبق »

(٢) ديوانه : ١٠ - ٢٠ ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

دَثْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفَزَادَ

خُدَّةُ الرَّحِيلِ . فَلَمْ أَنْتَهِرْ

• • •

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَسْعِ الْفَزَارِيِّ^(١) ،
وَهُوَ جَاهِلٌ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَحَمَّرَ^(٢) :

مَا أَتَيْتُكُمْ أَمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ

أَدْرَكَ حَقْلِي وَوَلَدِي حُمُرًا
أَبَا الْقُرَيْشِ الْقَيْسِ ، هَلْ سَمِعْتُمْ بِهِ ؟

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالِذَا حُمُرًا

وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ الْمَجَلِي يَصِفُ قَبِيضَةَ^(٣) :

تَخَنَّى ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ مِنَ الصَّبَا ،

يَبْغِضُ الَّذِي خَنَى لَمَرُّ الْقَيْسِ أَوْ حَمَّرُوْ

فَقَلَّلتُ تَخَنَّى بِالْقَبِيضِ وَمِثْلِهِ

وَتَرَفَعَ صَوْنًا لِي لَوْنُ صِرْهٍ كَثُرُوْ

وَيُسَمَّى أَبُو النَّجْمِ بِذَلِكَ إِلَى بَيْتِ

أُمِّ الْقَيْسِ فِي مَعْلَقَتِهِ :

نَقُولُ ، وَقَدْ مَالَ الْقَبِيضُ بِنَا مَعًا ،

حَمَّرَتْ بِحَمْرِىَ يَا أُمُّ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

• • •

وَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بِعَاتِبِ
أَخِيهِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ :

نَقُولُ الْمَرْءَ حَمْرًا فِي الْقَوَائِ

لِقَيْسٍ ، حِينَ خَالَفَ كُلَّ حَقْلٍ :

« عَلِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادٍ

أُرِيدُ حَيَاةً وَيُرِيدُ قَتْلًا »

وَحَمْرًا هُوَ حَمْرًا هُوَ مَعْدٍ بِكَرْبِ
الصَّبَاةِ ، وَقَيْسٌ هُوَ ابْنُ أُخْتِ قَيْسِ بْنِ
الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ ، وَكَانَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
يَتَلَاخِبَانِ وَيَتَقَضَّيَانِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا
ذَكَرْنَاهُ هُنَا . وَكَانَ حَمْرًا هُوَ مَعْدٍ بِكَرْبِ
قَدْ قَالَ لِقَيْسٍ :

تَحَنَّى لِيَكْفَسَانِي قُبَيْضُ

وَوَدَّتُ وَأَبْنَا بَيْنِي وَدَادِي

أُرِيدُ حَيَاةً وَيُرِيدُ قَتْلًا

عَلِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادٍ

فَضَمَّنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ هَذَا
الْبَيْتَ الثَّانِيَّ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ
حِجْرَهُ ، وَأَخَّرَ صِدْرَهُ ، لِيَسْتَقِيمَ مَعَ قَافِيَةِ شِعْرِهِ .

• • •

(١) ذَكَرَهُ الْأَمَنِيُّ فِي الْمَوْكَلَفِ وَالْمُخَلَّفِ وَلَمْ يَزِدْ لَهُ شَيْئًا .

(٢) قَطَّرَ وَاسْتَمَرَّ : ٥٦ ، طَبْعُ دَارِ الْإِسْلَامِ بِبَغْدَادِ ١٩٦٤ . وَذَكَرَ الْفَرَزْدَقِيُّ فِي حَجِيمِ الْفَزَارِيِّ أَنَّ لَهَا الْبَيْتَ

بَيْنَ إِلَيْنَا هَذَا مِنْ حَيْدِ الْمَلِكِ .

(٣) الْبَكْرِيُّ ، التَّلَاحِي عَلَى لُحْجَامِ أَبِي عَلِيٍّ فِي أَصَالِهِ : ٢٢ - ٢٤ .

وقال الوليد بن يزيد^(١) :

فوجدني بسلمى فوق وجد مُرْقَشٍ

بأسماء ، إذ لا تستفيق صوافلة

لَعَنِي لَمَوْتُ لَا حَقِيَّةَ بَعْدَ

يَلِيَّ الْبَيْتِ أَتَمَّى مِنْ هَوٍّ لَا يُرَائِيَهُ

يشير الوليد إلى المرقش الأكبر وهو

حمرو بن سعد بن بنى قيس بن ثعلبة من

بكر بن وائل ، وهو من عتيبي العرب في

الجمالية وعشائهم ، هام بابتنة عمه أسماء

بنيت خوف ، وله فيها شعر كثير^(٢) .

وقال الصلتان العبدي في الحكم بين

الفرزدق وجرير^(٣) :

أنا الصلتان الذي قد حكيتُم

منى ما يحكم فهو بالحق صادق

أنتى نعيم حين هابت قضائها

ولئن لي بالفضل المبين قاطع

كما أنقذ الأعشى قضية حمرو

وما لقيم في قضائى وراجع

ولم يرجع الأعشى قضية جعفر

وليس لحكمى آخر الدهر راجع

ويشير الصلتان بهذه الأبيات إلى المناقرة

التي كانت في الجمالية بين حمرو بن العفيل

ابن مالك بن جعفر بن كلاب ، وعلقمة

ابن حلائة بن خوف بن الأحوص بن جعفر

ابن كلاب ، وإلى قضية الأعشى في

الحكم بينهما وتفضيله حمرو بن العفيل

على علقمة بن حلائة ، ومن قول الأعشى

في هذه القضية^(٤) :

طَلَقَمَ ، لَا نَسْتِ إِلَى حَمْرٍ

الناظي الأولاد والواثر

واللابي الخيل بغير لنا

نادر عهدهم الكثرة الناصر

سُدت بنى الأحوص لم نندعم

وعلمهم صاد بنى عامر

صاد وألقى يومه مائة

وكابراً سادوك عن كاهن

إن الذي فيه نماريتما

بين السامع والناظر

(١) مجلة العرب ، ٤ : ٤٢٨ ، نقلاً عن غزوة من أسد حمرو بن العفيل ، لأن الجراح .

(٢) الأقاليم والمفضليات .

(٣) الشعر والقصائد ، ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٤) حركات ، قصيدة ١٨ ، نشر مكتبة الآداب بالجامعة .

حَكْمُكُمْ قَضَى بَيْنَكُمْ
أَهْلُجْ وَثَلُ الْقَمَرِ الْهَامِرِ
أَزُولُ الْحَكْمَ عَلَى وَجْهِهِ

ليس قضائي بالهوى الجائر
قد قلتُ قسولاً ففضى بينكم
واعترفُ للمفسور للناسر

• • •

وقال ذو الرمة يمدح بني حنيفة^(١) :
مُمْ فَرْتُوا بِالْبَكْرِ عَتَرًا وَأَنْزَلُوا
بِأَسْيَلِهِمْ يَوْمَ الْعُرْوَةِ أَبْنِ ظَالِمِ

قال شارح النيران أبو نصر أحمد بن
حاتم الباهلي صاحب الأصبى : بنى .
عمرو بن كلثوم ، كانوا أسروه فقرنوه
بالبكر ، وذكر أبو الفرج^(٢) أن يزيد

ابن عمرو من بني حنيفة انتهى إلى عمرو
لبن كلثوم لطمته فغصره عن فرسه وأسره
وشقه في القيد ، وقال له : أما إلى سائقك

إلى ناقي هذه فأنظرده كما جميعاً ، فاجمع
على يزيد قومه غنوه ، ولم يكن يرى
ذلك به :

• • •

وعمر بن كلثوم صاحب القصيدة
الملقبة : أَلَا هُبَيْ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا ،
التي شاعت ، وخالع بها بنو جثم من لطلب
قوم عمرو ، فقال في ذلك الشاعر الإسلامي
المَوْجُ التَّقْلَبِي ، واسمه قيس بن زَمان .
وهو ابن أخت القطامي^(٣) :

أَلْهَى بَنِي جَثَمٍ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم .
يقالون بها مُدَّ كَانَ أَوْلَهُمْ
يا للرجال لفقر خير تشوم

• • •

ونصل في نهاية هذا البحث الموجز إلى
هيات الفزدق وشراقة الباري إلا أشرنا
ليها في ملاحه .

(١) ديوانه : ٧٧٢ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٢ .

(٢) الأنساب (دار الكتب) ١١ : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) مسهم للشراء (المجلد ١٩٦٠) : ١٥٣ ، والمؤلف والخطف (المجلد ١٩٦١) : ٢٨٦ ، وقصيدة

الرجل في ديوان عمرو بن كلثوم (تحقيق كركور ، طبعة المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٦٢) ص : ٢٠ - ٢١ .
والمرج من بني مالك بن بكر بن سببه ، وجثم أخوه مالك .

قال القزويني^(١) :

وَحَبَّ الْقَصَائِدَ فِي التَّوَلُّعِ إِذْ مَا وَجَّ

وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ^(٢)

وَالْفَحْلُ عِلْقَةُ النَّيِّ كَانَتْ لَهُ

حَلٌّ لِقَوْلِهِ ، كَلَامُهُ لَا يُنَحَلُّ

وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ غَنَلَةٌ

وَمُهَلِّلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ^(٣)

وَالْأَخْشِيَانِ كَلَامُهُمَا وَمُرْقَشُ

وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَحَّلُ^(٤)

وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَيْدٌ إِذْ مَضَى

وَأَبُو قُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ

وَابْنَا أَبِي سُلَيْمٍ زَهَبَرٌ وَابْنُهُ

وَابْنُ الْقُرَيْبَةِ حِينَ جَدُّ الْيَقُولِ^(٥)

وَالْجَحْضَرِيُّ وَكَانَ لِشَرِّهَا قَبْلَهُ

فِي مَنْ قَصَائِدَهُ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ^(٦)

وَلَقَدْ وَرِثْتُ لِأَكْرِ أَوْسٍ مَنَظْمًا

كَالسَّمِّ خَالِطَ جَانِبِيهِ الْحِطْلُ^(٧)

وَالْحَارِثِيُّ أَخُو الْجَمَلِ وَرِثْتُ

صَدَحًا كَمَا صَدَحَ الصَّفَاةُ الْمَقُولُ^(٨)

• • •

وقيل أن ننقل إلى أبيات سراقه ،

نضيف إلى ما أوردها من شعر القزويني

شعرًا آخر له ، هو قوله يملح قطعن بين

مُتَرَكَّة الْكَلَابِ^(٩) :

سَأَجْرِيكَ مَعْرُوفَ النَّيِّ يَلْتَقَى بِهِ

يَكْفَيْكَ ، فَاسْمَعْ شَعْرَ مَنْ قَدْ تَنَحَّلَا

قَصَائِدَ لَمْ يَقْلِرْ زَهَبَرٌ وَلَا ابْنُهُ

عَلَيْهَا ، وَلَا مِنْ حَوْلِهِ الْمُخْبَلَا

وَلَمْ يَسْتَطِعْ نَسِجُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مِثْلَهَا

وَأَخْيَتْ مَرَاتِيهَا لَيْسًا وَجَرُولَا

(١) ديوانه ص : ٧٢٠ - ٧٢١ ، غنائم : ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) التوليع ، التلينة للبيان والجمع والشبهان ، وأبو يزيه : الخيل السود ، وذو القروح : امرؤ القيس وجرول : الخلة .

(٣) أخو بني قيس : طرفة .

(٤) أخو قضاعة : أبو الطحان القيني .

(٥) ابن القرية : حسان بن ثابت .

(٦) الجحضرى : ليث بن ربيعة ، ويغمر بن أبي عقرب الأسدي .

(٧) أوس بن حجر .

(٨) الحارثي : هو النعمان الشاعر .

(٩) ديوانه : ٧٠١ (شرح الصاوي) نشر مصطفى محمد

(١٠) حرلوه : القوم .

ونابض قيس بن عيلان، والذي

راه المنيا بعض ما كان قولاً^(١)

ونضيف كذلك بيت جرير في نقيضه

لقصيدة الفرزدق الأولى وهو قوله :^(٢)

حسب الفرزدق أن نُسب مجاشع

ويُعد شِعْر مُرْقِشٍ ومُهْلِهِلٍ

وقد ذكر الفرزدق في أبياته الأولى

الثنين وحشرين شاعراً ، منهم اثنا عشر

شاعراً جاهلياً كلهم مشهور له شعر

معروف ، لم يدرك الإسلام منهم إلا الأضي

ميمون بن قيس ولم يسلم ، وذكر ثمانية

شعراء أدركوا الإسلام وأسلموا ، ولكن

أكثر شعرهم وشهورتهم كان في الجاهلية .

وأما الشعراء الباقين فإسلاميان .

وكان الفرزدق يسمى بعض هؤلاء

الشعراء حيناً ، ويكنى حيناً آخر بذكر

كنيتهم أو لقبهم ، وربما أضاف أوصافاً

لها نقداً أو تاريخاً ، كقوله عن حلقمة :

إنه كانت له حلل الملوك ولا ينحل كلامه .

وعن عكرمة : إن شعره قتله ، وعن مهلهل :

إنه مهلهل الشعراء وإنه الأول ، قبل

أولئك الشعراء ، وعن أبي الطمّحان القبي

إنه أخو قضاعة وإن كلامه يتمثل به .

وكقوله إن بشر بن أبي لحازم كان قبل

ليبد .

أما أبيات سُراقَة البجلي الأصغر فهي^(٣)

ولقد أصبت من القريض طريقة

أخيت مصادرها قرين مهلهل^(٤)

بعد لمرئ القيس السوء باسمه

أيام يهلي بالخول فحومل

وأبو قواد كان شاعر أمة

أفلت نجومهم ولما يفل

وأبو ذؤيب قد أدلّ صلبة

(لا يتعبينك) ولهم لم يثقل

وأرادها حسان يوم تعرضت

بردي يصفني بالرحيق السلسل

لم أبش من بمله فتمتعت

وإعجال أن قرينه لم يتخذل

(١) يقصد طريقة ثلثي ثل بسبب شعره .

(٢) ديوانه : ١٤٤ (شرح الصاوي) الطبعة الأولى ، نشر مطبعي نجد .

(٣) ديوانه - تحقيق حسين نصار - ط . مجلة الفائف والفرجة والفرجة ١٩٦٧ ، ص ٦٤ - ٦١ .

(٤) قرين الشاعر : شريكه .

وبنو أبي سُلتى يقصّر سبيهم
عنا كما قصرت ديارها جرؤك

وأبو بصير ثم لم يُبصر بها
إذ حلّ من وادي القريش بمخيل
وأكبر لبناً في الفحول وحاقماً
سبلوك الشراء إن لم تفعل

مُعقراً فاذكرو وإنّ السوى به
ربُّ النُّونِ وماتر بالأخيل
وأمية البحر الذي في شمرة
جكم كوخ في الزبور مفصل
بالبصرة على نقادهم عسيرة

مَنْ قَصِيْتُ لَهُ قَصَاءَ الْقِيَمِ
واقطف أبا الطمّحان وشطّ غواتيهم

وابن الطرامية شاعر لم يُجَهَلْ^(١)
لا والذي حببت قريش بيتته

لو شئتُ إذ حلّكنكم لم آنل
ما قال يحرى منهم من شاعر

مَنْ سَمِعْتُ بِهِ وَلَا مُسْتَعِجِلْ^(٢)
• • •

وفي شعر سُرّاقة ستة عشر شاعراً ،
ذكر الفرزدق منهم أحد عشر ، ولا أعرف

من منهما قال قصيدته قبل صاحبه ،
وإنّ كان الأرجح أن سُرّاقة ثوفي قبل
الفرزدق بنحو ثلاثين سنة ، وذكر سُرّاقة
شاعرين جاهليين لم يذكرهما الفرزدق ،
وهما حاتم وأمية ، وشاعرين ماضرين
هما أبو ذؤيب ومُعقر .

وزاد سُرّاقة فاقبوس من شعر بعض
هؤلاء الشعراء ، بل ذكره جزية حسان هردى
يصفق بالروحى السلسل ، وذكر جزءاً
من مطلع معقبة حمراء القيس حين أشار
للخول فحول .

• • •

وبعد ،

فما نعرف أحداً شكّ في جمهرة الشعر
الذي أوردناه ولا طعن في صحة نسبته
إلى عصره ولا إلى شاعره . فما ذكرناه من
عمر عمرو بن أحرر الباهلي وأبي النجم
المعجل ، وعبد الرحمن بن الحكم ، والوليد
ابن يزيد ، والصنّان العبدي ، وذو
الرمّة ، والموج الثعلبي ، والفرزدق . وجرير
وسُرّاقة الباري ، كل ذلك نجما ما تعرض

(١) ابن الطرامية : المنذر بن حسان الكلبي (مجموع الشعراء : ٢٧٠)

(٢) مستعجل : كلاً في ديوانه المطروح ، ولا أمل لها وجهاً ، وقد وثقت معصاً عظمى النيران .

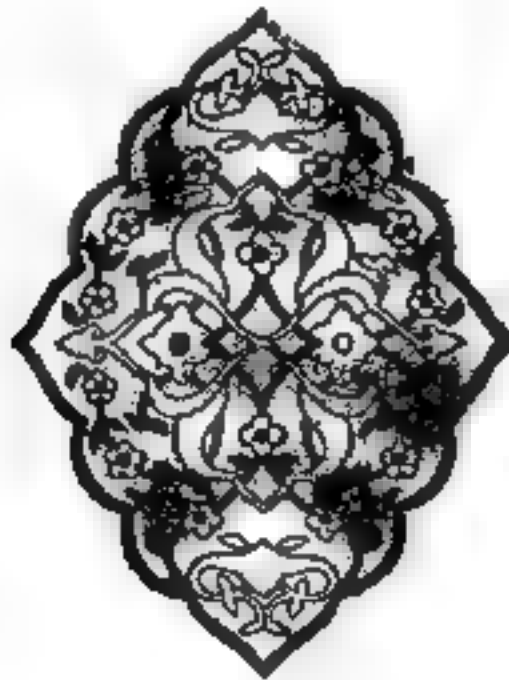
له الشعر الجاهلي من المغالاة في الشك فيه ،
فصار وثيقة تاريخية يعتمد عليها ،
ويستشهد بها .

وليس من الكلام الذي يلتصق على حواشي
أن يبدأ القرزوقي ذكر هؤلاء الشعراء
يقوله : إنهم « وهبوا القصائد له إذ مضوا » ،
وأن يقول في البيت الثامن إنه « وروث
منطقهم » . فهذه إشارات محكمة نفسها
إلى غيرها مما أوردناه من شعر صدر الإسلام
والشعر الأموي ، لتصبح كلها واضحة
الدلالة على أن التراث الشعري الجاهلي
ظل موصول الحلقات يتناقله الخلف من
السلف ، والجيل بعد الجيل عند العصر

الجاهلي ، بل منذ الشاعر الجاهلي نفسه ،
دون انقطاع حتى عصر التدوين العلمي
في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري
حين أخذت الرواة العلماء مشافهة وتنويعا
من أفواه الرواة ، ومن شعر الشعراء ،
ومن كتب القبائل والنسب ، فكان ذلكم
مصوناً محفوظاً ، قصيرة لهذه الأمة
يربط حاضرها بماضيها ، ويبحث ماضيها
بما في حاضرها ، ويضمن لها وحيتها
الثقافية بواصلها التاريخي بوقوعها الفكرية
وخصائصها اللغوية .

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع



بين العامية والفصحى

د. سنان عبد الرزاق البصير

حينما

نبحث تطور اللغة العربية،
نجد الشكوى من غزو
اللهجة العامية قد برز

في نصف القرن الأول للهجرة ، حل وجه
التضريب ، وهذا يعني أن هذا الغزو قد
بدأ بعد ما امتزجت الأمة العربية بالقرون
والروم واليونان وغيرهم من الأمم الأجنبية
متزاجاً قوياً تمثل في مصاهرة العرب هذه
الأمم ، فاختلوا منهم الزوجات والحواري
فأنجب لهم البنات والأولاد . . . ونحن
نعلم أن للأمهات تأثيراً كبيراً على بناتهن
وأولادهن وأزواجهن بفضل التربية والمعاينة
كما جعل اللبنة الأعجمية تشيع بين الناس
حتى الشعراء والأمراء منهم .

فهذا حبيب الله بن زياد ، وهو الذي أصبح
أميراً على خراسان ثم الكوفة والبصرة
بحرف في كلامه فينطق بما يحاب عليه لأن
أمه فارسية اسمها مريجانة ، فمن ذلك
قوله : « انصروا سيوفكم » يريد سلوا
سيوفكم ، مما ضحك مجالا لمجوزي الدين القزويني
حيث قال :

ويوم لمحت سيفك من يدي

أضعت وكل أمرك الضياع

ولو لم يتأكد هذا الشاعر بأن استعمال
حبيب الله بن زياد لهذه اللفظة ، مما يؤخذ
عليه بما لا أنكر عليه هذا الاستعمال ، ولكنه
زياد الأصم مشهورة بكنسها عليه أهل زمانه
بالرغم من أن مؤرخي الأدب يقولون
عنه بأنه شاعر جزل اللفظ فصيح الشعر
ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يخلص من
لكنته الأعجمية لأن ولد ونشأ بأصفهان ثم
انتقل إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات ،
وهو صاحب الرثية المشهورة التي نظمها
بعد موت المغيرة بن المهلب والتي جاء فيها :

فإن مروت بغيره فاقفر له

كرم المعلى وكل طرف سابع

فقال له يزيد بن المهلب بعد ما أشده
هذه القصيدة : أفقرت أنت حده ؟ قال
« كنت حل بنت المأز » يريد « الحمار » .
ودعا زياد غلامه فأرسله في حاجة ،
فأبطأ ، فلما جاءه قال : منذ لندن دأوتك
إلى أن قلت : أبي ما كنت حسناً ؟ يريد :
منذ لندن دعوتك إلى أن قلت لي : لبيث .
ما كنت تصنع ؟ ومن الواضح أن هذه
الفاظ في غاية اللبنة والقيح .

(٥) قدم هذا البحث إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة برئاسة والأربعين المنعقد في القاهرة في شهر ربيع
الإحمر سنة ١٩٩٨ م - مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م .

وَأَنْتَ حِينَ تَنْظُرُ فِي شَعْرِ زِيَادَ مَجْلَدٍ
مِنَ الْمُتَمَكِّينَ فِي نَظْمِ الشَّعْرِ . وَيُقَالُ إِذَا
عَبَدَ الْمَلِكُ بَنَ مِرْوَانَ كَانَ يَشْبَهُ اللَّحْنَ بِالْحَمْرَى
فِي الرَّجَاءِ الْحَمِيلِ وَالشَّقَى فِي الثَّرْبِ الْفَنَيْسِ .
يُقَالُ إِنْ الْحُجَّاجَ كَانَ يَتَرَأَّى : « إِنْ مَرَّ
الْحَمْرُونَ مَضْمُونٌ » ، وَقَدْ رَوَى فِي بَابِ
الْحَمْرِ رَوَايَاتٍ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الطَّرَافَةِ .
فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحُجَّاجَ سَأَلَ لُحْنًا : أَتَبِيعُ
الْمَلَوَابِ الْحَمْرَى مِنْ مَجْدِ السُّلْطَانِ ؟ :
فَأَجَابَهُ : شَرِيكَانَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَانَا فِي
مَدَائِنِهَا ، وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ .

ولم يفهم السجّاج ما يقول ، فقال له :
 وبك ما تعني ؟ . فقال بعض من قد كان
 اعتاد سماع الخطأ وكلام الطرج بالعربية
 حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول ،
 وشركاؤنا بالأموات وبالمداثر يمشون إلينا بهذه
 النواب ، فنحن نبيعها على وجوهها .
 ومن ذلك قول بعض الشعراء يهجو أبا
 ولده له :

أول ما نسمع عنها في السحر

تذكرها الآن وتثبت الذكر

ولو أردنا أن نتبع تحريف المفردات
الغريبة عند بعض الذين تأثروا بهجمة أمهاتهم
أو بتريتهم ونشأهم بين الأعاجم لظال
بنا المقام :

وكل ما أردنا أن نخلص إليه ، هنا .
هو أن هذا التحطيم لبعض المفردات العربية
وهذا اللحن في التلقين من بعض الناس
الفرج نقوس بعض علماء اللغة ورواها
كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء ، وابن
الأعرابي وغيرهم من العلماء إلى حد دفعهم
إلى الخروج إلى البادية ، والبقاء فيها مد
طويلة ليسجلوا ما ينطق به أولئك اللحن
يحيون بعيداً عن مخالطة الأعاجم حتى
حتى جمعوا من ذلك مفردات لا تخلص .

ثم أخذوا يستعملون منها معلم كانت
في مبدأ الأمر تسمى بأسماء الإبل والحمير والظباء
والسيوف والرماح . . . وما إلى ذلك
من أسماء الأشياء والأماكن . . . من
أودية ومياه وأشجار وأعشاب . . . ثم
تطورت إلى معلم ألفة مما لا يحصى هنا
للقيام بتفصيله ، كذلك دفع اللحن إلى
وضع علم التحويل يدعى الأسود الثلثي ، على
أن بعض العلماء يذهب إلى أن علم التحويل
ليس هريفاً محضاً . . . لكن

أعتقد أنه هربى خالص لأن ما تبقى من
من الشعر الجاهل يجرى على قواعد مثته
من علم النحو . . . وقل مثل ذلك في علم
العروض . . . لأنها نجد ما تبقى من الشعر
الجاهل يجرى كله على أوزان وقواعد
لا يكاد يشذ عنها إلا في حالات نادرة .

ولانسى أننا قد فقدنا أكثرًا كثيرة من تراثنا العربى . . وقد يكون لها فقدانها تفسير لكثير من الأمور اللغوية والتاريخية التى يختلف فيها العلماء ، مما يخلق كثيراً من الحيرة لدى كثير من الباحثين :

ومهما يكن من أمر ، فإن اللغة العربية الفصحى قد اجتازت كثيراً من الأزمات وعرجت منها كأقوى ما يكون . . فافتحت على ما جامها من ميل هائل ، بما ترجم من اليونانية والقارسية والهندية وتلك اللغات علوم كثيرة كالهندسة والطب والفلك والحساب والفلسفة . . وما إلى ذلك من العلوم النظرية والتطبيقية ، وقد فصل ذلك مؤرخو الأدب تخصيصاً لا مزيد عليه . : فكانت اللغة العربية فى نحو مستمر يوم أن كانت الأمة العربية تصنع الحضارة وتحقق فوق رأسها وإيات النصر فى كل نواحي الحياة ، فلما توقفت عن المشاركة فى صنع الحضارة ونجم عليها ظلام الانحطاط عدة قرون ، ضعفت لغتها كما تضائل تفكيرها لأن اللغة ، كما لا يخفى ، وعاء للنشاط الفكرى والحضارى للأمة . وبقيت الأمة العربية على هذا الحال المؤسف حتى جاء مطلع هذا القرن وشاء الله لما أن تسليط . . ووجدت نفسها أمام حضارة أجنبية تظهر منها بعض العرب إلى درجة جعلهم يعتقدون أن اللغة العربية غير قادرة على تحمل ما يحملن حيوانا العصرية : : وقد أدرك الأجنبي هذا الانهزام فى بعض

النموس فأخذ يعززه بصيغ صحتها بعض الناس . . لكن التحصين الواحش تنهوا إلى بطلانها وأنها ليست إلا مهابا سدد إلى قلب هذه الأمة ، فإذا ما آمنت الأمة بضعف لغتها . فانه يصبح من اليسير على أعدائها تدميرها لأن وجود الأمة كمن بالإيمان بلغتها ، وإذا بنا نرى من دعو إلى اصطناع اللهجة العامية بكل مراحة أو وقاحة ، على الأصح ، يحجة أن هناك اختلافاً واسعاً بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، مما يخلق صعوبة شديدة فى تعليم الناشئة فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة : فالطلاب يعانون عذاباً شديداً فى دراستهم الثانوية لأنهم يصطلمون باللغة الفصحى . وإذا كان هذا حال الطلاب فى المرحلة الثانوية ، فكيف يكون حال الطلاب فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة ؟

ويعزى سبب ذلك إلى تنفيذ الحروف العجائية العربية . فكيف يكون الأمر سهلاً لو أتبع الطالب أن يكتب بلغة ، إن لم تكن هى لغة الحديث الشائعة ، فهى على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة ، بل من أن يحبر على الكتابة بلغة هى من لغات مثل غرابة اللغة اللاتينية بالنسبة إلى الإيطاليين ، أو مثل غرابة اللغة اليونانية القديمة بالنسبة إلى اليونانيين .

هنا بعض ما قاله أحد المفترضين وهل
 وأسمهم (ولهم بيتا) في كتابه « قواعد
 العربية العامة في مصر » . وقد أدرك هذا
 المخادع أن في دعوة هذا خطراً حقيقياً على
 أقوى رابطة تربط بين العرب والمسلمين
 ونعني بها الدين الإسلامي ، مما يشير عليه
 نائرة الأمة ، فاحاطت لذلك قاللاً : وحتى
 ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية
 لا يمكن أن يلقفها تبنى لغة الحديث العامة
 إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى
 ستظل كما هي في كل مكان » :

الطيب الخنبي وابن الرومي وأبي القلاء
 المعري وأبي تمام وأمثالهم من الشعراء العظام
 . . . ويحتوى على علماء في التاريخ أمثال
 العسري وابن الأثير والبلاذري وابن خلدون
 وكثير من أمثالهم يزجاد ارتباطه ويقوى
 انتصائه إلى هذه الأمة .

ومما لا يحتاج إلى توضيح أن معرفة
 الأسماء لا تكفى الفرد ، وإنما يحتاج إلى أن
 يطلع على آثار أولئك العلماء والشعراء
 ويغتهم آثارهم لتكون ثروته العقلية والفكرية
 « شاملة من تلك الآثار »

ومن الواضح أننا لو سلكتنا هذا السج في
 تنفيذ هذه الدعوة السبومة لباعدنا بيتنا
 وبين لغتنا الحقيقة وتراثنا العظيم ، بحيث
 يجعلنا غير قادرين على تفوق ما في لغتنا ،
 ونفهم ما في تراثنا من نظريات عميقة
 وحلاوة وقوة وتعبير عن القيم والمواطف
 الإنسانية . فلو لا محافظتنا على لغتنا العربية
 الفصحى وتقليدنا لتراثنا القديم لحدث
 انفصال تام عن أسلافنا من العلماء
 والشعراء والأدباء والفكرين ... فنصبح
 أمة ناشئة بدون تراث ولا تاريخ .. فإن
 الفرد منا حين يعرف أن تاريخ أمته يضم
 علماء أمثال الحسن بن الهيثم وجابر بن
 حيان والكندي وثابت بن قرة والبيروني
 وغيرهم من العلماء ، وحين يعرف أن
 أن تراث أمته يحوى على شعراء أمثال أبي

وليس من شك أن من يبعد عن اللغة
 العربية الفصحى ، كما يتمنى أعضاء هذه
 الأمة فإنه لا يستطيع أن يغنى عقله من تلك
 الآثار العظيمة ، مما يجعل عقله فارغاً يقبل
 ما يفرس فيه من فكر أجنبي .. وبذلك يفصل
 عن أمته كل الانفصال : وهذا أخطر
 ما يسعى إليه المستعمرون :

الملك ، تجمد المهنس الإنجليزي (ولم
 ولكوكس) يفتت سمومه قاللاً : إن أهم
 عائق يمنع المصريين من الاختراع هو
 أنهم يولفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى
 وأهم لوائفوا وكتبوا بالعامة لأعان ذلك
 هل إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها ...

وليس من شك أن هذا الماكر المفترض
 لا يقصد المصريين في هذا القول ، وإنما

ودينها فشبهوا الناس إلى ما في هذه الدعوة
المضلّة من أضرار كبيرة .

والحق أن مؤلّف كتاب تاريخ الدعوة إلى
العامة وآثارها في مصر قد ألّفت هذه القضية
الخطيرة ، كل الإلّام ، وفهّلها تفصيلا لا مزيد
عليه ، مما جعل كتابها هذا مرجعا لا يستغنى عنه في
هذه القضية . فالواقف على هذا الكتاب يجد
أن هذه القضية قد تفرّعت منها عدة فروع
كبيرة : ١- لعل في بعضها غير اللغة القصصيّة ..
من ذلك ، مثلا ما حدث من نشاط في
تأليف كتب النحو ، حاول فيه أولئك
المؤلّفون تبسيط هذا العلم وتقرّيبه إلى الناس ،
وكما كتب من بحوث في كثير من العلوم
والفنون ومسائر جوانب الأدب ابتعد فيه
أولئك الكتاب والمؤلّفون عن التعقيد بحيث
أصبحت آثارهم ميسورة يقرأها سائر
الناس فيفهمونها كل الفهم ... وبذلك تنم
عقولهم وتتسع آفاق تفكيرهم .. ويقال مثل
هذا في بعض كتاب القصة الذين جرّبوا
أن يكتبوا باللهجة العامية فرأوا أن هذه
اللهجة لا تطاوعهم كما تطاوعهم الفصحى
في التعبير الفني عما في قلوبهم فأعطوا
رجوعهم عن هذه التجربة كما حدث للمرحوم
عمود تيمور (٣) .

من هذا كله يتضح أن ليس كل من
كتب باللهجة العامية شخصا للهجة القصصيّة ،

بفصد جميع العرب ... ولكنه خاطب
المصريين لأنّه يدرك بأن مصر لو استجابت
إلى دعوته فإن أضرارها ستعم جميع
الأمة العربيّة ، لما لمصر من مكانة عظيمة
وتأثير قوى بين العرب والمسلمين . ولقد
أراد هذا المهندس الإنجليزي أن يثبت أن
اللهجة العامية قادرة على أن تكون ذات
مستوى رفيع ، قضى يترجم بعض قطع
من روايات شكسبير ، ولكنه أخفق في
ما أراد إلّياه من أن اللهجة العامية يمكنها
أن تستوعب ما ينقل إليها من الأدب الرصين ..
فجاءت القطع التي ترجمها مشوهة ركيكة
(١) .. كذلك كان خطبنا حاول ترجمة بعض
آيات من الإنجيل إلى اللهجة العامية (٢) :

وليس سيّتا ووليم وولكوكس هما
الأجنيان الوحيدان اللذان كشفا قناع
عداوتها لثقة هذه الأمة وتراثها ودينها وإعما
كانا من أقوى الدعاة إلى للكر والتضليل .

ومن الغريب ، حقا ، أن هذه الدعوة
بلاكرة قد قصّت بابا واسعا دخل فيه
لحفاء الإيمان بتراث هذه الأمة ولغتها
لأبناؤها بحجج واهية ... هي تلك الحجج
التي استند إليها سيّتا وولكوكس والقاضي مور
وغيرهم من دعاة الأجنبي المستعمر ، كما
دخله أقرباء الإيمان بتراث هذه الأمة ولغتها

(١) تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر ، المذكورة فقرة (ص ٥٥ - ٥٦) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص (٤٠٤) .

فإن هناك أناسا دخلوا هذه التجربة لاعتقادهم أن طريقها في تنقيف الجواهر أقصر من طريق القصصى : وما زال بعض كتاب القصة يسلكون هذا هذا النهج مستثنين إلى هذا الرأي .

وفي اعتقادى أنهم غير مصيبين ، فها ذهبوا إليه ، لأنه لا يجوز إشادة وكن على حساب تخطيم وكن آخر : : فله افترضنا أن طريق العامية أقرب إلى نفوس الجماهير من طريق اللغة القصصى فإن علينا أن لا ننهج هذا الطريق لعدة أسباب .. أولا : أن لكل قطر عدة لهجات : : ففى أى لهجة يكتب الكاتب .. بالإضافة إلى أن اللهجات العامية تتغير بصورة مستمرة : : فكلما انتشر للتعليم اقترب الناس من اللهجة القصصى ، مما يعنى أن كل من يكتب باللهجة العامية فإنه يكتب لقطر من الأقطار إن لم نضل لمنطقة من المناطق ، مما يجعل آثاره لا تصلح إلا لمدة قصيرة ولقطر معين .. ثم لا تلبث هذه الآثار أن تتحول إلى اللندثار : :

وما نظن كاتباً يقبل أن يكون عمر آثاره قصيراً .. فكل كاتب يسعى أن تبقى آثاره أطول مدة ممكنة يرجع إليها الناس ، ثم إن هناك أمرا أهم من كل ما ذكرناه وهو : أن اصطناع اللهجة العامية يمارض الوحدة العربية : : وهو أمل يسعى إلى تحقيقه كل غفلة لـ

الأمة : : ذلك أن اصطناع اللهجة العامية يعنى التجزئة ويتوى الدعوة الإقليمية : : فنحن نعلم جسيما أن اللهجة القصصى مفهومة لدى كل عرب من المحيط إلى الخليج : : وأنت إذا وقفت على أى أثر باللهجة القصصى أدبيا كان أو غير أدبي ، فإنك لا تستطيع أن تعرف ما إذا كان كاتب ذلك الأثر سوريا أو عراقيا أو خليجيا أو مغربيا ، لأن القصصى لهجة واحدة لا يوجد فى من يكتب فيها أى تمايز أو اختلاف إلا فى حالة نادرة لا تكاد تذكر : :

ثم إن هناك تجربة قامت بها مؤسسة الإنتاج البرامجى المشترك للدول الخليج العربى ، وتتلخص هذه التجربة فى أنها أعدت برامج تلفزيونية للأطفال باللهجة القصصى وأرسلوا بعضها إلى تونس ومصر وسوريا والعراق والخليج ليعرفوا مدى تقبل أطفال هذه الأقطار العربية وفهمهم للهجة القصصى .. فجماعت النتائج مباشرة سارة بحسب ما يقوله المشرفون على هذه المؤسسة : : فقد بلغت حوالى ثمانين فى المائة : : بما يؤكد أن اللهجة القصصى هى اللهجة المصروفة المقبولة فى جميع البلاد العربية : :

فالخير كل الخير أن تعود الجماهير على اللهجة الصحيحة ، محتملين كل ما يقف أمامنا من عقبات ، فإن فى ذلك تعزيز

لأهم ركن يستند إليه وجودنا ونعني به
لغتنا ، لغة القرآن .

ومن المولم ، حقا ، أن نجد بعض
المدرسين يصطنعون اللهجة العامية المحلية
تعليمهم الطلاب ، مما يجعل الطالب
ضيقا أشد الضعف إذا أرد أن يعبر باللهجة
الفصحى .: ونمل هذا النج بفسر أسباب
ضعف الطلاب في قواعد اللغة العربية :
أما ما يقال عن وجوب العناية به الأدب
الشعبي (وفولكلور) والمحافظة عليه .:
ذلك الأدب الذي يرتكر على اللهجات
العامية ، لأنه مصدر هام لكل باحث في
علم الاجتماع والتاريخ بمعناه الواسع .:
فإن الجواب على ذلك هو أن هناك فرقا
كبيرا بين العناية بالأدب الشعبي والمحافظة
عليه وبين تنميته وتخليته .: فالمحافظة على ذلك
الأدب تعني تسجيله في كتب تخصص للملك
، يكون مرجعا للباحثين ، على أن يكون تسجيل
هذا الأدب مقصورا على الشعر الذي صدر
قبل نصف قرن من الزمن أو أقل بقليل ،
لأن الأمة العربية بدأت صحتها في تلك
العدة أو قبلها بقليل .

والمقصود من دراسة هذه الناحية من
من الأدب هو معرفة حاله حالة الأقطار
العربية من الناحية الاجتماعية قبل أن تنفتح
على الحضارة المصرية .: ولكن الذي يجري
في معظم البلاد العربية - إن لم أقل في جميعها -
هو أننا ننسى الأدب الشعبي ونعني به بما يقرب
من عنابتنا بأدبنا الذي يرتكر على اللهجة
الفصحى .: فالمطابع مازالت تفسر النواوين
إلى ينظمها الشعراء بمختلف اللهجات العامية ،
والصحف تعلق عليها وتنو بها مثلا تنو
بالشعر الذي يعتمد ناظموه على اللهجة الفصحى ،
بل إن معظم الأغاني العربية تعتمد على الشعر
العامي .:

ومن الواضح أن الموسيقى قدرة عجيبة
على ترسيخ ما يلقى به في النفوس .: ولست
أبعد عن الصواب إذا دعوت إلى دراسة
هذه القضية الهامة دراسة دقيقة من قبل لجنة
تخصص لهذا الغرض ، لكي تتوصل إلى
قرار ملزم فيه تعزيز لغة الفصحى .:
فإن في ذلك أجل خدمة لهذه الأمة العظيمة .

عبد الرزاق البصير

عضو المجمع المراسل من الكويت

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/٢٠٢



مطابع الشركة القومية للتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

محسن محمود بهجت